رسائل جامعية

(٦١)

تربية المرأة

عند ابن الجوزي

ومدى الاستفادة منها في الواقع التربوي المعاصر

تأليف

محمد بن عبد الله بن حسين الحازمي

دار ابن الجوزي

تربية المرأة

عند ابن الجوزي

وَمَدى الاستفادة منها في الواقع التربوي المعاصر

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
رمضان ١٤٢٧ هـ

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٢٧هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - شارع الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٨٩ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٨٢ -
الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - ت: ٤٢٦٦٣٣٩ - الإحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ -
جدة - ت: ٦٣٤١٩٧٣ - ٦٨١٣٧٠٦ - الخبر - ت: ٨٩٩٩٣٥٦ - فاكس: ٨٩٩٩٣٥٧ - بيروت - هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠ -
فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج.م.ع - محمول: ٠١٠٦٨٢٢٧٨٣ - تلفاكس: ٠٢٤٣٤٤٩٧٠
البريد الإلكتروني: aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com

رسائل جامعية (٦١)

تربية المرأة عند ابن الجوزي

ومدى الاستفادة منها في الواقع التربوي المعاصر

تأليف
محمد بن عبد الله بن حسين الحازمي

دار ابن الجوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب أطروحة علمية نال بها المؤلف درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة من كلية التربية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة بتقدير (ممتاز) مع مرتبة الشرف الأولى .

الفصل الأول

«الإطـار العـام»

أولًا : المقدمة .

ثانيًا : موضوع الدراسة .

ثالثًا : أسئلة الدراسة .

رابعًا : أهداف الدراسة .

خامسًا : أهمية الدراسة .

سادسًا : منهج الدراسة .

سابعًا : حدود الدراسة .

ثامنًا : الدراسات السابقة .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أولًا: المُقدّمَة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على خير خلق الله، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإنّ الله ﷻ أنزل القرآن الكريم هداية للبشرية جمعاء ليهتدوا بنوره ويتربوا بما فيه من الدروس والتوجيهات التي تنير لمن تمسك بها سبل السعادة في الدارين، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وقد أمرنا سبحانه باتباع سنة نبيه محمد ﷺ لأنها مفصلة للقرآن وشارحة له، ومبينة لما فيه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وهي أصل ثابت من أصول الدين تُستمد من فيضها العقائد وتستقى من نبعها الأحكام، وتؤخذ من منهلها الأخلاق الفاضلة التي هي أساس العلاقات الاجتماعية وقوام المعاملات الخيرة، وعماد الحياة السعيدة.

ومن أجل ذلك فإن التربية الإسلامية تربية شاملة متميّزة، لأنها تنبع من المصدرين السابقين، مما جعلها تُبنى على أسس متينة ودعائم قويمة من العدل والمساواة والتوازن والتكامل.

ولقد اهتم السلف الصالح - رضوان الله عليهم - بتدارس كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ومعرفة أسرارهما، وكانوا يطبقون ما يتعلمونه في حياتهم العملية، ويحاولون تربية أنفسهم وأبنائهم على منهج النبي محمد ﷺ، بل كانوا أحرص الناس على ذلك.

وكان اهتمام علماء الإسلام بالتربية الإسلامية امتدادًا لتربية الرسول ﷺ والسلف الصالح من الصحابة والتابعين؛ ولذلك فقد كتب أولئك العلماء الأفذاذ العديد من المصنفات والمؤلفات فيها فأصبح لدينا تراث ضخم في هذا المجال المهم.

ومن بين أولئك العلماء برز أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧هـ) الذي يُعد بحق علَمًا من أعلام التربية الإسلامية، ومفكرًا متعدد العلوم والمعارف، حيث أثرى الفكر التربوي بآرائه التربوية التي فتحت آفاقًا جديدة في تربية الفرد والجماعة؛ فمن آرائه ما يختص بالطبيعة الإنسانية والعقل البشري، ومنها ما هو مختص بتربية النشء وطلاب العلم وغيرهم من طبقات المجتمع، ومنها ما يختص بتربية المرأة، بل إنه قد أفرد مؤلفًا خاصًّا بها؛ سماه «أحكام النساء» يحتوي على أحكام وآداب وقصص تعنى بشؤونها الشرعية والتربوية، ويُعدّ أول كتاب مستقل في موضوعه، كما وضح ذلك ابن الجوزي بقوله: «فلما رأيت النساء أحوج إلى العلم من الرجال شرعت في تصنيف هذا الكتاب، يتعلق بأحوالهن، محتسبًا الأجر ولم أر من سبقني إلى تصنيف مثله»[١].

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(١٣١).

ونحن اليوم بحاجة ماسة لدراسات تربوية عن المرأة تُبرز النظرة الإسلامية الصحيحة خاصة في ظل الأوضاع الراهنة، والتحديات المعاصرة، والدعوات المختلفة التي تنادي بتحريرها، وتربيتها تربية غربية أو شرقية أو غير ذلك.

وبناءً على ذلك فقد ظهرت فكرة هذا البحث الذي أسأل الله ﷻ أن ينفع به، كما أسأله التوفيق والسداد في القول والعمل.

وفي ختام هذه المقدمة فإنني أتوجه بالشكر لله - سبحانه - الذي أسبغ عليَّ نعمه ظاهرة وباطنة ووفقني لإتمام هذا البحث.

وأتوجه بالشكر لوالديّ الكريمين على دعائهما وتشجيعهما المستمر، ولكل من أسدى لي توجيهًا أو أعارني كتابًا أو قدم لي خدمة لإنجاز هذا البحث .

والحمد لله رب العالمين.

المؤلف
محمد بن عبد الله الحازمي
مكة المكرمة / ص. ب: ١٨٥٣٩
١١/ شوال / ١٤٢٦هـ
mohd400@hotmail.com

ثانيًا: موضوع الدراسة

إن المتأمل في واقع المرأة المسلمة في الوقت الحاضر ليلمس أنها بحاجة ماسة لدراسات تربوية تسلط الضوء على جوانب حياتها المختلفة، خاصة في ظل الهجمات الفكرية الشرسة التي يتعرض لها المسلمون بشكل عام، والمرأة المسلمة بشكل خاص من أجل أن تنسلخ من تعاليم دينها وتترك قيمها ومبادئها.

ولذلك فإنه يجدر بالباحثين أن يحاولوا توضيح نظرة الإسلام الصحيحة للمرأة وتربيتها بدون إفراط أو تفريط من خلال الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، والتعرف على آراء العلماء والمفكرين المسلمين.

وابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو أحد أولئك العلماء الذين أثروا الفكر الإسلامي والتربوي بآرائهم التربوية عن المرأة، ولذا كان لا بد من معرفة آرائه التربوية المتعلقة بجوانب تربية المرأة المسلمة، فكان موضوع هذه الدراسة هو «**تربية المرأة عند ابن الجوزي ومدى الاستفادة منها في الواقع التربوي المعاصر**».

ثالثًا: أسئلة الدراسة

ومما سبق فإن هذه الدراسة قد حاولت الإجابة عن السؤال الرئيس التالي:

* ما أهم آراء ابن الجوزي في تربية المرأة؟ وإلى أيّ مدى يمكن الاستفادة منها في تربية المرأة المعاصرة؟

ويتفرع عن هذا السؤال أسئلة فرعية كما يلي:

١ - ما طبيعة عصر وحياة ابن الجوزي؟

٢ - ما أهداف ومصادر وأساليب تربية المرأة عند ابن الجوزي؟

٣ - ما أهم مجالات تربية المرأة عند ابن الجوزي؟

٤ - ما مدى الاستفادة من رؤية ابن الجوزي التربوية لتربية المرأة في الواقع المعاصر؟

رابعًا: أهداف الدراسة

وبناءً على ما تقدّم فإن هذه الدراسة تهدف إلى ما يلي:

١ - التعرف على طبيعة عصر وحياة ابن الجوزي.

٢ - توضيح آراء ابن الجوزي في أهداف ومصادر وأساليب تربية المرأة.

٣ - التعرف على مجالات تربية المرأة عند ابن الجوزي.

٤ - توضيح مدى الاستفادة من رؤية ابن الجوزي التربوية لتربية المرأة في الواقع المعاصر.

خامسًا: أهمية الدراسة

تظهر أهمية الدراسة فيما يلي:

١ - أن تربية المرأة من الموضوعات التي اهتم بها الإسلام اهتمامًا بالغًا، نظرًا لدورها الجوهري في الحياة.

٢ - أن هذه الدراسة تُسلط الضوء على نظرة الإسلام لكيفية تربية المرأة من خلال فكر عالمٍ من علماء الإسلام البارزين الذين اعتمدوا على الأدلة من الكتاب والسنة في توضيح آرائهم الشرعية والتربوية والفكرية وغيرها.

٣ - أن الدراسات التربوية عن المرأة في هذا العصر لا تزال بحاجة إلى المزيد من البحث والدراسة، وهذه الدراسة هي محاولة للمساهمة في هذا المجال المهم.

٤ - يمكن أن يستفيد من هذه الدراسة المسؤولون في الوزارات التي لها صلة بشؤون المرأة مثل وزارة التربية والتعليم ووزارة التعليم العالي وغيرها.

٥ - أن هذه الدراسة يمكن أن تفيد المرأة المسلمة في حياتها العلميّة والعمليّة، ويمكن أن تفيد الأسرة والمجتمع.

سادسًا: منهج الدراسة

إن طبيعة الدراسة تحدد نوع المنهج المستخدم فيها، ولهذا فإن منهج هذه الدراسة هو **المنهج التاريخي** الذي «يصف ويسجل ما مضى من وقائع وأحداث الماضي، ولا يقف عند مجرد الوصف، وإنما يدرس هذه الوقائع والأحداث ويحلِّلها ويفسرها على أسس منهجية علمية دقيقة بقصد التوصل إلى حقائق وتعميمات لا تساعدنا على فهم الماضي فحسب، وإنما تساعدنا - أيضًا - على فهم الحاضر بل والتنبؤ بالمستقبل»(١).

ويعرّف ڤان دالين المنهج التاريخي بأنه: «المنهج الذي يستخدمه الباحثون الذين تشوقهم معرفة الأحوال والأحداث التي جرت في الماضي»(٢).

وقد تمّ في هذه الدراسة استخدام هذا المنهج من أجل الوقوف على العصر الذي عاش فيه عبد الرحمن ابن الجوزي، والتعرف على جوانب حياته، وآرائه التربوية الخاصة بالمرأة. ومن أجل ذلك فقد حرصتُ على اتباع خطوات **المنهج التاريخي والطريقة الاستنباطيّة** وفق الآتي:

١ - القيام بجمع المادة المتعلقة بالموضوع، وعرضها وتحليلها وتفسيرها.

٢ - استخراج الآراء التربوية من المادة المجموعة.

٣ - صياغة الدراسة بأسلوب علمي سليم في جميع فصولها.

---

(١) جابر عبد الحميد وكاظم خيري: «مناهج البحث في التربية وعلم النفس»، ص (١٠١).

(٢) ديوبولد ڤان دالين: «مناهج البحث في التربية وعلم النفس»، ص(٢٧١).

سابعًا: حدود الدراسة

لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧هـ) نتاج علمي ضخم في التفسير والفقه والحديث والوعظ والتاريخ وغيرها، وله آراء تربوية متعددة في تربية الطفل والنشء وطلاب العلم والعلماء والعامة والخاصة وغيرهم، لكن هذه الدراسة اقتصرت على أهم آرائه التربوية الخاصة بالمرأة من خلال كتاب «أحكام النساء»، نظرًا لأنه يحتوي على معظم آرائه التربوية المتعلقة بالمرأة، بالإضافة إلى بعض كتبه الأخرى التي وردت فيها آراء تربوية عن المرأة، وقد اعتمدت في كتاب «أحكام النساء» على النسخة التي أخرجها وحققها علي محمد المحمدي، التي تتكون من (٥٣٨) صفحة، لأنها أوثق النسخ وأصحها.

ثامنًا: الدراسات السابقة

بعد الاطلاع والبحث في ملخصات وفهارس رسائل الماجستير والدكتوراه في التربية الإسلامية، وبعد الرجوع إلى معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، والرجوع إلى العديد من المكتبات العامة والخاصة، ومنها مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض، وكذا إفادة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، لم أجد أي دراسة تناولت فكر ابن الجوزي المتعلق بتربية المرأة، وإنما تبيّن وجود عدد غير قليل من الدراسات التي تناولت ابن الجوزي في الفقه والتفسير والتاريخ والأخلاق وغيرها، نظرًا لمكانة هذا العالم الجهبذ، ولتعدد العلوم والفنون التي ألّف فيها، إضافة إلى وجود عدد من الدراسات المتعلقة بتربية المرأة المسلمة بصفة عامة، ولكن سأركز على الدرسات العلمية التي لها صلة مباشرة بموضوع الدراسة؛ وهذا ما نص عليه العساف بقوله: « فالذي يُراجَع هو الدراسات العلمية وحدها التي لها علاقة مباشرة بمشكلة البحث ككل أو بجانب من جوانبها »[(١)].

وسأورد تلك الدراسات وفق المنهجية التالية:

١ - موضوع الدراسة. ٢ - الهدف.

٣ - المنهج. ٤ - أهم النتائج.

---

(١) صالح العساف: « المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية »، ص(٦٧).

▫ - ثم أذكر موقع هذه الدراسة السابقة من حيث أوجه الاتفاق والاختلاف معها.

* **الدراسة الأولى**: دراسة: ليلى عبد الرشيد عطار بعنوان: « آراء ابن الجوزي التربوية؛ دراسة وتحليلًا وتقويمًا ومقارنة »[١].

هدف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن الفكر التربوي لابن الجوزي وإبراز الجانب التقويمي لآرائه التربوية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية والقواعد الأصولية وشروط الاجتهاد، ومقارنتها ببعض الآراء التربوية الأخرى، واستخلاص وجوه الاستفادة منها في تعليمنا وتربيتنا المعاصرة.

منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة المنهج التاريخي والمنهج الوصفي.

أهم النتائج:

١ - أسبقية ابن الجوزي لعلماء التربية وعلم النفس الحديث في بعض آرائه التربوية والنفسية.

٢ - تحليله للعواطف والانفعالات الإيجابية والسلبية، وتقديم معالجات لبعض الحالات النفسية المرضية معالجة إسلامية فذة.

٣ - من جوانب سمات اهتمام ابن الجوزي التربوية، الاهتمام بآداب العالم والمتعلم، وغياب مثل هذا الاهتمام في العصر الحديث.

(١) ليلى عبد الرشيد عطار: « آراء ابن الجوزي التربوية ؛ دراسة وتحليلًا وتقويمًا ومقارنة ».

* **الدراسة الثانية**: دراسة: حليمة علي أبو رزق، بعنوان: «التربية العقلية عند ابن الجوزي»[(١)].

هدف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى توضيح مفهوم العقل عند ابن الجوزي، وبيان خصائص وأهداف وطرق التربية العقلية عنده.

منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة المنهج التاريخي والمنهج التحليلي الاستدلالي.

أهم النتائج:

من أهم نتائج الدراسة ما يلي:

١ - الطرق التي استخدمها ابن الجوزي في تربية العقل تتضافر مع بعضها لتوضيح العبرة والموعظة منها والترغيب والترهيب في عمل الخير والبعد عن الشر.

٢ - عدم إيمان النظرية البرجماتية بالله ﷻ وما أنزل عن طريق الوحي، والحقيقة عندها تخضع للتجربة والبحث. والتربية العقلية تربية ربانية مثالية تربط المسلم بالله ﷻ. والتخلق بالأخلاق الحسنة والسلوك السوي من ثمرات العقل الواعي المدرك لله تعالى، وهذه الخاصية تجعل التربية العقلية عند ابن الجوزي متميّزة عن التربية العقلية في سائر المذاهب الوضعية التي تبقي العقل الإنساني أسير هذا العالم المحسوس.

---

(١) حليمة علي أبو رزق: «التربية العقلية عند ابن الجوزي».

الدراسة الثالثة: دراسة: آمنة محمد نصير، بعنوان: «أبو الفرج ابن الجوزي آراؤه الكلامية والأخلاقية»[١].

هدف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى توضيح آراء ابن الجوزي الكلامية والأخلاقية.

منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة المنهج التاريخي والمنهج التحليلي.

أهم النتائج:

١- يرى ابن الجوزي أن العقل له وجوده وماهيته ووظائفه، وأنه محدود بقدرة يتعين عليه استعمالها وعدم تجاوزها، كما يرى أن أساس الأخلاق هو الشرع والعقل.

٢- أن العلل الأخلاقية عنده عائدة إلى اتباع الهوى، ومنهجه في اجتناب الهوى هو الاعتدال في كل شيء.

٣- أن له نظرة تربوية عميقة في تربية الصغار تدل على فهم واسع لتأثير البيئة، وأن جوانبه الوعظية والتربوية جديرة بأن تفرد لها مباحث خاصة.

* **الدراسة الرابعة**: دراسة: صالح المغاوري المغازي، بعنوان: «الفكر التربوي عند الإمام أبي الفرج ابن الجوزي»[٢].

---

(١) آمنة محمد نصير: «أبو الفرج ابن الجوزي آراؤه الكلامية والأخلاقية».

(٢) صالح المغازي: «الفكر التربوي عند الإمام أبي الفرج ابن الجوزي».

هدف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى إبراز الفكر التربوي لابن الجوزي، ومعرفة أهم آرائه التربوية في مجال التربية والتعليم.

منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج التاريخي.

أهم النتائج:

١ - أن ابن الجوزي كان ملتزمًا خطًّا فكريًّا واحدًا لم يحد عنه، وهو نابع من إيمانه الأصيل بالعقيدة الراسخة والتمسك بالفضائل السامية.

٢ - أن المجتمع - في رأي ابن الجوزي - حقيقة جوهرية في حياة الأفراد، لا يستطيع الفرد بذاته أن يستمر في الوجود، كما أن التربية عملية اجتماعية لأنها تهدف إلى إعداد الفرد للحياة في مجتمعه لكي يضطلع بالأدوار التي تُطلب منه.

الدراسة الخامسة: دراسة: عبد العزيز سيد الغزولي، بعنوان: «ابن الجوزي الإمام المربي، والواعظ البليغ والعالم المتفنن»[(١)].

هدف الدراسة:

توضيح جوانب حياة ابن الجوزي المختلفة والوقوف على مصادر معرفته ومنهجه في التفكير، وإبراز آرائه في نقد المجتمع، ومنهجه في الإصلاح، وتوضيح آرائه في النفس البشرية وبعض آرائه في العبادة والتربية.

---

(١) عبد العزيز الغزولي: «ابن الجوزي الإمام المربي، والواعظ البليغ والعالم المتفنن».

منهج الدراسة :

استخدم الباحث المنهج التاريخي .

أهم النتائج :

١ - يتمتع ابن الجوزي بشخصية قوية تتسم بالذكاء وقوة التحمل والصبر والجلد، وقد ظهر نبوغه وتفوقه في كثير من مجالات العلم والفكر .

٢ - لم يقف ابن الجوزي من الأحداث التاريخية التي كانت في عصره والانحرافات الخلقية موقفًا سلبيًّا، بل إنه أخذ ينظر ويحلل وينقد ويوجه ويعظ .

٣ - نقد ابن الجوزي لطوائف مجتمعه إنما كان لرغبته في الإصلاح والتهذيب، وكان يتصف بالموضوعية والحياد ويستند إلى العقل والنقل، ويلفت الناس إلى علل أخلاقية خطيرة ينبغي تلافيها، ويضع الحلول لكثير من المشكلات .

* **الدراسة السادسة**: دراسة: عبد البديع عبد العزيز الخولي، بعنوان: « التربية والتعليم عند ابن الجوزي »[1] .

هدف الدراسة :

توضيح آراء ابن الجوزي في التربية والتعليم من خلال العصر الذي عاش فيه .

منهج الدراسة :

استخدم الباحث المنهج التاريخي .

---

(١) عبد البديع الخولي: « التربية والتعليم عند ابن الجوزي ».

أهم النتائج:

١- يُحمد لابن الجوزي اهتمامه بتربية الجسم وتصحيح المفاهيم الخاطئة، فليس الزهد في الإسلام حرمانًا مطلقًا وكسلًا وخروجًا من حلبة الصراع بين الخير والشر كما أشاع بعض متصوفي عصره.

٢- في حديثه عن النفس وأمراضها وتربيتها اتسعت اهتماماته فانطلق من الأصول الإسلامية واستفاد من الفكر الفلسفي في أساليب تربية النفس.

موقع هذه الدراسة من الدراسات السابقة:

* تتفق هذه الدراسة مع الدراسات السابقة في اتخاذ فكر ابن الجوزي محورًا للدراسة والبحث، على اختلافٍ فيما بينها في الجانب الذي تناولته كل دراسة؛ فمنها ما اهتم بآرائه التربوية إجمالًا، ومنها ما اهتم بجانب التربية العقلية عنده، ومنها ما تناول التربية والتعليم، ثم تأتي هذه الدراسة لتتناول تربية المرأة في فكره التربوي لتكون مكملة لما قبلها من الدراسات.

* كما تتفق هذه الدراسة مع الدراسات السابقة في الهدف العام لها جميعًا والمتضمن إبراز جوانب الاستفادة من فكر ابن الجوزي التربوي، ثم تختص كل دراسة بالهدف الخاص لها؛ حيث إن هدف هذه الدراسة توضيح رؤيته لتربية المرأة والاستفادة من تلك الرؤية في هذا العصر.

* وتتفق هذه الدراسة مع الدراسات السابقة في استخدام المنهج التاريخي، والسبب في ذلك كون جميع الدراسات تدور حول شخصية ابن الجوزي، ومعلوم أن دراسة الشخصيات وأفكارها تعتمد على المنهج

التاريخي، ولقد انفردت بعض الدراسات السابقة باستخدام مناهج أخرى، مثل المنهج الوصفي.

* كما تتفق هذه الدراسة مع الدراسات السابقة في جزء من النتائج والمقترحات العامة مثل: غزارة علم ابن الجوزي وسعة اطلاعه وأهمية فكره التربوي وضرورة دراسة ذلك الفكر في جميع الجوانب المختلفة، مع الاختلاف بين كل دراسة بما يخصها من نتائج ومقترحات خاصة بها.

ومن خلال العرض السابق فإن هذه الدراسة قد استفادت من الدراسات السابقة في جوانب متعددة؛ من أهمها توظيف المنهج التاريخي في التعريف بعصر ابن الجوزي وجوانب حياته العلمية والتربوية، كما أفادت من تلك الدراسات في تكوين رؤية عامة عن فكره التربوي في أساليب التربية، والتربية العقلية، وفي آرائه في التربية والتعليم بشكل عام.

وبذلك يتضح لنا أن هذه الدراسة إنما هي مكملة للدراسات السابقة في جانب مختلف عنها، وهو آراء ابن الجوزي في تربية المرأة، وتوضيح مدى الاستفادة منها في الواقع التربوي المعاصر، حتى تكتمل الصورة عن فكر ابن الجوزي التربوي.

الفصل الثاني

« عصر ابن الجوزي وترجمته »

أولًا : عصر ابن الجوزي.

ثانيًا : ترجمة ابن الجوزي.

ثالثًا : لمحة موجزة عن كتاب « أحكام النساء » .

أولًا: عصر ابن الجوزي

أدرك ابن الجوزي معظم القرن السادس الهجري الذي شهد اضطرابات ساسية وفكرية واجتماعية واسعة؛ فقد كانت الأمة العربية والإسلامية تعاني من صراعاتٍ متعددة؛ نظرًا لأنها كانت تفتقر إلى الاستقرار السياسي والاجتماعي.

وحيث إن المفكر ابن عصره فسوف أعرض لأبرز ملامح ذلك العصر لكي تتضح الصورة عن الواقع الذي عاش فيه ابن الجوزي.

١ - الحالة السياسية:

يُعتبر القرن السادس من القرون التي شهدت حوادث سياسية مختلفة؛ فقد كان السلاجقة يسيطرون على مركز الخلافة في بغداد مُنذ أن دخلوها سنة (٤٤٧هـ)، ولم يكن للخلفاء العباسيين أي دور سياسي يُذكر في تلك الفترة، وإنما ظلّوا محتفظين بسلطتهم الدينية من أجل تصريف أمور الرعية اليومية. وقد شهد النصف الثاني من هذا القرن انهيار الدولة السلجوقية بسبب الصراعات الداخلية فيما بينهم، وتمرد الأمراء المحليين عليهم مما أدى إلى قيام الدولة الخوارزمية التي كان لها أطماع مختلفة هزت كيان بغداد وآمالها الجديدة، ولكن زحف المغول لم يُمهل الدولة الخوارزمية والدولة العباسية طويلًا حيث قضى عليها جميعًا[(١)].

---

(١) حسن الحكيم: «كتاب المنتظم لابن الجوزي دراسة في منهجه وموارده وأهميته»، انظر: ص(٣٤ - ٣٥)، وحسن إبراهيم: «تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي =

ولقد عاصر ابن الجوزي مقاومة الحروب الصليبية بقيادة عماد الدين زنكي وابنه نور الدين زنكي اللذين كان لهما دور كبير في وقف التقدّم الصليبي على بلاد الشام(١). كما عاصر سقوط دولة الفاطميين الشيعية في مصر عام (٥٦٧هـ)، وقيام الدولة الأيوبية بقيادة صلاح الدين الأيوبي، وصنف كتابًا بهذه المناسبة سماه «النصر على مصر»(٢).

ثم استمر صلاح الدين في نصرته للإسلام حيث صعّد العمليات العسكرية ضد القوى الصليبية وطردهم من بلاد المسلمين في معركة حطين الشهيرة سنة (٥٨٣هـ)، وكان له دور كبير في توحيد صفوف الأمة الإسلامية(٣). وقد كان لتلك الأحداث السياسية تأثير في فكر ابن الجوزي مما جعله يسجل أغلبها بالتفصيل في كتابه «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»(٤). بل وألّف كتابًا سماه «الشفا في مواعظ الملوك والخلفاء».

٢ - الحالة الاجتماعية والاقتصادية:

شهد ابن الجوزي العديد من الظواهر والفتن الاجتماعية التي تمثلت في الصراعات الطائفية بسبب الفوضى السائدة في بغداد إبّان حكم السلاجقة ومن بعدهم، وقد أورد في كتابه «المنتظم» الكثير من الحوادث المؤسفة التي كانت تتعرض لها بغداد في ذلك الوقت(٥).

= والاجتماعي»: ج٤، انظر: ص(٧ - ٦٠).

(١) ابن الجوزي: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»، ج١٧، انظر: ص(١٤٠) وما بعدها؛ من أحداث سنة ثمان وخمسمائة هجرية إلى آخر الكتاب.

(٢) المصدر السابق، انظر: ج١٨ ص(١٩٦).

(٣) محمود شاكر: «التاريخ الإسلامي»، انظر: ج٦ ص(٣٢٣).

(٤) ابن الجوزي: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»، انظر: ج١٧ ص(١٤٥) إلى نهاية الجزء الثامن عشر.

(٥) المصدر السابق، ج١٧، انظر - مثلًا -: ص(٢٤٥).

وقد كان التفاوت الطبقي منتشرًا في ذلك الوقت؛ حيث طبقة الخاصة من الخلفاء والأمراء والأثرياء الذين يملكون الأموال الطائلة، وطبقة العامة الذين يُمثّلون السواد الأعظم من الناس؛ وهم من أهل الحرف والصنائع والفلاحين وغيرهم، وقد ذكر ابن الجوزي أن عامة بغداد كانوا يؤلفون خليطًا من العرب والفرس والترك والنبط والأرمن والجركس والأكراد والبربر وغيرهم. ورغم ذلك فإن اللغة العربية هي السائدة نظرًا لأنها اللغة الأصلية للدولة الإسلامية آنذاك بحكم خلافة العباسيين الذين ينتمون إلى موطن عربي(١).

أمّا الحالة الاقتصادية فقد ساءت بشكل كبير، نظرًا لوجود الاضطرابات السياسية وضعف هيبة الدولة وقلة الموارد المالية، وكان من أهم أسباب تدني الحياة المعيشية سوء توزيع الثروة بين الناس، مما أدى إلى اختلال التوازن بين مستويات الناس، وقد أدى الفقر لدى بعض طبقات المجتمع إلى درجة أكل الميتة من شدة الجوع، بل إن هناك من مات جوعًا(٢)، إضافة إلى كثرة الضرائب التي كانت تُضرب على الناس، وقد أدى ذلك إلى ظهور اللصوص والعيّارين(٣) الذين عاثوا في الأرض فسادًا، وقد حفل كتاب «المنتظم» بجملة من أخبار هؤلاء(٤).

---

(١) حسن إبراهيم: «تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي»، ج٤، انظر: ص(٥٨٦).

(٢) حسن الحكيم: «كتاب المنتظم لابن الجوزي دراسة في منهجه وموارده وأهميته»، انظر: ص(٣٢).

(٣) العيّارون هم فئة وُجدت في بغداد تقوم بعمليات نهب وسرق وقتل. انظر: «كتاب المنتظم لابن الجوزي دراسة في منهجه وموارده وأهميته»، ص(١٢١).

(٤) ابن الجوزي: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»، ج١٧، انظر: ص(١٨٥، ١٩٤)، وج١٨ ص(١٨٢).

هذا بالإضافة إلى أن فيضان نهر دجلة أدى إلى اختلال الأمن، وأُهمل نظام الري، حتى إن نصف أراضي العراق تحولت إلى خراب ومستنقعات بعد أن كانت أراضيها عماد الثروة للدولة العباسية(١).

٣ - الحالة الدينية والفكرية:

رغم الاضطرابات السياسية والاجتماعية إلَّا أن هذا العصر تميّز بكثرة العلماء والمفكرين؛ حيث شهد كثيرًا من النشاط الديني والفكري، ولمعت فيه شخصيات فكرية من الشافعية والحنابلة والمالكية وعلماء اللغة والأدب والشعراء والمؤرخين وغيرهم، من أمثال الفقيه علي بن عقيل (ت ٥١٣هـ)، وبرهان الدين الفرغاني (ت ٥٩٣هـ)، وأبي منصور الجواليقي (ت ٥٣٩هـ).

وقد برزت العديد من الاتجاهات الدينية والفكرية؛ مثل: الاتجاه العقلي الذي تزعمه الفلاسفة والكلاميون ولا سيما المعتزلة وبعض الفرق الأخرى كالإمامية، وقد وقف ابن الجوزي من هذا الاتجاه موقفًا حازمًا، وبيّن الأخطاء التي وقع فيها المعتزلة والباطنية وغيرهم.

وهناك الاتجاه السلفي الذي مال إليه أهل الحديث في محاولة لإيقاف الاتجاه العقلي، وقد شدد أهل الحديث النكير على الفلاسفة والكلاميين وكل من يأخذ بالنزعة العقلية، وكان ابن الجوزي يميل إلى هذا الاتجاه بحكم أنه حنبلي المذهب.

ومنها الاتجاه الصوفي الذي برز في بغداد خاصة نتيجة رد فعلٍ

---

(١) حسن إبراهيم: «تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي»، ج٤، انظر: ص(٥٨٧).

لشيوع المذاهب الفلسفية والعقلية، ولكن رافقه بعض المشعوذين والدجالين حتى شاعت في صفوفهم الخوارق والمنامات، وقد ظهرت في هذا الاتجاه العديد من الطرق، مثل ظهور الطريقة القادرية نسبة إلى عبد القادر الجيلي (ت ٥٦١ هـ)، والرفاعية نسبة إلى أحمد الرفاعي (ت ٥٧٠ هـ)، وظهور غلاة الصوفية الذين خلطوا مسائل الكلام والفلسفة بعلمهم الذوقي[(١)].

ولم تنقطع المنازعات والخصومات بين السُّنة والشيعة سواء في المساجد أو الأماكن العامة أو على مستوى العلماء، نظرًا للاختلاف الجذري بينهما في كثير من المسائل العقدية والتاريخية[(٢)]. وكانت هناك فرقة الباطنية التي تسببت في كثير من الفتن وكان لها دور في تهديد الأمن بسبب ما تقوم به من أعمال النهب والسلب والسرقة والقتل[(٣)].

وقد سجل ابن الجوزي تلك الحركة في كتاب « المنتظم »[(٤)]، وكتاب « تلبيس إبليس » الذي نقد فيه العديد من طوائف المجتمع، فأشار إلى ظهور بعض الحركات الفكرية المتصفة بالغلو مثل الباطنية وغلاة الصوفية وجاحدي البعث وغيرهم[(٥)].

أمّا حركة الوعظ فهي مظهر من مظاهر ثقافة القرن السادس

---

(١) حسن الحكيم: « كتاب المنتظم لابن الجوزي دراسة في منهجه وموارده وأهميته »، انظر: ص(١٦٩ - ١٧٣).

(٢) حسن إبراهيم: « تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي »، ج٤، انظر: ص(٥٨٧).

(٣) ابن الجوزي: « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم »، ج١٧، انظر: ص(٢٢٤ و٢٥٤).

(٤) « كتاب المنتظم لابن الجوزي دراسة في منهجه وموارده وأهميته »، انظر: ص(١٦٩ - ١٧٢).

(٥) ابن الجوزي: « تلبيس إبليس »، انظر: ص(٧) وما بعدها.

الهجري؛ فقد انتشر الوعّاظ في أنحاء كثيرة من الدولة، رغم المضايقات من قِبل السلطة في بعض الأحيان[١]، وعلى رأس أولئك الوّعاظ نجد أن ابن الجوزي له اليد الطولى إذ يُعدّ واعظ عصره بلا منازع، نظرًا لما آتاه الله من روعةٍ في الأسلوب وبلاغةٍ في القول، وغزارةٍ في العلم جذبت إليه الناس على اختلاف طبقاتهم.

٤ - الحياة العلمية والتربوية:

إن الازدهار العلمي الذي ظهر في القرن السادس ما هو إلا امتداد للحياة العلمية المزدهرة التي شهدتها الأمة الإسلامية منذ بزوغ فجر الإسلام مرورًا بعصر الخلفاء الراشدين، والعصر الأموي والعباسي التي شهدت أعظم مرحلة علمية في حياة الأمة الإسلامية والعربية؛ فقد زخرت المكتبات الإسلامية بتراثٍ ضخم من المخطوطات والمصنفات في شتى العلوم والفنون، والتي انتقل منها كمّ هائل إلى بلدان كثيرة من العالم لأسباب متعددة، ولا يزال العالم ينهل من معين تلك المصنفات في مجالات مختلفة حتى يومنا هذا.

ويمكن إيجاز أهم ملامح الحياة العلمية والتربوية في ذلك القرن في الآتي:

أ - تميّزت بغداد وما حولها ببيئة علمية خصبة، نظرًا لأنها كانت مركز الخلافة، وقد كان الخلفاء والولاة والأمراء يسهمون في تشجيع العلم والعلماء عن طريق بذل الهبات والعطايا للعلماء والمتعلمين، وبناء

---

(١) حسن الحكيم: «كتاب المنتظم لابن الجوزي دراسة في منهجه وموارده وأهميته»، انظر: ص(١٧٣).

المدارس والمساجد والمكتبات والاهتمام بها، إضافة إلى حرصهم على حضور مجالس العلم والفكر والأدب، فقلّما يخلو مجلس الخليفة من العلماء أو الأدباء والمفكرين أو غيرهم.

ب - انتشرت مراكز العلم في تلك الفترة بشكل كبير في أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي؛ فقد كانت المساجد والجوامع الإسلامية أماكن خصبة لطلب العلم؛ حيث يلتقي فيها العلماء وطلاب العلم بصفة مستمرة. ونجد الأيوبيين الذين وضعوا حدًّا للحكم الشيعي في مصر قد أنشؤوا المدارس لأول مرة في مصر والشام، وكانت كثيرة العدد بحيث تمكنت من إشاعة السنة في نفوس الناس في وقت قصير، ويمتاز هذا العهد بأن الخلفاء والأمراء والأميرات والتجار وغيرهم قد أسهموا في إنشاء المدارس وفي رعاية العلم(١).

«وقد كانت نظامية بغداد أولى المدارس النظامية وأهمها التي أسسها نظام الملك سنة ٤٥٩هـ»(٢).

وقد استفاد ابن الجوزي من تلك المدرسة حيث درّس فيها ونهل من معين كتبها، حيث يقول - في أحداث سنة (٥٧٠هـ) -: «وفي يوم الخميس خامس وعشرين شعبان سُلّمت إليّ المدرسة التي كانت دارًا لنظام الدين... فألقيتُ يومئذٍ دروسًا كثيرة من الأصول والفروع»(٣).

ويقول في موضع آخر: «ولقد نظرت في ثبت الكتب الموقوفة في

(١) حسن الحكيم: «كتاب المنتظم لابن الجوزي دراسة في منهجه وموارده وأهميته»، انظر: ص(١١٧).

(٢) المرجع السابق، ص(١١٩).

(٣) ابن الجوزي: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»، ج١٨، ص(٢١٤).

المدرسة النظامية، فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد »[١].

جـ - زخر العالم الإسلامي في ذلك الوقت بالعديد من المكتبات الخاصة والعامة التي أثرت الحياة العلمية والتربوية، وقد ذكر ابن الجوزي في كتاب « المنتظم » ثمانيَ وثلاثين مكتبة معظمها في بغداد[٢]. وتُعد (دار الحكمة) أول مكتبة عامة أنشأها المأمون في بغداد وجمع فيها مصنفات عديدة من الكتب العربية واليونانية وغيرها، ولمّا جاء عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله الذي امتد حكمه (من ٥٧٥هـ إلى ٦٢٢هـ)، أسس مكتبة من أضخم المكتبات في ذلك الوقت، ذلك لأنه كان يولي الناحية العلمية عناية خاصة[٣].

د- كانت المناظرات تُعقد في مجالس الخلفاء والوزراء والأمراء، مما يدل على أن هناك حركة علمية واسعة.

* يقول الدكتور أحمد شلبي: « وحينما استولى السلاجقة على بغداد وعلى أغلب العالم الإسلامي، ظهر اسم الوزير نظام الملك الذي كان السلطان الحقيقي لدولة السلاجقة الأولى، وكان هو نفسه عالمًا، فكانت تعقد المناظرات في حضرته »[٤].

هـ - وكان من أهم السمات التي تمّيز بها عصر ابن الجوزي هو تصدي علماء المسلمين للكتابة في التربية والتعليم كتابة مستفيضة تعكس

---

(١) ابن الجوزي: « صيد الخاطر »، ص(٥٦٠).

(٢) حسن الحكيم: « كتاب المنتظم لابن الجوزي دراسة في منهجه وموارده وأهميته »، انظر: ص(١٦٦).

(٣) أحمد شلبي: « التربية الإسلامية »، انظر: ص(١٩٤).

(٤) المرجع السابق، ص(٩٢).

اهتمامًا خاصًا بها[١]؛ فقد شهد بداية القرن السادس الهجري وفاة أبي حامد محمد بن محمد الغزالي سنة (٥٠٥هـ) الذي يُعد من علماء الإسلام البارزين، والمفكرين النادرين الذين أثروا المكتبة الإسلامية بآرائهم التربوية؛ فله آراءٌ في تربية الطفل وتأديبه وفي التربية الخلقية، وله آراءٌ في آداب العالم والمتعلم وفي جوانب متعددة في التربيـة والتعليم[٢].

كما ظهر في ذلك القرن محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي المشهور بـ « أبي بكر بن العربي » المتوفى سنة (٥٤٣هـ)، الذي أضحى من العلماء الذين نقلوا التراث الفكري الحضاري من مختلف المراكز الثقافية وشتى المدارس بالمشرق إلى المغرب، وكانت له آراء تربوية متعددة، أوردها عمّار طالبي في كتابه « آراء أبي بكر بن العربي الكلامية »[٣].

والذي يبدو من التتبع التاريخي لحياة ابن العربي أنه لم يقابل ابن الجوزي ولم يقرأ كتبه، ولم يذكر اسمه في أيٍّ من مؤلفاته الكثيرة[٤].

وممن تناولوا الحديث عن التربية والتعليم في تلك الفترة برهان الدين الزرنوجي المتوفى سنة (٥٩١هـ) صاحب كتاب « تعليم المتعلم طريق التعلم » الذي تُرجم إلى اللغة اللاتينية وعدد من اللغات الأجنبية مثل الألمانية والإنجليزية لما يحمله من قيم تربوية مفيدة؛ حيث اعتمد

---

(١) محمد منير مرسي: « التربية الإسلامية: أصولها وتطورها في البلاد العربية »، انظر: ص(١٩٧).

(٢) عبد الله عبد الدائم: « التربية عبر التاريخ »، انظر: ص(٢٢٩ - ٢٤١).

(٣) عمار طالبي: « آراء أبي بكر بن العربي الكلامية »، انظر: ص(٢٢٩ - ٢٣٩).

(٤) ليلى عبد الرشيد عطار: « آراء ابن الجوزي التربوية »، انظر: ص(٥٠٢).

على التربية الدينية والخلقية كأساس متين من أسس التربية الإسلامية وتحدث فيه عن العلم وفضله وعن آداب طلب العلم[١].

يقول عبد الله عبد الدائم عن الزرنوجي: «وقد ألّف رسالة لطيفة الحجم كثيرة الفوائد يلخص فيها آراء المربين المسلمين، متأثرًا بآراء الغزالي خاصة، وسمّى الرسالة «تعليم المتعلم»، وقد عني بها المربون المسلمون فنشروها وعلّقوا عليها»[٢].

كذلك من العلماء والمفكرين الذين اشتهروا في ذلك القرن محمد ابن أحمد بن رشد المشهور بـ«ابن رشد الحفيد» المتوفى سنة (٥٩٥هـ) الذي يرى أن الحكمة ليست وقفًا على اليونان، ويرى وجوب تنشئة الطفل على الفضائل منذ الصغر، كما يرى تربية الشعراء وتوجيههم لتناول ما هو خلقي، وله آراء تربوية يقول عنها عبد السلام الهراس: «وقد استطعنا أن نستخرج بعض أفكاره التربوية من خلال ما نُشر بالإنجليزية ترجمة عن ترجمة عبرية ولو كنا عثرنا على الأصل العربي لوقفنا على ثروة هامة في الفكر التربوي والسياسي للرجل»[٣].

٥ - المرأة في عصر ابن الجوزي:

تفاوتت مكانة المرأة ودورها في الحياة الاجتماعية والعلمية وغيرها، وبرزت منهن الزاهدات والعابدات، كما أنّ المرأة كانت

---

(١) فايزة عطا الله: «الفكر التربوي عند برهان الدين الزرنوجي في كتاب: تعليم المتعلم طريق التعلم»، انظر: ص(٣٢).

(٢) عبد الله عبد الدائم: «التربية عبر التاريخ»، ص(٢٦٠).

(٣) عبد السلام الهراس: «أبو الوليد محمد بن رشد الحفيد»، ج٣، ص(٨١).

محتشمة لها تقديرها في المجتمع[١]، وكانت تحضر مجالس الوعظ في المساجد في أماكن مخصصة لها، «ولم يكن التعليم مختلطًا بل كانت المرأة في منعزل عن الرجال»[٢].

وكان للنساء حظ وافر من العلم والأدب والتربية؛ فقد اشتهرت بعض العالمات، مثل فاطمة بنت محمد المتوفاة سنة (٥٣٩هـ) التي اهتمت بعلم الحديث، وكان المحدثون يذكرونها بـ «مسندة أصبهان» ويقولون عنها: «عُمّرت وتفردت بأشياء»، ونفيسة بنت محمد بن علي البزارة المحدثة الفقيهة المتوفاة سنة (٥٦٢هـ)[٣].

وقد ذكر ابن الجوزي في «مشيخته» أنه تتلمذ على ثلاث نسوة عالمات هن: فاطمة بنت محمد بن الحسين الرازي المتوفاة سنة (٥٢١هـ) التي قال عنها: «كانت شيختنا فاطمة واعظة متعبدة، لها رباط تجتمع فيه الزاهدات»[٤]، وفاطمة بنت أبي حكيم عبد الله بن إبراهيم الخبري التي قال عنها: «وكانت خيّرة وتوفيت في رجب سنة أربع وثلاثين وخمسمائة»[٥]، وشُهدة بنت أحمد بن الفرج بن عمر المتوفاة سنة (٥٧٤هـ) التي كان لها في الخط باع طويل، وفي الحديث كانت سندًا، وأصحاب السير يذكرونها بـ «الخطاطة» و«سند الحديث» و«فخر

---

(١) حسن الحكيم: «كتاب المنتظم لابن الجوزي دراسة في منهجه وموارده وأهميته»، انظر: ص(١٣٠ - ١٣٢).

(٢) فخري خضر: «تطور الفكر التربوي»، ص(١٤٩).

(٣) مشهور حسن سلمان: «عناية النساء بالحديث النبوي»، انظر: ص(٨٥ - ٨٦).

(٤) ابن الجوزي: «مشيخة ابن الجوزي»، ص(١٩٩).

(٥) المرجع السابق، ص(٢٠١).

النساء» و«مسند العراق»[١]، حدّث عنها جماعة من العلماء؛ منهم ابن الجوزي الذي قال فيها: «وكان لها خط حسن، وعاشت مخالطة لدار الخلافة وكان لها برّ ومعروف وقاربت المائة»[٢].

ولعل فيما سبق دلالة واضحة على ازدهار الحياة العلمية بشكل عام، والحياة التربوية بشكل خاص في تلك الفترة حيث ازداد اهتمام العلماء والمفكرين بالتربية والتعليم، وأصبحت للعديد منهم آراء تربوية متميّزة ربما لم يسبقهم إليها أحد من المفكرين والفلاسفة، وأضحت هناك مؤلفات مختصة بالتربية والتعليم، كما أن فيه دلالة على أنّ المرأة شاركت بشكل جيد في الحياة العلمية والتربوية والاجتماعية، وكانت تتبوأ منزلة رفيعة في المجتمع آنذاك.

ويمكن القول: إن ابن الجوزي استفاد من تلك الحركة العلمية والتربوية في تكوين فكره العلمي ونتاجه التربوي، بل وأصبحت التربية من أولوياته من خلال نصحه لجميع طبقات المجتمع ونقده لهم بقصد الإصلاح والتربية.

(١) مشهور حسن سلمان: «عناية النساء بالحديث النبوي»، انظر: ص(٨٥).

(٢) ابن الجوزي: «مشيخة ابن الجوزي»، ص(٢٠٢).

ثانيًا: ترجمة ابن الجوزي

١ - اسمه ونسبه ومولده:

هو الإمام العلّامة الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله القرشي البكري البغدادي يتصل نسبه بأبي بكر الصديق ﷺ، ونسبته إلى « الجوزي » اخُتلف فيها، فقيل: إنه منسوب إلى مكان بالبصرة تسمى « محلة الجوز »، وقيل: إنها موضع مشهور في واسط[(١)].

وقد وُلد سنة إحدى عشرة وخمسمائة هجرية تقريبًا. يقول ابن رجب: « وجد بخط يده: مات والدي في سنة أربع عشرة، وقالت الوالدة: كان لك من العمر ثلاث سنين. فعلى ذلك يكون مولده سنة إحدى عشرة أو اثنتي عشرة »[(٢)].

٢ - نشأته وطلبه للعلم:

لقد نشأ ابن الجوزي نشأة صالحة؛ فلما ترعرع جاءت به عمته إلى مسجد خاله أبي الفضل بن ناصر الذي حفّظه القرآن وعلمه القراءات وأسمعه الحديث وجعله يعتني باللغة والأدب وسائر العلوم والفنون، وحفظ الوعظ ووعظ وهو ابن عشرين سنة أو دونها، وكان وهو صبي ديّنًا

(١) ابن خلكان: « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان »، ج٣، انظر: ص(١٤٠)، والذهبي: « سير أعلام النبلاء »، ج٢١، انظر: ص(٣٦٥، ٣٦٦).

(٢) الذهبي: « سير أعلام النبلاء »، ج٢١، ص(٣٦٥).

مجموعًا على نفسه لا يخالط أحدًا ولا يأكل ما فيه شبهة[١]. يقول عن نفسه: « قد رُزقت عقلًا وافرًا في الصغر يزيد على عقل الشيوخ، فما ذكرت أني لعبت في الطريق مع الصبيان قط، ولا ضحكت مازحًا، ولقد كان الصبيان ينزلون إلى دجلة ويتفرجون على الجسر، وأنا في زمن الصغر، آخذ جزءًا وأقعد حجزة عن الناس، إلى جانب الرقة، فأتشاغل بالعلم »[٢].

ويعبّر عن رغبته الشديدة في طلب العلم وحبه له بقوله: « ولقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل؛ لأجل ما أطلب وأرجو. كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة، فأخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلّا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلّا لذة تحصيل العلم »[٣].

وقد سمع ابن الجوزي من شيوخ كثيرين فدرس كتب الحديث والمسانيد ودرس « صحيح البخاري » و« صحيح مسلم » وكثيرًا من كتب السنة على عددٍ كبيرٍ من العلماء أوردهم الذهبي في « سير أعلام النبلاء »، منهم الشيخ محمد بن علي البغدادي الفقيه اللغوي المتوفى سنة (٥٥٠هـ)، والشيخ علي بن أحمد بن عقيل الفقيه الأصولي المتوفى سنة (٥١٣هـ)، والشيخ عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي المتوفى سنة (٥٣٨هـ)، والشيخ موهوب بن أحمد الجواليقي المتوفى سنة (٥٤٠هـ)، وغيرهم كثير[٤].

---

(١) ابن كثير: « البداية والنهاية »، ج١٣، انظر: ص(٣٢).

(٢) ابن الجوزي: « صيد الخاطر »، ص(٩٣).

(٣) ابن الجوزي: « صيد الخاطر »، ص(٣٢٤).

(٤) الذهبي: « سير أعلام النبلاء »، ج٢١، انظر: ص(٣٦٦).

٣ - محنته ووفاته :

ابتلي ابن الجوزي في آخر عمره بمحنة مشهورة، ملخصها أن الركن عبد السلام بن عبد القادر الجيلي المُتوفى سنة (٦١١هـ) كان رديء المعتقد، متفلسفًا، عارفًا بعلوم التنجيم وغيرها من العلوم الرديئة، غير ضابط للسانه فأُحرقت كتبه بمشورة ابن الجوزي في عهد الوزير عبد الله ابن يونس الحنبلي المتوفى سنة (٥٩٣هـ)، وأُخذت مدرستهم وأُعطيت لابن الجوزي، فانسمَّ الركن، فلما تولى الوزارة ابن القصاب الرافضي الشيعي أتاه الركن وقال له : أين أنت من ابن الجوزي الناصبي؟ وهو أيضًا من أولاد أبي بكر. فكتب ابن القصاب إلى الخليفة الناصر - وكان له ميل إلى التشيع - فأمر بتسليمه إلى الركن ليتولى أمره، فجاءه وشتمه وأهانه، وختم على داره وشتت عياله ثم أخذه في سفينة إلى واسط وحبسه بها خمس سنين حتى شفعت له أم الخليفة فأُطلق سراحه. وتوفي ابن الجوزي ليلة الجمعة بين العشاءين في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة للهجرة النبوية الشريفة، وله من العمر سبع وثمانون سنة في بغداد(١)، رحمه الله رحمة واسعة.

٤ - تأثُّر ابن الجوزي وتأثيره :

لقد اعتمد ابن الجوزي على القرآن والسنة وهدي السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم من علماء الإسلام في أغلب آرائه العلمية والتربوية وغيرها، ومن المعلوم أنه قد تأثر بسير الصحابة والتابعين،

---

(١) الذهبي: «سير أعلام النبلاء»، ج٢، انظر: ص(٣٧٦ - ٣٧٩)، ومقال بعنوان: «ابن الجوزي» في مجلة: «الهداية الإسلامية»، انظر: ص(١٣٩).

وألّف في بعضهم مؤلفاتٍ مستقلة، مثل: «تاريخ عمر بن الخطاب» الذي سجل فيه جوانب عديدة من حياة عمر بن الخطاب ﷺ، كما صنّف كتابًا عن عمر بن عبد العزيز سماه: «سيرة عمر بن عبد العزيز»، حيث ذكر فيه صورًا مشرقة من حياة ذلك الخليفة الزاهد والعالم الورع.

وأمّا تأثره بالحسن البصري فهو تأثر واضح، ظهر في العديد من مصنفاته، فقد صنّف مؤلفًا مُستقلًا عن حياة الحسن البصري تحدّث فيه عن نشأة الحسن وصفاته وما ورد عنه من حكم ومواعظ وآداب وأخلاق وغيرها، إضافة إلى أنه كان ينقل عن الحسن كثيرًا، ونجد تشابهًا قويًّا في أسلوبهما الوعظي، وقد أكد ذلك أحد الباحثين بقوله: «والمتأمل في حياتيهما وسيرتيهما يرى تشابهًا بينهما في أمور عديدة؛ فكلاهما واعظ بلغ درجة لا تُبارى في الوعظ بما أوتيا من فصاحة لسان وحسن بيان، وكلاهما تشبّع وتأثر في وضوح بالمنبعين الرئيسيين: الكتاب والسنة، وكلاهما كان له مكانة اجتماعية بين الناس حيث اختلطا بهم فرأيا ما في المجتمع من مشاكل وما فيه من أحداث وتطورات»[(١)].

وممن تأثر بهم ابن الجوزي الإمام أحمد بن حنبل حيث حفظ مسنده منذ صغره، وقرأ العديد من كتبه، ودافع عنه كثيرًا وتفقه على المذهب الحنبلي وعمل على نشر آرائه المذهبية، وألّف كتابًا ضخمًا أطلق عليه مسمى «مناقب الإمام أحمد بن حنبل».

كما تأثر بالإمام أبي حامد الغزالي المتوفى سنة (٥٠٥هـ) تأثرًا كبيرًا خاصة في المجال التربوي حيث اطّلع على كثير من مصنفاته، وصنّف

(١) عبد العزيز سيد الغزولي: «ابن الجوزي الإمام المربي، والواعظ البليغ والعالم المتفنن»، ص(٩٤).

رسالةً إلى ولده على غرار رسالة الغزالي « أيها الولد » سماها « لفتة الكبد إلى نصيحة الولد »، كما أن الغزالي أراد أن يؤلّف كتابًا ويطلق عليه: « تلبيس إبليس » حيث قال: « ولعلنا إن أمهل الزمان صنّفنا فيه كتابًا على الخصوص نسميه « تلبيس إبليس »، فإنه انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد لا سيما في المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات إلّا رسمها، كل ذلك إذعانًا لتلبيسات الشيطان ومكايده »[١]، لكن لم يتمكن الغزالي من تأليفه وجاء ابن الجوزي فكتب عن ذلك وأطلق على كتابه « تلبيس إبليس »، وفي ذلك دلالة واضحة على تأثر ابن الجوزي بالإمام الغزالي في تأليف الكتاب والسير على نهجه. والذي يتأمل في مصنفاتهما بشكل عام يلمس تشابهًا كبيرًا بينهما في المنهج العلمي وطريقة التأليف ونقد المجتمع وسعة العلم وتعدد العلوم والمعارف.

ومن السمات الجامعة بين الرجلين أن كليهما يضيق بالتقليد والمقلدين، كذلك كان كلاهما حريصًا على التزود من كل نبع ثقافي يمكن التزود منه[٢].

ورغم ذلك كله إلا أن ابن الجوزي نقد طريقة الغزالي في التصوف وأخذ عليه مآخذ أخرى؛ ومن أشدها اتهامه بأنه غير دقيق في التثبت من الرواية والإلمام بالسير والتاريخ وعدم القدرة على نسج الروايات وتخليطها[٣].

وقد بيّن ذلك في مواضع متفرقة من كتبه؛ منها ما ذكره في ترجمة

---

(١) الغزالي: « إحياء علوم الدين »، ج٣، ص(٣٣).

(٢) آمنة محمد نصير: « أبو الفرج ابن الجوزي: آراؤه الكلامية والأخلاقية »، انظر: ص(٢٣١).

(٣) المرجع السابق، انظر: ص(٢٣٥، ٢٤٥).

الغزالي في كتاب « المنتظم »، حيث قال في كتاب « إحياء علوم الدين »: « وقد جمعتُ أغلاط الكتاب وسميته « إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء »، وأشرت إلى بعض ذلك في كتابي المسمى بـ « تلبيس إبليس » مثل ما ذكر في كتاب النكاح أن عائشة رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ: « أنت الذي تزعم أنك رسول الله »، وهذا محال، وإنما كان سبب إعراضه فيما وضعه عن مقتضى الفقه أنه صحب الصوفية فرأى حالتهم الغاية »[١].

وقال في موضع آخر: « وذكر في كتاب « الإحياء » من الأحاديث الموضوعة ما لا يصح غير قليل، وسبب ذلك قلة معرفته بالنقل، فليته عرض تلك الأحاديث على من يعرف، وإنما نقَل نقل حاطب ليل »[٢].

ويدل ذلك على استقلال ابن الجوزي الفكري والعلمي، فمهما تأثر بالعالم إلّا أن ذلك لا يمنعه من بيان الأخطاء التي وقع فيها.

ومن الذين تأثر بهم ابن الجوزي شيوخه الذين تلقّى عنهم علمه منذ نعومة أظفاره، وقد ألّف كتابًا سماه « مشيخة ابن الجوزي » ذكر فيه سبعة وثمانين شيخًا وثلاثًا من النسوة، وقال فيهم: « فلما فهمت الطلب كنت ألازم الشيوخ أعلمهم وأوثر من أرباب النقل أفهمهم فكانت همتي تجويد العُدد لا تكثير العدد »[٣].

ومن أبرز من تأثر به منهم اثنان؛ أحدهما: الشيخ عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي المتوفى سنة (٥٣٨هـ)، حيث يقول ابن الجوزي فيه: « ولقيت عبد الوهاب الأنماطي فكان على قانون السلف لم يسمع في

(١) ابن الجوزي: « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم »، ج١٧، ص(١٢٥).
(٢) المرجع السابق، ج١٧، ص(١٢٦).
(٣) ابن الجوزي: « مشيخة ابن الجوزي »، ص(٥٣) ».

مجلسه غيبة، ولا كان يطلب أجرًا على سماع الحديث، وكانت إذا قرأت عليه أحاديث الرقائق بكى واتصل بكاؤه، فكان - وأنا صغير السن حينئذٍ - يعمل بكاؤه في قلبي، ويبني قواعد، وكان على سمت المشايخ الذي سمعنا أوصافهم في النقل»[١]. والآخر أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي المتوفى سنة (٥٤٠هـ) الذي يقول فيه: «ولقيت أبا منصور الجواليقي، فكان كثير الصمت، شديد التحري فيما يقول متقنًا محققًا، وربما سُئل المسألة التي يبادر بجوابها بعض غلمانه فيتوقف فيها حتى يتيقن، وكان كثير الصوم والصمت»[٢]. ثم يُعقّب بعد ذلك بقوله: «فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما»[٣].

وأمّا تأثير ابن الجوزي فيمن أتى بعده، فقد أثر في تلامذته وخلق كثير ممن كانوا يحضرون دروسه، بل إن بعض كتبه انتشرت بشكل واسع خاصة في هذا العصر وطُبعت طبعات عديدة، مثل كتاب «صيد الخاطر»، و«صفة الصفوة»، و«تلبيس إبليس»، و«لفتة الكبد إلى نصيحة الولد» وغيرها، مما يدل على إعجاب الناس بها.

وترى ليلى عطار أن أبا عبد الله ابن قيّم الجوزية المتوفى سنة (٦٩١هـ) قد تأثر بابن الجوزي واستدلت على ذلك بنقولات من كتبهما[٤]. والدراسات العلمية المعاصرة عن ابن الجوزي كثيرة ومتنوعة ومتعددة المجالات، ربما تدل على تأثر كثير من المعاصرين بفكره العلمي والتربوي.

---

(١) ابن الجوزي: «صيد الخاطر»، ص(٢١٧).

(٢) المرجع السابق، ص(٢١٨).

(٣) المرجع السابق، ص(٢١٨).

(٤) ليلى عبد الرشيد عطار: «آراء ابن الجوزي التربوية»، انظر: ص(٩٢ - ٩٥).

٥ - مكانته العلمية:

يحتل ابن الجوزي مكانة علمية رفيعة لدى العلماء والباحثين نظرًا لسعة اطلاعه، وغزارة علمه، وكثرة تصانيفه، ومما يدل على ذلك ما أورده عبد الرحمن بن رجب في كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة » من أن ابن الجوزي كان « لطيف الصورة حلو الشمائل رخيم النغمة موزون الحركات والنغمات، لذيذ المفاكهة يحضر مجلسه مائة ألف أو يزيدون، لا يضيع في زمانه شيئًا، يكتب في اليوم أربعة كراريس يرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلدًا إلى ستين وله في كل علم مشاركة »[(١)].

ويُعرّفه ابن كثير بأنه: « الشيخ الحافظ الواعظ جمال الدين أبو الفرج المشهور بابن الجوزي القرشي التيمي البغدادي الحنبلي أحد أفراد العلماء برز في علوم كثيرة وانفرد بها عن غيره، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحوًا من ثلاثمائة مصنف وكتب بيده نحوًا من مائتي مجلدة، وتفرد بالوعظ الذي لم يُسبق إليه ولا يلحق شأوه فيه وفي طريقته وشكله »[(٢)]، بل إنه قد ذكر لابن الجوزي أوصافًا رائعة من شدة إعجابه به، من أبلغها قوله: « ولم يزل يؤرخ أخبار العالم حتى صار تاريخًا، وما أحقه بقول الشاعر:

ما زلت تدأبُ في التاريخ مجتهدًا ... حتى رأيتك في التاريخ مكتوبًا »[(٣)]

(١) ابن رجب: « الذيل على طبقات الحنابلة »، ج١، ص(٤١٢).
(٢) ابن كثير: « البداية والنهاية »، ج١٣، ص(٣١).
(٣) المرجع السابق، ج١٣، ص(٣٣).

ويعده ابن خلكان من العلماء الأفذاذ الذين بذلوا أوقاتهم في العلم والتصنيف فيقول: « كان علّامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ، صنّف في فنون عديدة... وبالجملة فكتبه أكثر من أن تُعدّ، وكتب بخط يده شيئًا كثيرًا »[١]. ونجد الذهبي يصفه بأنه: « الشيخ الإمام العلّامة الحافظ المفسر شيخ الإسلام مفخرُ العراق جمال الدين أبو الفرج »[٢]. ومن شدة إعجاب ابن العماد بابن الجوزي يصفه بأنه « الواعظ المتفنّن صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة في أنواع العلم »[٣].

ويثني عبد العزيز الغزولي على تقديم ابن الجوزي للكتاب والسنة، ونبذه للتقليد فيقول: « وبما أن ابن الجوزي مُقدّم للكتاب والسنة ومُنزل للعقل منزلته فإنه كان بعيدًا عن تقليد الأشخاص وتعظيمهم وترديد كلامهم لمجرد الإعجاب والتقليد »[٤].

ورغم تلك المكانة الرفيعة لذلك العَلَم الجهبذ إلّا أن الإنسان لا يسلم من النقص والخطأ؛ فقد استدرك العلماء رحمهم الله تعالى على ابن الجوزي بعض الهفوات والزلات التي وقع فيها رحمه الله، لعل أبرزها اضطرابه في بعض مسائل العقيدة بين التأويل والإثبات والتفويض، كما ذكر ابن رجب أنه « نقم عليه جماعة من مشايخ أصحابنا وأئمتهم ميله إلى التأويل في بعض كلامه واشتد نكيرهم في ذلك، ولا ريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف، وهو وإن كان مطلعًا على الأحاديث

(١) ابن خلكان: « وفيات الأعيان »، ج٣، ص(١٤٠).

(٢) الذهبي: « سير أعلام النبلاء »، ج٢١، ص(٣٦٥).

(٣) عبد الحي العكري: « شذرات الذهب في أخبار من ذهب »، ج٦، ص(٥٣٧).

(٤) عبد العزيز الغزولي: « ابن الجوزي الإمام المربي والواعظ البليغ »، ص(١١٣).

والآثار فلم يكن خبيرًا بحلّ شبهة المتكلمين وبيان فسادها»[١].

كما وقع رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أوهام وأغلاط كثيرة، وتصحيح للأحاديث الواهية والضعيفة، يقول فيه الذهبي: «له أوهام وألوان من ترك المراجعة، وأخذ العلم من صحف، وصنّف شيئًا لو عاش عمرًا ثانيًا، لما لحق أن يحرّره ويتقنه»[٢].

ويمكن أن نلتمس له العذر في تلك الأغلاط والأوهام لكثرة مؤلفاته التي فاق في كثرتها كل من سبقه، ولم يتمكن من مراجعتها وتحريرها.

٦ - مكانته التربوية:

لعل مكانة ابن الجوزي العلمية وطريقة تفكيره السبب في تبوئه منزلة تربوية مرموقة؛ ذلك أن اطلاعه الواسع على علوم القرآن والسنة والعلوم الأخرى، وتراث الأمم المختلفة كاليونان، ومخالطته لأفراد وطبقات مجتمعه، وتميّزه بالوعظ والعبادة، وتجاربه في الحياة، كانت من أهم الأسباب التي جعلت منه شخصية تربوية بارزة جديرة بالبحث والدراسة؛ إذ لا يزال تراثه التربوي بحاجة إلى دراسات أخرى تُكمل الجوانب التي لم تحظَ بنصيب من الدراسة والبحث.

وقد وضح العلماء رحمهم الله تلك المكانة من خلال ما ذكروه عن ابن الجوزي بأنه كان واعظ عصره إذ إن مصطلح «الوعظ» عندهم ربما يشمل النصح والتربية، ولذلك نرى أغلب الذين ترجموا له يصفونه بتلك الصفة.

---

(١) ابن رجب: «الذيل على طبقات الحنابلة»، ج١، ص(٤١٤).

(٢) الذهبي: «سير أعلام النبلاء»، ج٢١، ص(٣٧٨).

وعندما ازداد الاهتمام بالتربية في هذا العصر، وأصبحت هناك جامعات وكليات وأقسام متخصصة فيها، جدّ عددٌ من الباحثين المتخصصين في دراسة تراث ابن الجوزي التربوي وإخراجه للناس، وتوضيح مكانته التربوية من خلال الدراسات التي ركزت على إظهار نتاجه الفكري والتربوي. يقول حسن عبد العال: «كان له رَحِمَهُ اللَّهُ مشاركات في مختلف العلوم والفنون، فلم يعدم الفكر التربوي مشاركته فضمّن مؤلفاته نظرات ثاقبة في تقويم الطباع ورياضة الولدان وتأديب الإنسان وسياسته»(١).

ويقول أيضًا: «لقد جاءت اجتهادات ابن الجوزي التربوية لتبرز - إلى جانب اجتهادات أقرانه من رجالات الفكر الإسلامي - معالم صورة رائعة لنتاج الثقافة الإسلامية في مجال التربية، ولتدفع عن أجيالنا ما فتئت تنشره حملات الاستشراق والتغريب»(٢).

ومما استنتجه عبد الرحمن صالح عبد الله من دراسته لآراء ابن الجوزي في تربية العقل: «أنه دعا إلى العديد من المبادئ التي لم ينتبه إليها علماء النفس إلّا حديثًا»(٣).

ونجد عبد العزيز الغزولي يصف وصايا ابن الجوزي لطلاب العلم بصدق التجربة فيقول: «ووصايا ابن الجوزي ونصائحه لطالبي العلم تتسم بالمصداقية والتجربة الشخصية، فالرجل يستسقي من معين تجربته

---

(١) حسن عبد العال: دراسة بعنوان: «من ملامح الفكر التربوي عند أبي الفرج ابن الجوزي»، في مجلة: «رسالة الخليج العربي»، ص(٢٢).

(٢) المرجع السابق، ص(٢٢).

(٣) عبد الرحمن صالح: «ابن الجوزي وتربية العقل»، ص(٤٩).

الخاصة وقد خاض غمار طلب العلم، سعيًا إلى تحصيل العلوم المختلفة، ولقي الشدائد والمتاعب في سبيل ذلك، ومن ثم أودع خلاصة تجربته وعصارة ذهنه في تلك النصائح التي ينبغي على طالبي العلم أن يحتذوها »[١].

وتوضح ليلى عبد الرشيد عطار مكانته التربوية بإيراد جملة من النصوص لعدد من الباحثين تدل على المنزلة الرفيعة التي يحتلها تربويًّا[٢].

ثم تُعقب بعد ذلك بقولها: « ومن هنا يتضح لنا أن ابن الجوزي، بدأ يحتل مكانًا علميًّا وتربويًّا بارزًا بين علماء المسلمين، بسبب اهتمام الباحثين بآرائه التربوية، ومحاولة استخراجها وتصنيفها وتحليلها وبلورتها في وحدة تربوية متكاملة »[٣].

وهذه الدراسة ستكون - بإذن الله - محاولة للمساهمة في إكمال جانب من آراء ابن الجوزي التربوية، لتكتمل حلقات البحث في فكر ذلك العالم المتميّز.

٧ - مؤلفاته:

بلغت مؤلفات ابن الجوزي أكثر من ثلاثمائة مصنف في شتى العلوم والفنون، فقد كان واسع الإطلاع غزير العلم، وقد اتفق كل من ترجم له على كثرة تأليفه وسعة علمه.

---

(١) عبد العزيز الغزولي: « ابن الجوزي الإمام المربي، والواعظ البليغ، والعالم المتفنن »، ص(٣٣٠، ٣٣١).

(٢) ليلى عبد الرشيد عطار: « آراء ابن الجوزي التربوية »، انظر: ص(٩٨ - ١٠٠).

(٣) المرجع السابق، ص(١٠٠).

* يقول الذهبي: « لا أعرف أحدًا له تصانيف موجودة أكثر من ابن الجوزي في فنون العلم»[١]. ويكرر نفس العبارة في « تذكرة الحفاظ » فيقول: « ما علمت أحدًا من العلماء صنّف ما صنّف هذا الرجل »[٢].

ومن مصنّفاته في التفسير «المغني» ثم اختصره وسماه « زاد المسير »، وفي علم التفسير «الناسخ والمنسوخ»، و«أسباب النزول»، وفي علم الحديث «شرح مشكل الصحيحين»، و«الضعفاء والمتروكين»، و«الموضوعات»، و«العلل الواهية»، و«الجرح والتعديل»، وفي الفقه «الإنصاف في مسائل الخلاف»، و«البلغة في الفروع»، و«السر المصون» في الفرائض، وله في اللغة «تذكرة الأريب»، و«المدهش»، وفي التاريخ «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»، وفي السير «الوفا بفضائل المصطفى»، و«مناقب أبي بكر»، و«تاريخ عمر بن الخطاب»، و«مناقب علي»، و«مناقب الفُضيل»، و«مناقب عمر بن عبد العزيز»، و«مناقب سعيد بن المسيب»، و«مناقب الحسن»، و«صفة الصفوة» وغيرهما كثير، وله «الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء»[٣].

ومن كتبه التربوية « صيد الخاطر » وهو كتاب قيّم يمثل خلاصة فكره وتجربته في الحياة وقد ألّفه في مرحلة متأخرة من حياته، وموضوع

---

(١) الذهبي: « المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي »، ج١٥، ص(٢٣٨).

(٢) الذهبي: « تذكرة الحفاظ »، (د. ت) ج٤، ص(١٣٤٤)، وواضح أن عبارات الذهبي كانت قبل ظهور السيوطي وغيره الذين فاقوا ابن الجوزي في كثرة التصانيف والمؤلفات.

(٣) الذهبي: « تذكرة الحفاظ »، ج٤، انظر: ص(١٣٤٣ - ١٣٤٤)، و« سير أعلام النبلاء »، ج٢١، انظر: ص(٣٦٨ - ٣٧٥).

الكتاب يدور حول خواطر وأفكار متنوعة، وقد تحدث في الكتاب عن القلب والنفس والعقل والعلم والعلماء وغير ذلك. وكتاب « ذم الهوى » ويعالج فيه الانحرافات والمفاسد الشائعة في المجتمعات، وهو مجلد كبير يحتوي على أربعين بابًا؛ تكلم فيه عن العقل وفضله وذم الهوى والشهوات ومجاهدة النفس وغير ذلك من الموضوعات. وكتاب « تلبيس إبليس » من أهم كتب ابن الجوزي إذ يعالج فيه مداخل الشيطان وكيف يتعامل معها الإنسان.

ومن أشهر كتبه التربوية « لفتة الكبد إلى نصيحة الولد » وهو عبارة عن رسالة قيّمة أرسلها إلى ولده اشتملت على نصائح تربوية جامعة؛ منها توضيح واجبات طالب العلم وأسباب تحصيله، وحفظ الأوقات والعمل للآخرة، ووضع لولده منهجًا تربويًا متميزًا للعمل به في اليوم والليلة، وحذره من الآفات والعوائق التي تقف في وجه طالب العلم(١). وله كتاب « الأذكياء » الذي تحدث فيه عن العقل وأقسامه وشرفه وفضله، ثم ذكر كثيرًا من القصص التي تدل على أهمية العقل وفضله.

وله كتاب « أحكام النساء » الذي سأورد تعريفًا موجزًا عنه في المبحث التالي نظرًا لأنه يحتوي على أغلب آرائه في تربية المرأة.

(١) ابن الجوزي: « لفتة الكبد إلى نصيحة الولد »، انظر: ص(٤٧) وما بعدها.

ثالثًا: لمحة موجزة
عن كتاب: « أحكام النساء »

إذا كان ابن الجوزي قد صنّف كمًّا هائلًا من المصنفات في شتى العلوم الشرعية واللغوية والتاريخية وغيرها، فإنه قد خص المرأة بكتاب قيّم سماه « أحكام النساء » اهتم فيه ببيان الجوانب التربوية والأحكام الفقهية والأدبية، وغلب عليه الاهتمام بالجانب التربوي. ونظرًا لأن ذلك الكتاب يحتوي على معظم الآراء التربوية الخاصة بالمرأة، فسأورد لمحة موجزة عنه حتى يكون القارئ على علم بمكانته وقيمته.

١ - نسبة الكتاب إلى مصنفه:

هناك أدلة واضحة تؤكد صحة نسبة كتاب: « أحكام النساء » لابن الجوزي، ومنها ما يلي:

* ما ذكره ابن الجوزي في كتاب « تلبيس إبليس » حيث قال: « وقد أفردت كتابًا للنساء ذكرت فيه ما يتعلق بهن من جميع العبادات وغيرها »[1]، ثم ذكر بعضًا من الموضوعات الموجودة في كتاب « أحكام النساء »: مثل جهل بعض النساء بمسائل الطهارة من الحيض والجنابة، ودخول الحمام وعورة المرأة من المرأة، ومسائل في صلاة المرأة مما يدل دلالة واضحة على صحة نسبته لمؤلفه.

* أن ابن الجوزي نص في كتاب « أحكام النساء » على كتاب « صفة

---

(١) ابن الجوزي: « تلبيس إبليس »، ص(٥٦٣).

الصفوة»[١]. بالإضافة إلى أدلة أخرى أوردها علي بن محمد المحمدي عند تحقيقه للكتاب[٢].

٢ - وصف الكتاب:

للكتاب ثلاث نسخ؛ نسختان في المكتبة الظاهرية بدمشق، والثالثة في خزانة المكتبة السليمانية في تركيا[٣]، ويحتوي الكتاب على مائة وعشرة أبواب، وقد حققه علي بن محمد المحمدي وأخرجه في رسالة علمية لنيل درجة الماجستير في الفقه المقارن من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر عام (١٤٠٠هـ)، وقد طُبعت الرسالة في مجلد واحد يتكون من (٥٣٨) صفحة. وقد اهتم المحقق بالناحية الفقهية وتخريج الأحاديث النبوية، والترجمة لبعض الأعلام الواردة في الكتاب.

٣ - قيمة الكتاب وأهميته:

يُعتبر كتاب «أحكام النساء» من نوادر الكتب الإسلامية؛ إذ يُعد موسوعة فقهيّة وتربوية مختصة بشؤون المرأة الشرعية والاجتماعية والعقلية وغيرها، وقد جاء «غزيرًا في مادته، متنوعًا في أبوابه، معالجًا لقضية من أهم قضايا المجتمع الإسلامي قديمًا وحديثًا، ألا وهي قضية المرأة»[٤]. ولم يُصنف كتاب قبله في موضوعه، وهذا ما أكده ابن الجوزي بقوله: «فلما رأيت النساء أحوج إلى العلم من الرجال، شرعت

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٤٦١).

(٢) المرجع السابق، مقدمة المحقق، انظر: ص(١١٠).

(٣) المرجع السابق، مقدمة المحقق، انظر: ص(١١٨).

(٤) المرجع السابق، مقدمة المحقق، ص(١١٥).

في تصنيف هذا الكتاب، يتعلق بأحوالهن، محتسبًا الأجر ولم أر من سبقني إلى تصنيف مثله »[١].

* ويقول عبد العزيز الغزولي: « وقد ألّف كتابه « أحكام النساء » مهتمًّا فيه بما يجب عليهن من الأدب، وما تحتاجه المسلمة من العبادات، والمعاملات، وأوضح بعض الآفات والأمراض الأخلاقية التي يجب على المرأة أن تبتعد عنها »[٢]. إضافة إلى أن مؤلفه أحد أعلام القرن السادس الذي برع في شتى العلوم والفنون، وكانت له اليد الطولى في فهم واقع مجتمعه، ومعرفته بجوانب القوة والضعف، وله تجارب في الحياة جعلت منه خبيرًا بجميع طبقات مجتمعه بما في ذلك المرأة وأحوالها وجوانب حياتها.

٤ - منهج ابن الجوزي في تأليف الكتاب:

يختلف منهج ابن الجوزي في مؤلفاته ومصنفاته المتعددة من مُصنفٍ لآخر بحسب العلم والموضوع الذي يكتب فيه؛ فقد بدأ الكتاب بذكر الأسباب التي دعته إلى تأليفه ثم شرع في ذكر أبوابه مُبتدئاً بذكر عنوان الباب ثم يورد الأدلة على ذلك، وأغلبها من الأحاديث النبوية ثم يختم الباب أحيانًا بذكر هدي السلف أو بعض القصص المفيدة، ونجد له تعليقات متفرقة كلما دعت الحاجة إلى ذلك. « ولم يسلك رحمه الله طريقة الفقهاء في سرد الأحكام الفقهية ومناقشتها وإنما اعتنى بنواحي

(١) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، ص(١٣١).

(٢) عبد العزيز الغزولي: « ابن الجوزي، الإمام المربي، والواعظ البليغ والعالم المتفنن »، ص(١٩٣).

البناء والإصلاح أكثر من اعتنائه بالأحكام الفقهية»[١].

أمّا أسلوب الكتاب فقد جاء بلغة فصيحة قوية غزيرة المعنى، في عبارات مختصرة ومتوازنة، وما ذلك إلّا لأن ابن الجوزي كان أديبًا رائق العبارة ناصع الأسلوب جيد السبك.

وبعد: فإذا كان هذا الفصل قد تناول عصر ابن الجوزي وترجمته فإنه بذلك يكون قد أجاب عن السؤال الأول من أسئلة الدراسة: **ما طبيعة عصر وحياة ابن الجوزي؟**

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، مقدمة المحقق، ص(١١٩).

الفصل الثالث

« أهـداف ومصـادر وأساليب تربية المرأة عند ابن الجوزي »

تمهيد : رؤية موجزة لتربية المرأة وتعليمها في الإسلام .

أولًا : طبيعة المرأة عند ابن الجوزي .

ثانيًا : أهداف تربية المرأة عند ابن الجوزي .

ثالثًا : مصادر تربية المرأة عند ابن الجوزي .

رابعًا : أساليب تربية المرأة عند ابن الجوزي .

تمهيـــــد

رؤية موجزة لتربية المرأة وتعليمها في الإسلام

لقد نظر الإسلام للمرأة على أنها إنسان له مكانته ومنزلته الرفيعة التي كانت مهضومة من قبل؛ فرفع من قدرها ووضعها في مكانها الطبيعي؛ فهي شقيقة الرجل وشريكته، وهما من أصل واحد، ومسؤوليتهما مشتركة، ولكل منهما دوره في الحياة، ولذا فقد اهتم الإسلام بتربيتها اهتمامًا بالغًا؛ فجعل الهدف الأسمى لتربيتها وتعليمها هو تحقيق العبودية لله ﷻ في الأرض.

كما راعى الإسلام خصائص المرأة وطبيعتها العقلية والجسدية والنفسيّة؛ عند تربيتها وتعليمها وعملها، فلم يكلفها فوق ما تطيق. وهذا من العدل والمساواة الحقيقية التي تراعي طبيعة المخلوق وخصائصه.

ولقد اهتم الإسلام بتربيتها في جميع مراحل خلقها ونموها منذ أن كانت في رحم أمها وحتى خروجها من الدنيا، كما اهتم بتربية جميع جوانبها الإيمانية والخلقية والمعرفية والاجتماعية وغيرها، وبيّن لها جميع حقوقها الشرعية والأدبيّة والتربوية والمالية وغيرها، وعمل على إيجاد الحلول العملية لكل المشكلات التي تواجهها في مراحل نموها المختلفة منذ الطفولة وحتى مرحلة الزواج والأمومة والكهولة.

وفي جانب التعليم أعطى الإسلام للمرأة حق التعليم وحثها عليه وأكد على ضرورة العلم الشرعي لتستقيم حياتها وتتهذب سلوكياتها، كما

أكد على تعليمها العلوم الأخرى التي تحتاجها في حياتها ويحتاجها المجتمع مثل الطب والاقتصاد والتربية والعلوم الاجتماعية والعلوم التطبيقية المناسبة وغيرها، حتى تُسهم في تقدم مجتمعها وأمتها ولكن في حدود ضوابط الشريعة الإسلامية وآدابها وتعاليمها.

وفي مجال عملها جعل وظيفتها الأساسية هي وظيفة الزوجيّة والأمومة وتربية الأجيال والأبطال، وكرمها أفضل تكريم، وفتح لها سبل العلم خارج المنزل لتقوم بخدمة نفسها وأسرتها ومجتمعها في مجالات مختلفة؛ مثل التعليم والتربية والطب والاقتصاد والدعوة إلى الله وغيرها، بما يناسب طبيعتها وخصائصها مع الالتزام بتعاليم الإسلام وآدابه وعدم مخالطة الرجال أو التبرج والسفور.

كما اعتنى الإسلام بتكوين شخصية المرأة تكوينًا شاملًا ومتكاملًا، يشمل كل جوانب شخصيتها الفردية والأسرية والاجتماعية حتى غدت إنسانًا راقيًا لم تبلغ مكانتها أي امرأة على مر العصور والأزمان.

ولذا يمكن القول: إن التربية الإسلامية تربية شاملة متكاملة راعت جميع جوانب حياة المرأة وحاجيتها، وما ذلك إلّا لأنها نابعة من تعاليم الإسلام القويمة.

أمّا الفلسفات الغربية والوضعية فقد نظرت للمرأة نظرة دونية، حيث جعلت تربيتها مقتصرة على الجوانب المادية، ورسمت أهدافها بناءً على ذلك، ولم تراع خصائص المرأة وطبيعتها الخلقيّة والعقلية والجسدية والنفسية عند تربيتها أو تعليمها أو عملها، وما ذلك إلا لأنها مناهج قاصرة من وضع البشر تتحكم فيها الأهواء والمفاهيم المنحرفة والشهوات المختلفة.

ولذلك فإنه يجدر بالمسلمين في كل عصر ومصر أن يعطوا المرأة حقوقها التي بيّنها الإسلام في جميع شؤون الحياة بدون إفراط أو تفريط، وينبذوا كل ما يخالف نظرة الإسلام وقيمه، سواء كان من الغرب أو الشرق أو العادات والتقاليد أو غير ذلك، حتى تظهر المرأة المسلمة بمظهرها اللائق بها.

وهذه الدراسة لآراء ابن الجوزي في تربية المرأة تبيّن نظرة الإسلام الصحيحة لتربيتها وتعليمها من خلال فكره التربوي المبني على الأدلة من الكتاب والسنة، وإذا كانت له آراء مخالفة لمنهج الإسلام فهي نادرة جدًّا وقد وضحتُها في مكانها، وبيّنت رأي الإسلام الصحيح فيها، ثم ذكرتُ مدى الاستفادة من فكره التربوي في تربية المرأة المعاصرة.

ويمكن في هذا الفصل استعراض آرائه في طبيعة المرأة، وأهداف ومصادر وأساليب تربيتها.

أولًا: طبيعة المرأة عند ابن الجوزي:

خلق الله الإنسان وصوره في أحسن صورة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، ولو تمعنا في القرآن الكريم لوجدنا أن طبيعة الإنسان ومراحل خلقه ونموه، ووصف أخلاقه وجوانب شخصيته وكل ما يختص بحياته في الدنيا والآخرة مبيّنة فيه؛ «فالقرآن كله إما حديث إلى الإنسان، أو حديث عن الإنسان»[1]. ومن ذلك قوله تعالى في توضيح مراحل خلق الإنسان: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ

(١) يوسف القرضاوي: «الخصائص العامة للإسلام»، ص(٦٦).

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤]. والإنسان يتكوّن من جسد وروح وعقل وقلب، «وكل هذا يشكل الذات الإنسانية، فالإنسان ليس أحد هذه القوى فقط، بل هو نتيجة تكامل هذه القوى جميعًا»(١).

وإذا أراد الباحث الوقوف على الفكر التربوي لدى عالم أو مفكر فلا بد أن يتعرف على رأيه في طبيعة الإنسان لأنه «إذا كان البحث في الطبيعة الإنسانية أمرًا حيويًّا لدى علماء النفس والاجتماع والسياسة فإنه بالنسبة للتربية أمر ضروري باعتبار أن الإنسان هو مادة التربية الأولى ومحور عمل التربية بأكملها»(٢).

وتأسيسًا على ما تقدّم فإن ابن الجوزي قد بيّن طبيعة خَلق الإنسان، وأن أصل خلقه من طين، والإنسان - في رأيه - من أفضل المخلوقات باعتباره مخلوقًا مكلفًا زوّده الله بخصائص جعلته محور الحياة في الكون، وطبيعة الإنسان كلٌّ متكامل لا ينعزل الجسم عن العقل، فكلاهما يؤثر في الآخر ويتأثر به، فيجب تربية العقل على إدراك مقاصد الشريعة الإسلامية. وقد اهتم ابن الجوزي - أيضًا - بالمقوّمات الجثمانية وحمل على الذين ساموا أجسامهم من الرياضة والتكليف الشيء الكثير، وأكد على ضرورة إشباع حاجات الجسم الأساسية كدافع الجوع والعطش ودافع النوم والراحة وغيرها، وتحدث عن شرف العقل ومكانته ومراتبه وحدوده، كما وضح رأيه في معنى النفس وصلتها بالبدن وأنها موجودة حقيقة وهي جوهر روحي مستقل(٣).

---

(١) علي أبو العينين: «فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم»، ص(٩٢).

(٢) حسن عبد العال: «الفكر التربوي عند الإمام أبي الفرج ابن الجوزي»، ج٣، ص(١٠٣).

(٣) هذا ملخص من: «الفكر التربوي عند الإمام أبي الفرج ابن الجوزي»، =

والمرأة هي الإنسان الذي تحدث عن طبيعته ابن الجوزي بحكم درايته بجوانب طبيعتها، ومن خلال اطلاعه الواسع وثقافته المتنوعة، مما يدل على رؤيته لطبيعتها وتكوينها، ويمكن عرض آرائه من خلال المحاور التالية :

١ - المرأة إنسان مُكلف :

لقد خلق الله المرأة وميّز طبيعتها البشرية بأشياء تجعل منها إنسانًا مكلفًا مسؤولًا عن أفعاله وأقواله. وبناءً على ذلك فإن ابن الجوزي يؤكد أن « المرأة شخص مُكلّف كالرجل »[١]، لأنها مساوية له في أصل الخلقة والتكوين الإنساني والكرامة الإنسانية، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ويقول ﷻ : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وقال سبحانه : ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢].

« ومن مقومات الأصل المشتركة تسمية الرجل والدًا والمرأة والدة »[٢]، قال تعالى : ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وهذه الأدلة القاطعة جاءت لتؤكد أن المرأة والرجل من أصل واحد،

= انظر: ص(١٠٤ - ١٣٧)، و« آراء ابن الجوزي التربوية »، انظر: ص(١٠٩ - ١٢٣).

(١) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، ص(١٣٩).

(٢) مكية مرزا: « مشكلات المرأة المسلمة المعاصرة وحلها في ضوء الكتاب والسنة »، ص(٢١).

لا قوام للإنسانية إلّا بهما معًا، فالمرأة شريكة الرجل في كل شؤون الحياة، وهي مكلّفة مثله، خلقها الله لحكمة وغاية.

ومن هنا يتضح أن رأي ابن الجوزي في مساواة المرأة بالرجل في التكليف إنما كان مبنيًّا على الأدلة الشرعية التي تؤكد أنهما من أصل واحد ونفس واحدة، ولذلك فإنه يمثل الرؤية الإسلامية الصحيحة. وأمّا مكونات خَلق المرأة فهي مثل الرجل، تتمثل في الروح والجسد والعقل والقلب، وهي متكاملة مع بعضها. ورغم ذلك فإن هناك بعضًا من الفروق بينهما في وظائف تلك المكونات.

٢ - الطبيعة الجسدية للمرأة:

إن من أهم ما يميّز المرأة عن الرجل هو تكوينها الجسدي، لأن لديها من الأعضاء والأجهزة ما يتناسب مع طبيعتها الإنسانية، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٥، ٣٦].

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾: «أي في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى»(١). وقال الطبري: «لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها»(٢).

ويقرر ابن الجوزي ذلك الاختلاف عند حديثه عن علامات البلوغ

---

(١) ابن كثير: «تفسير القرآن العظيم»، ج١، ص(٣٦٠).

(٢) الطبري: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، ج٥، ص(٣٣٧).

بقوله: « يثبت في حق الغلام بأحد ثلاثة أشياء: الاحتلام، أو كمال خمس عشرة سنة، أو نبات الشعر الخشن حول القبل، ويثبت في حق المرأة بأحد خمسة أشياء: الثلاثة التي ذكرناها، والحيض، والحبل »(١)، فالحيض والحبل من الفوارق الرئيسة بين الرجل والمرأة، وقد ترتبط بهما « كل العوامل النفسية الكامنة في شخصية الفتاة من غضب وخجل وهبوط نفسي »(٢).

وتلك الفروق مبنيّة على الاختلاف في التكوين الجسدي الذي خص الله عزّ وجلّ كلًّا منهما به؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وقد أثبت العلم في العصر الحديث أن الفروق الجسدية بين الرجل والمرأة كثيرة جدًّا.

يقول محمد علي البار: « أثبتت الدراسات الطبية المتعددة أن كيان المرأة النفسي والجسدي قد خلقه الله تعالى على هيئة تخالف تكوين الرجل »(٣)، ويؤكد ذلك بقوله: « إن هيكل المرأة الجسدي يختلف عن هيكل الرجل، بل إن كل خلية من خلايا جسم المرأة تختلف في خصائصها وتركيبها عن خلايا الرجل، وإذا دققنا النظر في المجهر لهالنا أن نجد الفروق واضحة بين خلية الرجل وخلية المرأة »(٤).

إن الفروق الجسمية بين الرجل والمرأة أمر معروف يعلم كثيرًا منه كل إنسان، ويعرفه كل عاقل، وابن الجوزي يقرر تلك الحقائق العلمية من خلال توضيح الأحكام الشرعية، وذلك ينم عن رؤيته لطبيعة المرأة

(١) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، ص(١٣٧).

(٢) عبد المنعم سيد: « طبيعة المرأة في الكتاب والسنة »، ص(٧٣).

(٣) محمد علي البار: « عمل المرأة في الميزان »، ص(٦٤).

(٤) المرجع السابق، ص(٦٤).

واختلافها عن طبيعة الرجل، وتلك الفروق توضح لنا طبيعة المرأة الجسدية التي تتطلب منّا التعامل معها بنظرة مختلفة عن الرجل في جوانب عديدة من حياتها، فـ(ليس هذا البناء الهيكلي والعضوي المختلف عبثًا؛ إذ ليس في جسم الإنسان ولا في الكون شيء إلا وله حكمة سواء علمناها أم جهلناها)[١]، وكل ذلك يجب أن يُؤخذ بعين الاعتبار عند طرح قضايا المرأة في التربية والتعليم والعمل وغير ذلك.

٣ - الطبيعة العقلية والسلوكية:

إن طبيعة تكوين المرأة وأصل خلقتها جعلها تختص بعقليّة مختلفة عن الرجل، وقد راعى الشرع ذلك الاختلاف في العبادات والتكاليف الشرعية.

وعندما نتأمل في آراء ابن الجوزي في طبيعة المرأة العقلية نجده يصفها بالعاقلة في مواضع متفرقة[٢]، مثل قوله: « وينبغي للمرأة العاقلة إذا وجدت زوجًا يلائمها أن تجتهد في مرضاته »؛ فالنساء - في رأيه - درجات متفاوتة في استخدام العقل الذي خص الله به الإنسان من بين سائر المخلوقات؛ فمنهن من تعرف الطريقة المثلى في استخدام العقل في المواقف، وتلك هي المرأة العاقلة الفطنة، وأمّا الصنف الآخر فهي المرأة التي لا تحسن التصرف في حياتها العملية والاجتماعية. وهذا ما أشار إليه عندما خص المرأة بباب كامل في كتابه « الأذكياء » أورد فيه جملة من أخبار النساء الفطنات اللاتي تتفاوت تصرفاتهن بحسب فطنتهن ودرجة ذكائهن[٣].

---

(١) محمد علي البار: « عمل المرأة في الميزان »، ص(٧٤).

(٢) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، انظر: ص(٣٥٠ و٤٦١).

(٣) ابن الجوزي: « الأذكياء »، انظر: ص(٢٣٤ - ٢٥٧).

ويقرر ابن الجوزي نقصان عقل المرأة، بإيراد عدد من الأدلة[١]، ومنها حديث أبي سعيد الخدري قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال: «**يا معشر النساء، تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار.** فقلن: وبم يا رسول الله؟ **قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن.** قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ **قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟** قلن: بلى. **قال: فذلك نقصان من عقلها، أليس إذا حاضت لم تصلّ ولم تصم.** قلن: بلى، **قال: فذلك من نقصان دينها**»[٢].

كما يرى ابن الجوزي أن من أسباب تفضيل الرجال على النساء إنما هو «زيادة العقل»[٣] عند الرجال.

فالنقص في عقل المرأة ليس عيبًا لها، لأنه حكمة الله اقتضت أن تكون عاطفتها مرهفة حتى تعينها على أداء وظيفتها الأساسية في الحياة «وهي وظيفة الحضانة والأمومة على خير وجه، فهذه المهمة تحتاج إلى التفكير والتأمل»[٤].

يقول العقاد: «نحن نعتقد أن المرأة لا تعيرها هذه المفاضلة في الخصائص العقلية بين الجنسين، لأنها لم تحرم ما يقابل هذه الخصائص في مجال الحس والعطف والبداهة الفطرية، وحباها من مزايا جنسها ما

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(٢٩٤ - ٢٩٥).
(٢) البخاري: «صحيح البخاري»، ج١، ص(١١٦)، رقم (٢٩٨).
(٣) ابن الجوزي: «زاد المسير في علم التفسير»، ج٢، ص(٧٤).
(٤) محمد عبد الله عرفة: «حقوق المرأة في الإسلام».

اشتملت عليه من كنوز غالية ترشحها لأمومة الإنسانية كلها ولا تقتصر بها على أمومة الأبناء والبنات »[١].

ومن هنا نعلم أن ذلك لا يُنقص من قدر المرأة ومكانتها في الإسلام، بل هو صفة موازنة وتكامل مع الصفات والخصائص الطبيعية الأخرى التي تمّيزت بها، بل إن فقدها لخصائص طبيعتها يُعد نقصًا يؤثر على دورها في الحياة.

ولقد أثبت الطب الحديث اختلاف المرأة عن الرجل في طريقة التفكير، إذ ينقل محمد علي البار عن: ريتشارد ديستاك قوله: « إن الصبيان يفكرون بطرق مغايرة لتفكير البنات رغم أن هذه الحقيقة الناصعة ستصدم أنصار المرأة والداعين إلى المساواة التامة بين الجنسين، ولكن المساواة الاجتماعية في رأينا تعتمد على معرفة الفروق في كيفية السلوك ومعرفة الفروق بين مخ الفتى ومخ الفتاة »[٢].

* ويقول رونيه أوبير: « إذا كانت شخصية الرجل من حيث النسبة الوسطية أكثر نموًّا وتمايزًا وتنظيمًا من شخصية المرأة التي تظل أقرب إلى شخصية الطفل منها إلى شخصية الرجل، فذاك لأن النمو العقلي لشخصية المرأة، وإن سكن مبكرًا أكثر مما عند الرجل، يتوقف على ما يبدو في سن أبكر أيضًا »[٣].

فالمساواة الحقيقية بين الرجل والمرأة يجب أن تراعي طبيعة خلق

---

(١) عباس محمود العقاد: « المرأة ذلك اللغز »، ص(٥٨).

(٢) محمد علي البار: « عمل المرأة في الميزان »، ص(٨٠).

(٣) رونيه أوبير: « التربية العامة »، ص(١٢٤).

كلٍ منهما؛ فكما أن المرأة لا يمكن أن تتحمل جميع الأعباء التي يتحملها الرجل فكذلك في الجانب العقلي يجب وضع تلك الفروق في الحسبان، ويجب مراعاة الاختلافات التي خلقها الله في كل منهما، وليس مجرد الدعوة للمساواة وتطبيقها في الواقع التربوي والعملي بدون معرفة الخصائص العقلية والنفسية والسلوكية، لأن ذلك يدل على قصور في الفهم وخلل في التفكير.

٤ - الطبيعة النفسية والوجدانية:

إن طبيعة المرأة النفسية والوجدانية تابعة لخصائصها الجسدية والعقلية، و«إن أهم ما تمتاز به المرأة نفسيًّا العاطفة الرقيقة والحنان البالغ وحب التضحية من أجل الآخرين فهي أسرع تأثرًا وانفعالًا وأدق شعورًا بالألم والفرح»[(١)].

ولقد تحدّث ابن الجوزي عن بعض صفات المرأة النفسية موضحًا رأيه في كلٍّ منها، ومن أهم تلك الصفات ما يلي:

أ - الغيرة:

الغيرة هي: كراهة الإنسان أن يشاركه غيره في حقه[(٢)]، وهي نتيجة من نتائج المحبة والعلاقة الزوجية القوية، وبسببها تثور براكين الغضب عند كثيرٍ من الزوجات خاصة إذا تزوج زوجها بامرأة أخرى.

ويؤكدّ ابن الجوزي على أن الغيرة في المرأة شديدة جدًّا، فيقول: «وقد تخرج الغيرة بالمرأة إلى معصية الزوج فيجب على المؤمنة أن

---

(١) مكية مرزا: «مشكلات المرأة المسلمة المعاصرة وحلها في ضوء الكتاب والسنة»، ص(٣٦).

(٢) محمد كنعان: «مبادئ المعاشرة الزوجية»، انظر: ص(٣٤).

تحمل نفسها على الصبر، إذا كانت لها ضرة»[١]؛ فالغيرة صفة جبليّة قوية التأثير في نفسية المرأة حتى إنها قد تؤدي بها إلى ارتكاب المحظورات، ولكنه يرى أن أفضل علاج تربوي لها هو حمل النفس وتعويدها على الصبر ومجاهدتها خاصة إذا ابتليت المرأة بضرة تشاركها في زوجها، وذلك من أجل ألّا تقع في المعصية وقد تُسبب لها مشكلات متعددة في حياتها الزوجية.

وبناءً على ذلك فإنه يجب على المرأة المسلمة أن تراعي أوامر الله ﷻ، وألّا تخرج عن طورها إذا تعرضت للمواقف التي تثيرها، وتبذل ما تستطيع في سبيل الحفاظ على دينها ومرضاة ربها.

ب - غلبة الهوى:

يرى ابن الجوزي أن المرأة ضعيفة تستسلم لهواها، وذلك طبع فيها من أصل خلقتها، فالنساء بحاجة إلى التنبيه والتحريض على طلب العلم لبعدهن عنه و« غلبة الهوى عليهن بالطبع»[٢].

والحقيقة أن النساء يغلب على طبعهن حب الخير، الذي منه العلم، لأن المرأة مفطورة على الخير كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]، ولكنها تحتاج إلى التوجيه وتنمية جوانب الخير والأخذ بيدها إلى حب الفضيلة وطلب العلم، ولعل ابن الجوزي يقصد بغلبة الهوى هنا الميل إلى اتباع النفس في تصرفات بعض

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٣٢٩).

(٢) المرجع السابق، ص(١٣١).

النساء، وعدم الصبر على طلب العلم وهذا موجود في مجتمع الرجال أيضًا.

ج - الميل إلى الزوج:

يرى ابن الجوزي أن المرأة « تميل إلى زوجها بالطبع، وقد أخبر عنها الشارع بذلك فلتعذر في ذلك »[١]؛ فمحبة الزوج وتفضيله على الآخرين طبع متأصل فيها، لا يمكن تغييره، ومن أجل ذلك فإنه « لا ينبغي لوالدي المرأة ولا لجميع أهلها أن يطلبوا منها الميل إلى إيثارهم أكثر من ميلها إلى زوجها »[٢]؛ لأن ذلك قد يؤدي إلى حدوث بعض المشكلات في الحياة الزوجية أو العائلية.

٥ - تفاعل البيئة مع الوراثة:

توجد في الإنسان عوامل وراثية في الخلق، وإلى جانب ذلك فإن البيئة تؤثر فيه، ومن أهم المؤثرات الأبوان اللذان يطبعان الولد بطبعهما.

ولذلك فإن ابن الجوزي يؤكد على أهمية التنشئة السليمة للطفل والطفلة، وينتقد أسلوب بعض الآباء والأمهات في تنشئة أولادهما، فيقول: « ورأيت أحد العوام شغل ولده حين ينشأ بالمعاش، ولا يعلّمه واجبات العبادة ولوازم المعاملات، فيتقلّب الولد في طلب الدنيا، ولا يعلم أخبار الآخرة، لا يعرف فرضًا من الفرائض، ولا يردّ لجامه عن الهوى ألف رائض »[٣].

---

(١) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، ص(٣٠٦).

(٢) المرجع السابق، ص(٣٠٦).

(٣) المرجع السابق، ص(١٢٩).

ويوضح أن بيئة الفتاة التي تعيش فيها لها تأثير كبير في نشأتها وحياتها فيقول: « إن الصبيّة في الغالب تنشأ في مخدعها لا تُلقَّن القرآن ولا تعرف الطهارة في الحيض، ولا تعلم أيضًا أركان الصلاة، ولا تُحدّث قبل التزويج بحقوق الزوج، وربما رأت أمها تؤخر الغسل من الحيض إلى حين غسل الثياب، وتدخل الحمام بغير مئزر وتقول ما معي إلّا أختي وابنتي، وتأخذ من مال الزوج بغير إذنه وتسحره، تدّعي جواز ذلك لتعطفه عليها وتصلي مع القدرة على القيام قاعدة وتحتال في إفساد الحمل إذا حبلت »(١)؛ فأغلب الفتيات الصغيرات في ذلك الوقت يعشن في جهلٍ كبير بسبب تأثير الواقع الذي نشأن فيه. ولذلك فإن مرحلة الطفولة والنشأة من أهم المراحل التي ينبغي الاهتمام بها في تنشئة الطفلة والعناية بتربيتها وتقويم طباعها وأخلاقها لأن « أقوم التقويم ما كان في الصغر »(٢).

وإذا اقتربت الفتاة من سن الزواج فإن ابن الجوزي ينصح والديْها أن يعلماها حقوق الزوج فيقول: « وينبغي لأبوي المرأة خصوصًا الأم أن تعرفها حق الزوج وتبالغ في وصيتها »(٣)، وقد ركز ابن الجوزي على دور الأم لأنّ لها تأثيرًا شديدًا على ابنتها؛ إذ إنها أكثر التصاقًا بها من أبيها، وأقرب إلى نفسها وقلبها.

٦ - مسؤولية المرأة:

الإنسان فرد في مجتمعه ومسؤول عنه، والمجتمع مسؤول عن

(١) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، ص(١٣١).
(٢) ابن الجوزي: « الطب الروحاني »، ص(٤٥).
(٣) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، ص(٣١٣).

الفرد، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، والإنسان مسؤول عن عمله لا يؤخذ واحد بوزر واحد، ولا أمة بوزر أمة[1]، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، والمرأة إنسان له دور حيوي في المجتمع، فهي مسؤولة عن نفسها وعن مجتمعها وكذلك المجتمع مسؤول عنها.

ومن هذا المنطلق يؤكد ابن الجوزي على أن المرأة مثل الرجل في المسؤولية من حيث الأصل[2]، ولكنّ مسؤوليتها تتناسب مع طبيعتها الإنسانية، فعليها أن تفعل الواجبات وتمتثل لها في حدود ما أمرها الله ﷻ، ويجب عليها أن تبتعد عما نهاها الله ﷻ عنها.

ويقرر في مواطن مختلفة أن المرأة كالرجل في أشياء كثيرة، مثل قوله في عورة المرأة بالنسبة للمرأة: «وعورة المرأة في حق المرأة كعورة الرجل في حق الرجل»[3]. كما يوضح بعض المسائل التي تختلف فيها مسؤولية المرأة عن الرجل نظرًا لاختلاف طبيعتها، حيث يقول بعد أن ذكر صفة صلاتها: «والمرأة في جميع ما ذكرنا كالرجل إلا أنها تجمع نفسها في الركوع والسجود أو تسدل رجليها في الجلوس فتجعلها في جانب يمينها، أو تجلس متربعة»[4]، ويقول: «فالحج للمرأة مكان الجهاد للرجل»[5]؛ لأنّ في المرأة ضعفًا لا تستطيع أن

---

(١) عباس محمود العقاد: «الإنسان في القرآن الكريم»، (د. ت)، انظر: ص(١٤).

(٢) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(١٣٩).

(٣) المرجع السابق، ص(١٧٧).

(٤) المرجع السابق، ص(١٨٩).

(٥) المرجع السابق، ص(٢٥٠).

تجاهد وتقاتل مثل الرجل، فراعى الله ﷻ ذلك الضعف وجعل الحج جهادًا لها.

والقصد من ذكر أقوال ابن الجوزي هو عرض تقريره لمسؤولية المرأة في مجالات مختلفة تبيّن مدى اهتمام الإسلام بها وتوضح مكانتها فيه.

٧ - الخير والشر:

الخير والشر موجودان في الإنسان ولكن جانب الخير يغلب على الشر فيه بحكم الفطرة التي فطر الله الناس عليها؛ فالإنسان مفطور على التوحيد، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]، «فالإنسان في القرآن مجبول على التوحيد، فطبيعته الأصلية خيّرة، ثم إنه قد ينحدر إلى الشر، وذلك نظرًا لقابليته للاختيار»[(١)]، ولذلك فإن للتربية والتنشئة دورًا كبيرًا في توجيه الإنسان نحو الخير أو الشر، قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٦ - ١٠].

وفي معرض حديث ابن الجوزي عن تربية البنات يُورد جملة من الأحاديث والآثار التي تحث على تنمية الخير لدى الأبناء والبنات[(٢)]، ومنها حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) علي أبو العينين: «فلسفة التربية في القرآن الكريم»، ص(٨٧).

(٢) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(١٤٢، ١٤٣).

« **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع** »[١]، ويحث المرأة على طلب العلم الشرعي الذي يُسهم بشكل كبير في تنمية دوافع الخير وكبح جماح الشر[٢]، فالبنت بحاجة ماسة إلى البيئة العلمية التي تقوّي جانب الخير فيها.

* يقول نور الدين عتر: « أمّا المرأة فيجب أن ينمي التعليم مواهبها الفطرية الجليلة كي تكون بحق صانعة الأمة »[٣]. ومن أجل ذلك فيجب تنشئة الطفلة على كل فضيلة وتعويدها على فعل العبادات والنوافل التي تقوي جانب الخير وتُضعف جانب الشر لديها حتى تصل إلى بر الأمان وتعمل على تربية الأجيال على الفضائل والمحامد.

وبعد هذا العرض لطبيعة المرأة عند ابن الجوزي يتضح لنا أن ما ذكره عبد البديع الخولي من أن ابن الجوزي قد هبط بالمرأة ونظر لها نظرة دونية، وعَدّها وسيلةً لإمتاع الرجل فقط[٤] غير صحيح أبدًا، والواضح أنه قد بنى رأيه هذا على أجزاء من أقوال ابن الجوزي في سياق الوعظ، ولم يستقص جميع آرائه في المرأة التي توضح أنها إنسان مكلف مسؤول عن تصرفاته وأفعاله، وله مكانته ودوره الفاعل في الحياة.

(١) أبو داود: «سنن أبي داود»، ص(٣٣٤)، رقم (٤٩٥).
(٢) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(١٣٩).
(٣) نور الدين عتر: «ماذا عن المرأة؟»، ص(٣٤).
(٤) عبد البديع الخولي: «التربية والتعليم عند ابن الجوزي»، انظر: ص(١٣٢).

ثانيًا: أهداف تربية المرأة عند ابن الجوزي

الهدف في اللغة: كل شيء عظيم مرتفع مثل الجبل وكثيب الرمل والبناء، ويُطلق على الغرض المنتصب، والجمع أهداف[(١)].

والهدف التربوي «في تطوره عبر العصور الإسلامية المتتالية كان التركيز فيه على الغاية القصوى للتربية التي تخللت جميع جوانب شخصية الإنسان الخلقية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية»[(٢)].

وتُعد دراسة الأهداف التربوية من أهم الجوانب التي يجب أن يركز عليها الباحثون في مجال التربية، وذلك لأنها هي الدعامة الحقيقية التي ينبني عليها العمل التربوي فهي واسطة بين العقيدة التي يؤمن بها المجتمع وبين المكونات الأساسية للعمل التربوي؛ وهي تُشكّل همزة الوصل بينهما لأنها تعمل على ترجمة أهداف العقيدة إلى سلوك واقع في حياة الناس[(٣)].

والباحث في تراث ابن الجوزي التربوي يلمس اهتمامه بتحقيق أهداف التربية الإسلامية، ففي حديثه عن تربية المرأة يتطرق إلى توضيح أهمية تلك الأهداف، ويمكن عرضها من خلال الآتي:

---

(١) أحمد الفيومي: «المصباح المنير»، انظر: ص(٢٤٣).

(٢) بدرية الميمان: «نحو تأصيل إسلامي لمفهومي التربية وأهدافها»، ص(٦٧٢).

(٣) علي أبو العينين: «أهداف التربية الإسلامية: مصادر اشتقاقها ومعايير صياغتها للمجتمع الإسلامي المعاصر»، انظر: ص(١٥).

١ - الهدف الإيماني:

إن الهدف الإيماني من أهم الأهداف التربوية التي يجب على العلماء والمربين العمل على توضيح مكانته الرفيعة، ودوره في بناء المجتمع رجالاً ونساءً؛ يقول أحمد الحمد: «فواجب على المهتمين بالتربية من المسلمين، إعداد الأجيال إعدادًا يهيئهم إلى تحقيق الهدف السامي الذي خلقوا من أجله، وذلك ببناء الأفكار التربوية على القواعد الإيمانية فالخطأ في المقدمة يؤدي إلى الخطأ في النتيجة، وما لم تبن التربية على الفكر الصحيح المحقق للكمال الإنساني - العبودية لله تعالى - كان نقصًا في بنيتها»(١).

ويؤكد سليمان الحقيل على أهمية الهدف الإيماني بقوله: «وفيما يتعلق بالهدف النهائي من التربية والتعليم فهو تحقيق العبودية لله وحده في حياة الإنسان على مستوى الفرد والجماعة وعن طريق تحقيق هذا الهدف النهائي من التربية والتعليم تتحقق الأهداف التربوية الصالحة للفرد والمجتمع»(٢).

ولقد ركز ابن الجوزي على هذا الهدف عند عرض آرائه في تربية المرأة، فهو إنما ألّف كتابه «أحكام النساء» من أجل العمل على بناء شخصية المرأة الصالحة التي توحّد الله الواحد الأحد وتعبده على بصيرة وعلم(٣)؛ والعلم هو النور الذي يمكن عن طريقه تحقيق أهداف التربية الإسلامية، وعلى رأسها توحيد الله وعبادته بحكم أنه الهدف الأساسي الذي يجب على كل فرد أن يعمل على تحقيقه.

---

(١) أحمد الحمد: «العقيدة نبع التربية»، ص(٦).

(٢) سليمان الحقيل: «التربية الإسلامية»، ص(٣٠).

(٣) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(١٣٠).

والعبادة منهج حياة تشمل كل ما يقوم به العبد من أقوال وأحاسيس وسلوك، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، يقول ابن تيمية في تعريف العبادة: «العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[(١)].

ويقول ماجد عرسان الكيلاني - بعد ذكر الآية السابقة -: «فالخلق هنا لا يقتصر معناه على الإيجاد وإنما يشتمل أيضًا على التكوين والتصميم، فالإنسان وُجد وجرى تكوينه وتصميمه للقيام بالوظائف والممارسات التي توجه إليها العبادة بمظاهرها الدينية والاجتماعية والكونية عبر أطوار الوجود الثلاثة: طور النشأة والحياة والمصير. وهذا يعني أن هناك تطابقاً بين الخلق والغاية والتربية»[(٢)].

ويرى ابن الجوزي أن تحقيق المرأة للهدف الإيماني يكون عن طريق إقامة الفرائض والواجبات ثم السنن والمندوبات، وقد أشار إلى ذلك بقوله: «إذا قضت المرأة فرائضها، وأتت بالسنن فأحبت أن تتطوع فلتصلِّ صلاة الضحى، فإن شاءت ركعتين وإن شاءت أربعًا وإن شاءت ثمانيًا»[(٣)]. فإقامة الفرائض وعمل الواجبات أمر حتميّ في تربية المرأة المسلمة، ولا بد من الإتيان بالسنن بقدر الاستطاعة، لأنها تكمل النقص في العبادة المفروضة، ثم ترَك حرية الاختيار للمرأة في الاستزادة من صلاة التطوع، ومعلوم أن عمل تلك الأمور يؤدي إلى تحقيق الهدف الديني المتمثل في توحيد الله الواحد الأحد وعبادته.

---

(١) ابن تيمية: «العبودية»، ص(٤).

(٢) ماجد عرسان الكيلاني: «فلسفة التربية الإسلامية»، ص(١٠٨).

(٣) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٢٢١).

٢ - الهدف الأخلاقي:

هناك ارتباط قوي بين أهداف التربية الإسلامية؛ فكل منها يكمل الآخر لأن التربية الإسلامية تربية شاملة متوازنة متكاملة تسعى إلى تكامل الشخصية الإسلامية. وتهذيب الأخلاق وضبط السلوك مطلب تربوي تسعى التربية الإسلامية إلى تحقيقه في تنشئة الفرد، وقد بدت أهمية هذا الهدف واضحة من خلال ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من آيات وأحاديث تحث المسلم على التحلي بالخلق الكريم، ومنها ما خاطب الله ﷻ به نبيه الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

والهدف الأخلاقي عند ابن الجوزي يعتمد على تحقيق الهدف الديني عن طريق التربية الصالحة؛ حيث وضح أن تربية البنات وتعليمهن وتأديبهن وتهذيب أخلاقهن واجب على الآباء والأمهات، يؤدي بهم إلى كسب الأجر والثواب ويُبعدهم عن النار(١).

ويرمي ابن الجوزي من وراء تحقيق الهدف الأخلاقي إلى تربية المرأة المسلمة تربية إسلامية تعتمد على الأدلّة الشرعية الصحيحة من القرآن والسنة، حتى يتربى الضمير الإنساني لديها تربية سليمة، مما يؤدي إلى تهذيب الأخلاق وضبط السلوك، وبالتالي ينعكس على أولادها ومجتمعها.

٣ - الهدف المعرفي:

لقد اهتم ابن الجوزي بتوضيح أهمية العقل وشرفه ومنزلته وقسمه

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٣٥٦).

إلى أقسام[١]، وعندما تحدّث عن الجانب المعرفي عند المرأة تطرق إلى أهمية استخدام العقل وإعماله؛ حيث حث المرأة المسلمة على التفكر والتدبر من أجل تحقيق العلم والمعرفة[٢]، وذلك أمر ضروري - في نظره - حتى تصل المرأة المسلمة إلى تحقيق الهدف المعرفي؛ لأنّ «العقل هو أهم الطاقات الإنسانية في نظر الإسلام، فجميع أركان الإيمان مبنية على فهم العقل وقناعته»[٣].

بل إنه يرى أن العقل هو أهم وسائل الوصول إلى المعرفة حيث جعل النظر «التفكير» والاستدلال بالعقل من الواجبات الأوليّة على المكلّف ليصل عن طريقهما إلى المعرفة.

وقد خالف ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علماء أهل السنة والجماعة في قوله: إن «معرفة الله عَزَّ وَجَلَّ أول واجب، فإذا ثبت وجوبها، وجب على المكلف النظر والاستدلال المؤديان إلى المعرفة»[٤]، لأنّ أول واجب على المكلف عند السلف الصالح وأهل السنة والجماعة هو «النطق بالشهادتين» وقد دلت الأدلة الصحيحة على ذلك؛ ومنها ما أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن

---

(١) راجع في ذلك ما يلي:
أ- حليمة أبو رزق: «التربية العقلية عند ابن الجوزي»، انظر: ص(١١) وما بعدها.
ب- عبد الرحمن صالح: «تربية العقل عند ابن الجوزي»، انظر: ص(٣٥ - ٥٢).
جـ- حسن عبد العال: «الفكر التربوي عند أبي الفرج ابن الجوزي»، انظر: ص(١٢٧ - ١٣٢).
(٢) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(١٣٨).
(٣) عبد الرحمن النحلاوي: «أصول التربية الإسلامية»، ص(١١٧).
(٤) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(١٣٩).

النبي ﷺ لما أرسل معاذًا إلى اليمن قال له : «**إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلّا الله وأني رسول الله**»[(١)]، وفي هذا دلالة واضحة على أنّ أول شيء يُطلب من كل مكلف ومكلفة هو النطق بالشهادتين. ورأي ابن الجوزي السابق يدل على مبالغته في تمجيد العقل.

ومهما يكن من أمر فإن اهتمام ابن الجوزي بالهدف المعرفي وضرورة تحقيقه في تربية المرأة يظهر من خلال حديثه عن وجوب طلب العلم عليها في قوله: «فيجب عليها طلب علم الواجبات عليها لتكون من أدائها على يقين»[(٢)]، بل إنه يرى أن النساء أحوج من الرجال إلى طلب العلم والمعرفة، ويعلل ذلك ببعدهن عن العلم وغلبة الهوى عليهن بالطبع[(٣)].

ويمكن القول: إن الهدف المعرفي هو من أهم الأهداف التي حاول ابن الجوزي التأكيد عليها في تربية المرأة عن طريق طلب العلم والمعرفة حتى تكون على بصيرة من دينها ودنياها، ويزداد إيمانها بالله وتعبده على بصيرة، وتُسهم في تربية نفسها وأبنائها تربيةً قويمة، أساسها العلم الصحيح والمنهج التربوي القويم المبني على قواعد الشرع من الكتاب والسنة.

٤ - الهدف الاجتماعي والاقتصادي:

هناك حقيقة اجتماعية وعلمية وهي أنه ليس من تربية بلا مجتمع؛

---

(١) البخاري: «صحيح البخاري»، ج٢، ص(٥٢٩)، رقم (١٣٨٩)، ومسلم: «صحيح مسلم»، ج١، ص(٥١)، رقم (١٩).

(٢) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(١٣٩).

(٣) المرجع السابق، انظر: ص(١٣١ - ١٣٢).

فليس ثمة فرد من بني الإنسان يبقى مستسلمًا لحياة بيولوجية خالصة، أي للعزلة الكاملة[(١)].

ولذلك فإن تحقيق الهدف الاجتماعي مطلب مهم في حياة المرأة المسلمة، لأنها جزء من المجتمع الذي تعيش فيه، وهي بطبعها اجتماعية لا يمكن أن تعيش لوحدها دون مخالطة أفراد المجتمع من بنات جنسها وأقاربها وزوجها وأبنائها، ومن أجل ذلك فإنه يجب عليها أن تتشرب ما تحتاجه من قيم اجتماعية تجعل منها فردًا فاعلاً في مجتمعه.

ويمكن القول: إن الهدف الاجتماعي يتوقف على مدى تحقيق الأهداف السابقة «الإيماني، والأخلاقي، والمعرفي» لأنه مبنيّ عليها، ولا يمكن جني ثمارها إلّا من خلال تنفيذها في الواقع الاجتماعي؛ لأن «تربية الإنسان على إخلاص الخضوع والطاعة والعبادة لله وحده، في جميع أمور الحياة ستنتهي إلى تنمية المشاعر الاجتماعية بشكلها المزهر المتفتح الخيّر، وأول ما يقرره علماء الاجتماع، أن المجتمع إنما يتكون باجتماع مجموعة الأفراد واشتراكهم على تصورات وأهداف ومصالح يفهمونها فهمًا موحدًا ويعملون لها جميعًا»[(٢)].

وبالنظر في آراء ابن الجوزي نجد أنه يولي الهدف الاجتماعي أهمية بالغة، ومن ذلك ما ذكره عند حديثه عن الحياة الزوجية بقوله: «ينبغي لأبوي المرأة خصوصًا الأم أن تعرفها حق الزوج وتبالغ في وصيتها»[(٣)]، فمن أجل أن تنعم الأسرة بالسعادة الاجتماعية فإنه يجب على الوالدين

---

(١) رونيه أوبير: «التربية العامة»، انظر: ص(١٣٠).

(٢) عبد الرحمن النحلاوي: «أصول التربية»، ص(١٢٠).

(٣) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٣١٣).

توضيح حقوق وواجبات الزوج والمبالغة في تعليم البنت حتى تستقيم حياتها وفق ضوابط الشريعة الإسلامية.

كما يولي الجانب الاقتصادي في تربية المرأة اهتمامًا خاصًّا، ويُشير إلى أهمية تحقيق الهدف الاقتصادي في حياة المرأة المسلمة بتوضيح حقوقها المالية في الإسلام وما يجب عليها تجاه مال زوجها وحكم إنفاقها من بيته بغير إذنه[١] وحكم الكسب من النياحة وغيرها من الأعمال المحرمة في الشريعة الإسلامية[٢].

ومن أجل ذلك فإنه يجدر بالمرأة المسلمة أن تسعى إلى تحقيق الهدف الاجتماعي والاقتصادي في حياتها العملية عن طريق العمل المباح والكسب الحلال والبعد عن المحرمات والشبهات.

وخلاصة القول: هو أن تحقيق الهدف الاجتماعي والاقتصادي في تربية المرأة عند ابن الجوزي مطلب شرعي وتربوي وعملي، كما يتضح لنا أن ذلك الهدف إنما هو انعكاس للأهداف الأخرى السابقة.

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(٢٧٤).

(٢) المرجع السابق، انظر: ص(٣٩٣).

ثالثًا: مصادر تربية المرأة عند ابن الجوزي

وبعد أن عرفنا في الصفحات السابقة أهداف تربية المرأة، فإن الحديث في هذه الصفحات يأتي مناسبًا عن المصادر والمنابع التي استقى منها ابن الجوزي آراءه التربوية المتعلقة بالمرأة حتى يكون القارئ والباحث على بصيرة من مدى مصداقية تلك الآراء التربوية، ومدى موافقتها للنظرة الإسلامية الصحيحة، وإذا ثبت ذلك فيجدر بالتربويين الرجوع إلى تلك المصادر الأساسية أثناء دراساتهم التربوية.

والمتأمل في آراء ابن الجوزي في تربية المرأة يجد أنه اعتمد على المصادر التالية:

١ - القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو المصدر الأول لكل تعاليم الإسلام وقيمه؛ لأنه اشتمل «على حقائق الغيب، وحقائق النفس، وحقائق الحياة وحقائق الاجتماع الإنساني، وبيّن من سنن الله تعالى ومن آياته في الأنفس والآفاق ما لا يستغني بشر عن معرفته والاهتداء بهديه»[1]، قال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].

وقد قدّم بناء تربويًّا متكاملاً للفرد والمجتمع، و«بدأ نزوله بآيات

(١) محمد بن أحمد تقية: «مصادر التشريع الإسلامي»، ص(٢٣).

تربوية، فيها إشارة إلى أن أهم أهدافه تربية الإنسان بأسلوب حضاري فكري عن طريق الاطلاع والقراءة والتعلّم والملاحظة العلمية لخلق الإنسان منذ كان علقة في رحم الأم»[١]، قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١ - ٥]. وفي مجال تربية المرأة فإن القرآن الكريم يفيض بالتربية الهادفة؛ حيث وضح معظم حقوقها الشرعية والتربوية والاجتماعية، ووضع أسسًا عامة لتربيتها تستقي منها منهاج حياتها العلمية والعملية.

ولقد أدرك ابن الجوزي تلك الحقائق العلمية، وألّف العديد من الكتب في القرآن وعلومه، واعتمد عليه في دعم كثير من آرائه الشرعية والتربوية عامة، ولعلمه بأهمية القرآن الكريم باعتباره مصدرًا رئيسيًّا في تربية المرأة، فإن أول ما انتقده على النشأة السلبية للفتاة الصغيرة أنها «تنشأ في مخدعها لا تُلقّن القرآن»[٢]، وذلك يدل على أنه يرى أن القرآن الكريم هو المصدر الأول في تربية المرأة منذ بداية نشأتها الأولى.

٢ - الحديث الشريف:

وهو ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خُلقِية أو سيرة سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها[٣].

ولقد حملت السنة النبوية منهجًا تربويًّا لجميع فئات المجتمع بما فيها

---

(١) عبد الرحمن النحلاوي: «أصول التربية الإسلامية»، ص(٢٤).

(٢) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(١٣١).

(٣) محمد لطفي الصباغ: «الحديث النبوي»، انظر: ص(١١٨).

المرأة، فلا تكاد ترى جانبًا من جوانب حياتها إلّا وبيّنته السنة النبوية. ولقد استمد العلماء المربون كثيرًا من قضايا المرأة التربوية من الحديث الشريف لعلمهم بأنه من مصادر التربية الإسلامية الرئيسة، وأنه مفصل للقرآن الكريم ومبين له، ولأن النبي ﷺ هو المربي الأول الذي بيّن حقوق المرأة الشرعية والتربوية والاجتماعية وغيرها. وأكثر استشهادات ابن الجوزي وأدلته في حديثه عن المرأة إنما هي من السنة النبوية الشريفة، بل إن كتاب «أحكام النساء» يحتوي على جملة كبيرة من الأحاديث؛ فلا يكاد يخلو باب من أبواب الكتاب، إلّا وفيه حديث أو حديثان أو أكثر، وأغلب الأحاديث التي ذكرها أحاديث صحيحة من كتب السنة المعتمدة مثل صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وغيرهما، وما ذلك إلّا لأنه من العلماء الذين لهم باع طويل في الحديث وعلومه، ومع ذلك فقد أورد عددًا من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، كما بيّن ذلك العلماء المتخصصون، ويمكن أن يكون ذلك بسبب ذكره لكثير من القصص والأخبار، أو أنه لم يراجع ما كتبه وصنّفه. ولعل في ذلك دليلاً واضحًا على إدراكه لأهمية السنة النبوية في تربية المرأة المسلمة.

٣ - هدي السلف:

المراد بالسلف هم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين من أهل القرون المفضلة، والذين عناهم الرسول ﷺ بقوله: «**خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»[(١)]، وهم من خيرة خلق الله بعد الرسل والأنبياء، آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا في الله حق جهاده، وكان همهم

(١) البخاري: «صحيح البخاري»، ج٢، ص(٩٣٨)، رقم (٢٥٠٨).

تبليغ دين الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد حرصوا على تعلّم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والنهل من معينهما، فبنوا حياتهم الاجتماعية والتربوية والاقتصادية على أسس متينة من تعاليم الدين الإسلامي القويم، وبيّنوا حقوق الفرد والجماعة، والرجل والمرأة، فكانت تربيتهم مثالاً رائعًا لكل عالم ومفكر وتربوي.

ولقد أثنى الله ﷻ عليهم في مواضع كثيرة من القرآن الكريم نظرًا لمكانتهم العالية ومنزلتهم الرفيعة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. وأمّا المقصود بهدي السلف فهو: «تلك الأقوال والأفعال والأخلاق والسير التي كان عليها أهل القرون المفضلة، والتي اقتبسوا معالمها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ»(١).

ولقد عَرف ابن الجوزي قدرهم ومنزلتهم حق المعرفة، فنقل عنهم علمًا غزيرًا، وكتب عنهم الكثير من المصنفات وخص بعضهم بمؤلفاتٍ مُستقلّة. ومما قال في مقدمة كتابه «تاريخ عمر بن الخطاب»: «فإن أخبار الأخيار دواء للقلوب وجلاء للألباب من الدنس والعيوب، وإن أولى من جمعت أخباره أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لأنه جمع العلم والعمل»(٢).

ويدعم ابن الجوزي كثيرًا من آرائه في تربية المرأة بآثارٍ عن السلف

---

(١) خليل الحدري: «التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها»، ص(١٧٧).

(٢) ابن الجوزي: «تاريخ عمر بن الخطاب»، (د. ت)، ص(٧).

الصالح، مما يدل على اهتمامه بالاقتداء بهديهم وأقوالهم باعتبارها من مصادره المهمة في تربية المرأة لما تتضمنه من قيمٍ تربوية عظيمة. ومما ذكره عنهم في كتاب «أحكام النساء» قوله: «كان كثير من السلف لا يقنعون بنفس ما يغني الفقير، بل يعطونه فوق ما يؤمل»[(١)].

٤ - التجربة والخبرة:

لقد عاش ابن الجوزي زمنًا طويلاً يقرب من تسعين عامًا، وقرأ كمًّا هائلًا من المصنفات، وألف عددًا ضخمًا من المصنفات في شتى العلوم والفنون، وسبر أغوار الناس بوعظهم وتعليمهم ومخالطتهم وقضاء حوائجهم كما هو حال العلماء الكبار، إضافة إلى اطلاعه على أحوال الأمم الماضية والأمم الأخرى ونقله للكثير من القصص والأخبار عن حياة الناس، وكثرة تأمله وتفكره في الخلق والكون والحياة، ومن يقرأ بعض كتبه مثل: (صيد الخاطر) يطّلع على جوانب متعددة من تجاربه وخبرته في الحياة، بل إنه يُكثر من ذكر التأمل والتفكر والتجربة فيه.

وعلى سبيل المثال قوله: «اسمعوا نصيحة من جرّب وخبرَ»[(٢)]، وتوضيحه بأنه قد استفاد من خبرته في الحياة بقوله: «ومما أفادتني تجارب الزمان أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يُظاهر بالعداوة أحدًا ما استطاع»[(٣)]. ويُشير إلى أن التجربة علّمته فضل العزلة فيقولُ: «ما أعرف نفعًا كالعزلة عن الخلق خصوصًا للعالم والزاهد»[(٤)].

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، (ص٢٤٩).

(٢) ابن الجوزي: «صيد الخاطر»، ص(٢٧١).

(٣) المرجع السابق، ص(٢٢٩).

(٤) المرجع السابق، ص(٣٥٥).

وبناءً على ذلك يمكن القول: إن التجربة والخبرة تُعد من مصادر التربية عند ابن الجوزي عامةً، وتربية المرأة خصوصًا؛ فهو رجل عارف بأحوال النساء وطباعهن وتصرفاتهن، وقد بنى بعض آرائه على خبرته وتجربته في الحياة، ومن ذلك أن الولي ينبغي له أن يزوّج ابنته بشابٍ حسن الصورة، لأن المرأة تحب ما يحب الرجل[(١)]، ورأيه في أن الفتاة لا تتزوّج شيخًا كبيرًا قد بلغ الستين أو قاربها لأن في ذلك ضررًا عليها وعليه[(٢)].

وإذا كانت التجربة والخبرة من المصادر الهامة للتربية إلّا أنه قد يحدث بعض الأخطاء عند الخبير والمجرب، ولذلك يجب التنبه لها وإخضاعها للدراسة والبحث والتأمل.

٥ - تراث الأمم الأخرى:

ومن المصادر التي استقى منها ابن الجوزي آراءه في تربية المرأة تراث الأمم الأخرى التي لا تدين بالإسلام؛ فعندما يتحدث عن أهمية النظافة بالنسبة للمرأة، وأنه ينبغي عليها أن تحذر من رؤية زوجها لما هو مُكروه من جسمها يقول: «ورأى كسرى يومًا كيف يُسلخ الحيوان ويُطبخ فتقلبت نفسه ونفى اللحم، فذكر ذلك لوزيره، فقال: أيها الملك، الطبيخ على المائدة، والمرأة في الفراش. ومعناه: لا تُفتش على ذلك»[(٣)].

ويمكن القول: إن اعتماد ابن الجوزي على تراث الأمم الأخرى في تربية المرأة محدود، فلم أجد إلّا النص السابق يدل على ذلك، ولكنه

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٣٠٥).

(٢) ابن الجوزي: «صيد الخاطر»، انظر: ص(٤٢٥).

(٣) المرجع السابق، ص(٦٠٦).

يُوحي بأن ابن الجوزي كان يستفيد من تجارب الآخرين، ولقد أثبت عبد العزيز الغزولي أن ابن الجوزي كان يستفيد من الفلسفة اليونانية والحكمة الشرقية في كثير من آرائه بصفة عامة[١].

ومهما يكن من أمر فإن الحكمة ضالة المؤمن، لكن ينبغي الحذر عند الاستفادة من تراث الأمم الأخرى في مجال التربية وغيرها من أن الذي يُنقل عنهم لا يُعارض تعاليم الشريعة الإسلامية.

(١) عبد العزيز الغزولي: «ابن الجوزي الإمام المربي، والواعظ البليغ والعالم المتفنن»، ص(٨٤ - ٩١).

رابعًا: أساليب تربية المرأة عند ابن الجوزي

من خلال النظر والتأمل في تراث ابن الجوزي التربوي يتضح أنه استخدم عددًا من الأساليب المؤثرة في تربية المرأة، نظرًا لأنه كان مفكرًا متعدد العلوم واسع الاطلاع يتمتع بصفاء الذهن وطول التجربة. ويمكن عرض تلك الأساليب كما يلي:

١ - النصح والإرشاد:

يعد أسلوب الوعظ والإرشاد من أبرز الأساليب المؤثرة في توجيه الإنسان «وللنصيحة أو الموعظة أثرها النفسي الكبير في الإنسان إذا كانت صادرة عن شخص محبوب لديه تربطه به علاقة المودة والاحترام والتقدير ويطمئن إلى نصحه وإرشاده، ويشعر بنبرات الصدق والإخلاص فيه»[١].

وكما هو معلوم عن ابن الجوزي من بروزٍ واضح وشهرة مدوية في استخدام هذا الأسلوب بشكل واسع في تربية الخاصة والعامة والرجل والمرأة، بل أضحى أسلوب النصح والوعظ سمة من سماته، فلا يكتب عنه أحدٌ من العلماء والمفكرين إلا ويذكر أن صفة «الوعظ» مرتبطة به. وقد استخدم هذا الأسلوب المؤثر في تربية المرأة؛ فهو ينصحها أن تحرص على إرضاء زوجها ويرشدها إلى سبيل ذلك، كما ينصحها بالصبر

(١) عبد الحميد الزنتاني: «أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية»، ص(١٩٦).

على أذى الزوج[١]، ويعظها أن تجد وتجتهد وتستعد للموت قبل نزوله، ويدعوها إلى الخير والصلاح والاستقامة[٢].

ولعل تطبيق ابن الجوزي العملي لما يقوله هو السبب في زيادة تأثيره في نفوس الناس واستجابتهم لنصحه وإرشاده. ولهذا الأسلوب الذي استخدمه ابن الجوزي آثار تربوية على المتعلمة؛ حيث إنه يؤثر فيها تأثيرًا بالغًا عن طريق إثارة مشاعرها ويعزز الثقة في نفسها، ويقوي جوانب الخير فيها ويُضعف دوافع الشر، مما يؤدي إلى استقامتها على طريق الخير، ويُشعرها بالمسؤولية والكرامة والمكانة المرموقة في الإسلام فتستجيب إلى ما يُطلب منها.

٢ - القصة:

التربية بالقصة أسلوب مؤثر في نفسية «المتعلم صغيرًا كان أو كبيرًا، وإذا أحسن المربي اختيار النوع المناسب من القصص لسن وجنس المتعلم كان لها الأثر في تربيته وتغيير سلوكه»[٣].

ولقد اهتم ابن الجوزي بهذا الأسلوب اهتمامًا بالغًا وأفرد الباب الأخير من كتاب «أحكام النساء» لذكر جملةٍ من قصص النساء الفاضلات من زوجات الأنبياء والصحابيات وغيرهم، ثم قال: «هذه نبذة من أخبار النساء الصالحات والفاضلات تكتفي بسماعها وفهمها المرأة العاقلة الموفقة، فإن أحبت زيادة في أخبار النساء نظرت كتابنا المسمى بصفة الصفوة فإن كانت

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(٣٢١).

(٢) المرجع السابق، انظر: ص(٤١٢ - ٤١٧).

(٣) حسين العمري: «الأساليب المستنبطة من تعامل رسول الله ﷺ مع زوجاته وآثارها التربوية»، ص(١٣٧).

عالية الهمة سمت همتها إلى فنون العلم»[١]، ويسهب في كتاب «صفة الصفوة» في ذكر جملة من القصص عن النساء الفاضلات الصالحات.

والمتأمل في استخدام ابن الجوزي لأسلوب التربية بالقصة يلحظ ما يلي:

أ - أنه يُورد القصص ذات التأثير الإيماني والخلقي والمعرفي والاجتماعي ويوضح ذلك فيقول: «وأنا أذكر من أعيان النساء المتقدمات في الفضائل فأبتدئ بذكر جماعة من القدماء ثم من نختار ذكره من الصحابيات ثم أذكر جماعه من الفاضلات بشرف أو علم أو تعبد أو كرم والله الموفق»[٢].

فمن القصص ذات المغزى الديني قصة آسية بنت مزاحم امرأة فرعون التي «آمنت بموسى عليه السلام فعلم فرعون فعذبها»[٣]، وقصة عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما وتعبدها واجتهادها، ومما رواه عنها عبد الرحمن[٤] بن القاسم عن أبيه قال: كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة وأسلم عليها فغدوت يومًا فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]، وتدعو وتبكي وترددها فقمت حتى مللت فذهبت إلى السوق لحاجتي، ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي[٥].

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٤٦١).

(٢) المرجع السابق، انظر: ص(٤١٨).

(٣) المرجع السابق، انظر: ص(٤٢٠).

(٤) هو: عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، كان من فقهاء المدينة وعلمائها، توفي سنة (١٢٦هـ). راجع: «تهذيب التهذيب»، ج٦، انظر: ص(٢٥٤).

(٥) ابن الجوزي: «صفة الصفة»، ج٢، انظر: ص(٣١)، و«أحكام النساء»، انظر: ص(٤٢٩).

ومن القصص ذات المغزى الاجتماعي قصة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما التي قال عنها ابن الجوزي: «أسلمت قديمًا وهي ذات النطاقين وكانت تمرض المرضة وتعتق كل مملوك لها»(١).

ومن قصص النساء اللاتي كان لهن دور كبير في تربية أبنائهن تربية صالحة وحثهم على الخير ذكر قصة خنساء بنت عمرو النخعية: وقال: «لمّا اجتمع الناس بالقادسية دعت الخنساء بنت عمرو بنيها الأربعة فقالت: يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم وما بنت بكم الدار ولا أقحمتكم السنة ولا أرداكم الطمع، ووالله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد كما إنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا غيرت نسبكم ولا وطأت حريمكم ولا أبحت حماكم فإذا كان غدًا فاغدوا لقتال عدوكم مستنصرين الله مستبصرين، فغدوا وقاتلوا وكانوا إذا جاؤوا بأعطيتهم يصبونها في حجرها فتقسم ذلك حفنة حفنة فما يغادر واحد من عطائه درهمًا»(٢).

ومن قصص النساء المربيات لأبنائهن على طلب العلم ذكر قصة أم سفيان الثوري وقال عنها: «وقالت أم سفيان الثوري له: يا بني أطلب العلم وأنا ألفيك بمغزلي يا بني إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة فإن لم تر ذلك فاعلم أنه لا ينفعك»(٣).

ومن القصص ذات المغزى الأخلاقي والاجتماعي ذكر قصة أم البنين

---

(١) ابن الجوزي: «صفة الصفوة»، انظر: ص(٥٨)، و«أحكام النساء»، انظر: ص(٤٢٦).

(٢) ابن الجوزي: «صفة الصفوة»، ج٤، انظر: ص(٣٨٥).

(٣) ابن الجوزي: «صفة الصفوة»، ج٣، انظر: ص(١٨٩)، و«أحكام النساء»، انظر: ص(٤٥٤).

بنت أم عبد العزيز بن مروان أخت عمر بن عبد العزيز وقال عنها: «كانت من الأجواد الكرماء، وكانت تقول: لكل قوم نهمة في شيء ونهمتي في الإعطاء، وكانت تعتق كل جمعة رقبة، وتُحمل على فرس في سبيل الله ﷻ وتقول: أفٍّ للبخل لو كان قميصًا لم ألبسه ولو كان طريقًا لم أسلكه»(١).

ومن القصص ذات المغزى العلمي والمعرفي أورد قصة أم عيسى بنت إبراهيم الحربي، وقال عنها: «كانت عالمة فاضلة تفتي الفقه، وهي مدفونة إلى جانب أبيها»(٢)، وقصة أمَة السلام بنت القاضي أبي بكر أحمد بن كامل التي «كانت عالمة، عاقلة كثيرة الفضل»(٣).

ب - أنه يورد القصص في أسلوب شيق مبرزًا الهدف الذي أوردها من أجله ويختار القصص التي تحفز القارئ والسامع على الاقتداء بما ورد فيها من قيم وفضائل.

جـ - أن ذكر ابن الجوزي لعدد كبير من القصص نابع من معرفته بميول المرأة ومحبتها إلى سماع القصص، والإفادة منها وذلك لقوة عاطفتها وشدة تأثرها.

د - يُلاحظ على ابن الجوزي أنه قد يورد بعض القصص التي توحي

---

(١) ابن الجوزي: «صفة الصفوة»، ج٤، انظر: ص(٢٩٨)، و«أحكام النساء»، انظر: ص(٤٤٦).

(٢) ابن الجوزي: «صفة الصفوة»، ج٢، انظر: ص(٥٢٧)، و«أحكام النساء»، انظر: ص(٤٦٠).

(٣) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(٤٦١).

بالغرابة في بعض جوانبها، مثل إيراده لقصة «امرأة بمكة تسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحه فماتت فلما بلغت القبر اختلست من أيدي الرجال»[١]، وتكمن الغرابة في هذه القصة أن المرأة لما بلغت القبر اختلست من أيدي الرجال، ولم يورد اسمها، ولم يورد مصدرها، إضافة إلى أنّ مثل ذلك الأمور لم تحدث حتىٰ في زمن الصحابيات وأمهات المؤمنين وهن من خيرة النساء وأفضلهن. ولعل ذلك من أخطائه وعدم تثبته من بعض الأخبار، رحمه الله وغفر له.

ولعل استخدام ابن الجوزي لأسلوب القصة بكثرة ينبع من إدراكه لآثارها التربوية التي قد لا تتحقق في غيرها من أساليب التربية الإسلامية؛ فهي تنمي الوازع الديني لدى المرأة، وتعمل على ترسيخ الإيمان في نفسها، وتربي عواطفها نحو الخير والصلاح، وتعمل على غرس الفضائل فيها، وتساعدها على التفكر والتأمل، وتحفزها على سلك دروب أهل الفضل والعلم.

٣ - القدوة:

القدوة من أبلغ الأساليب المؤثرة في تربية الناشئة وغيرهم، وهو الأسلوب الناجع الذي يترجم الكلمات إلى مواقف، ويحول العبارات إلى سلوكيات وأخلاق فتتربى النفوس من خلاله تربية صحيحة مؤثرة»[٢]، والفرد يتأثر بوالديه تأثرًا كبيرًا لأنه يراهما مثله الأعلى، ويتأثر بإخوانه وأخواته ومعلميه وكل من يحيط به، والمتعلم إذا رأى ممن

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٤٥١).

(٢) خليل الحدري: «التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها»، ص(١٩٩).

يتأثر به المبادرة إلى ما يدعو إليه يعلم أهمية الأمر، وأن ما يُطلب منه أمر واقعي يمكن تطبيقه بيسر وسهولة، يقول علي خليل أبو العينين: «إن دور القدوة مهم في حياة الأفراد والجماعات، وما أصيبت دعوة أو فكرة أو مذهب بافتقاد القدوة إلا فقدت تأثيرها، وما قدّم صاحب دعوة الدليل العملي على صحة دعواه إلا بالسلوك والقدوة، وحينئذ يقتنع الناس بها وتصبح واقعًا سلوكيًّا في حياة الناس»(١).

ولقد أشار ابن الجوزي إلى أن الطفلة الصغيرة ترى في أمها المثل الأعلى وتقتدي بها فقال: «وربما رأت أمها تؤخر الغسل من الحيض إلى حين غسل الثياب وتدخل الحمام بغير مئزر وتقول ما معي إلا أختي وابنتي وتأخذ من مال الزوج بغير إذنه وتسحره، تدعي جواز ذلك لتعطفه عليها وتصلي مع القدرة على القيام قاعدة، وتحتال في إفساد الحمل إذا حبلت، إلى غير ذلك من الآفات»(٢)، ولذلك فلا بد من إعداد القدوة الصالحة للطفلة في المنزل والمدرسة والمجتمع. ويؤكد ابن الجوزي على أن النبي ﷺ هو القدوة لكل مسلم ومسلمة بما حباه الله من خلق قويم وشخصية فريدة تتخذ من القرآن الكريم منهجًا في الحياة(٣). ويشير إلى أن المرأة تقتدي ببنات جنسها أكثر من غيرهن فيقول: «اعلم أنه إذا ذُكر من له فضل من الجنس كان تحريضًا للعازم وتوبيخًا للمتكاسل وتعليمًا للمسترشد»(٤)، فالإنسان يقتدي بمن يراه مثالًا للقدوة خاصة إذا كان من

(١) علي خليل أبو العينين: «القيم الإسلامية والتربية»، ص(١٤١).
(٢) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(١٣١).
(٣) ابن الجوزي: «الوفا بأحوال المصطفى»، انظر: ص(٣٨٠).
(٤) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٤١٨).

جنسه، فالمرأة تؤثر فيها المرأة، والطفلة تتخذ من أمها قدوة لها وتميل إليها أكثر من أبيها.

وعندما وضح ابن الجوزي أهمية القدوة في حياة المتعلمة فإنه يعلم آثارها التربوية التي تتجلى في القناعة التامة من المتعلمة بما تُدعى إليه، فتمتثل لكل ما يوجه إليها بارتياح ورحابة صدر، بالإضافة إلى محبتها لمن تقتدي به سواء كان أبًا أو أمًّا أو معلمة وثقتها فيه وفي نفسها عند الامتثال والتطبيق.

٤ - ضرب المثل:

وهو نوع من أساليب الإيضاح ولكن له أهمية خاصة لأنه يعد «من أهم الأساليب في عملية التربية وخاصة في التوجيه العقائدي والخلق، لما له من تأثير إيجابي في العواطف والمشاعر وفي تحريك نوازع الخير في النفس البشرية»(١). والقرآن الكريم والسنة النبوية يحتويان على كثير من الأمثال والعديد من التشبيهات مما يؤكد على تأثير أسلوب ضرب المثل والتشبيه في تربية الفرد المسلم ذكرًا كان أو أنثى.

وقد استخدم ابن الجوزي هذا الأسلوب في آرائه التربوية الخاصة بالمرأة، فعندما يتحدث في كتاب «أحكام النساء» عن وجود الله ﷻ وربوبيته يضرب للمرأة مثلًا فيقول: «لو أن إنسانًا مر في برية ثم عاد فرأى قصرًا مبنيًّا، علم أنه لا بد من بانٍ بنى ذلك القصر»(٢).

ولعل ابن الجوزي كان يدرك أن ضرب المثل يقرّب المعنى المراد

---

(١) عبد الحميد الزنتاني: «أسس التربية في السنة النبوية»، ص(٢١٠).

(٢) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(١٣٨).

لذهن المتعلمة ويوضحه، ويقرره في عقلها، ويعمل على ترسيخ الإيمان في نفسها ويقويه، ويدرب العقل على التفكير السليم، وينمي طريقة التفكير والقياس، ويؤدي إلى اقتناعها بالأفكار المطروحة.

٥ - الترغيب والترهيب:

النفس الإنسانية تميل إلى ما يؤدي بها إلى تحقيق الخير والسعادة وتخشى مما يسبب لها الشقاء والتعاسة، ولهذا فإن أسلوب الترغيب والترهيب يتوافق مع طبيعتها ويؤثر فيها تأثيرًا قويًّا، وأغلب البشر يندفعون نحو الأعمال التي تحقق نتائج حسنة وينفرون من الأعمال التي لها نتائج سيئة وهذه طبيعة الإنسان، والمتأمل في كتاب الله وسنة النبي ﷺ يجد أن الشريعة الإسلامية قد سلكت هذين الأسلوبين في تربية الناس.

ولقد أدرك ابن الجوزي جدوى هذا الأسلوب العظيم في تربية المرأة فعمد إلى استخدامه في مواطن مختلفة؛ فعندما يبيّن ثواب طاعة الزوج يورد بعضًا من الأحاديث التي تُرغب المرأة في طاعة زوجها(١)، مثل حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة**»(٢). ويستخدم أسلوب الترهيب في مواضع مختلفة مثل إيراده جملة من الأحاديث في عقوبة النائحة والمستمعة(٣)، ومنها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ النائحة

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٣٢٢، ٣٢٣).

(٢) الترمذي: «سنن الترمذي»، ج٣، ص(٤٦٦)، رقم (١١٦١)، وقال عنه الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

(٣) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(٣٩٤).

والمستمعة»[١]. وبناء على ذلك فإن ابن الجوزي قد برع في استعمال هذا الأسلوب وأتقن استخدامه خاصة وأنه مجيد للوعظ وطرقه.

وينبغي الإشارة إلى أنه يجب مراعاة جانب الاعتدال في الترغيب والترهيب دون مبالغة فيها حتى تؤتي ثمارها المرجوة منها في التربية.

ولأسلوب الترغيب والترهيب آثار تربوية بالغة على المتعلمة؛ إذ إنه يعمل على غرس العقيدة الصحيحة في نفسيتها، وينمي جوانب الخير فيها ويعمل على إضعاف كوامن الشر، ويساعد على تنمية العواطف الإنسانية لديها، مثل الحب والرجاء والخوف والخشوع في توازن واعتدال، ويُسهم في تربيتها على مراقبة الله في السر والعلن.

٦ - المدح والثناء:

وهو نوع من أنواع الثواب يثير الفرح والسرور والارتياح في النفس البشرية، وبالتالي فإن الممدوح في مرحلة الطفولة يفعل المطلوب منه غالبًا، وهذا في الواقع المشاهد ملموس ومعلوم، لأن النفوس مجبولة على حب الثناء والمدح، غير أن هناك ضوابط لاستعماله في مجال التربية، من أهمها أن يمدح الإنسان بما فيه بدون كذب أو زور، مع عدم الإسراف في استعمال عبارات المدح والثناء حتى لا تفقد قيمتها التربوية وتأثيرها في النفوس.

ولقد استعمل ابن الجوزي هذا الأسلوب من أجل استثارة دوافع الخير في المرأة المتعلمة فقال: «هذه نبذة من أخبار النساء الصالحات

---

(١) أبو داود: «سنن أبي داود»، ج٣، ص(٤٩٣)، رقم (٣١٢٨).

والفاضلات، تكتفي بسماعها وفهمها المرأة العاقلة الموفقة»[١]، فكل امرأة تتمنى أن تكون على قدر من رجحان العقل وأن يكتب لها التوفيق في الدنيا والآخرة.

وهذا الأسلوب يثير قوى الخير عند المرأة ويشحذ همتها حتى تفعل ما يُطلب منها، ويقوي شعورها بالسرور والمحبة ويعمل على تنمية الثقة في نفسها.

٧ - الثواب والعقاب:

أسلوب الثواب والعقاب من الأساليب التربوية المعروفة لدى المجتمعات البشرية منذ القدم؛ فالثواب يكون للمحسن على إحسانه وسلوكه الطريق الصحيح، والعقاب يكون للمسيء على إساءته، غير أن هذا الأسلوب لا بد أن يُراعى فيه العدل وعدم المبالغة حتى لا تكون هناك نتائج عكسية لاستخدامه.

وينبغي تقديم الثواب على العقاب في التربية بشكل عام، لأن له مردودًا إيجابيًا على شخصية المتعلم أيًا كان جنسه، حيث أثبتت التجارب «أن العقاب والثواب لا يتساويان في أثرهما فأثر الثواب عادة أقوى من أثر العقاب»[٢].

ولقد أدرك ابن الجوزي ذلك قديمًا فبيّن للمرأة أن ثوابها الجنّة إن كانت صالحة ووضح لها «ثواب تربية الأولاد»[٣]، و «ثواب تربية البنات

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٤٦١).

(٢) سعيد جلال: «المرجع في علم النفس»، ص(٥٧٠).

(٣) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٣٥٥).

والنفقة عليهن وعلى الأخوات»[١]، وبيّن «ثواب من ماتت نفساء»[٢].

والملاحظ اهتمام ابن الجوزي بإبراز أسلوب الثواب وتفضيله على العقاب، لأن له آثارًا حسنة على سلوك المرأة واستقامتها، فالثواب يحفزها لعمل الخيرات ويجعلها تستمر فيه، ويثير الدوافع النفسية لديها نحو السلوك الصحيح ويحقق نتائج إيجابية سليمة.

غير أنه لم يُهمل أسلوب العقاب للمرأة التي تخرج عن الطريق القويم؛ فقد وضح عقاب العاصية لزوجها وأورد عددًا كثيرًا من الأدلة[٣]، ومنها حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إذا دعا أحدكم امرأته إلى فراشه فلم تأته لعنتها الملائكة حتى تصبح**»[٤]. ويوضح رأيه في معاقبة الرجل لزوجته المخطئة فيقول: «وليعلم الإنسان أن من لا ينفع فيه الوعيد والتهديد لا يردعه السوط، وربما كان اللطف أنجح من الضرب فإنه يزيد القلب المعرض إعراضًا، وفي الحديث: «**ألا يستحي أحدكم أن يجلد امرأته جلد العبد ثم يُضاجعها**»؟[٥] فاللطف أولى إذا نفع»[٦]، فلا ينبغي اللجوء إلى العقاب البدني إلا في أضيق الحدود، وبعد استخدام جميع الوسائل، وينبغي التدرج فيه بحكمة وعدل وتوازن، يقول ابن الجوزي: «إذا نشزت المرأة على الرجل أو خالفته فيما هو حق

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٣٠٦).
(٢) المرجع السابق، ص(٣٥٣).
(٣) المرجع السابق، ص(٣٢٤ - ٣٢٧).
(٤) البخاري: «صحيح البخاري»، ج٣، ص(١١٨٢)، رقم (٣٠٦٥)، ومسلم: «صحيح مسلم»، ج٢، ص(١٠٥٩)، رقم (١٤٣٦).
(٥) البخاري: «صحيح البخاري»، ج٤، ص(١٨٨٨)، رقم (٤٦٥٨).
(٦) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٣٣١).

له فلتؤدب بإذن الله ﷻ وهو أن يعظها فإن أصرت على الخلاف هجرها في المضجع فإن أصرت ضربها ضربًا غير مبرح سوطًا أو سوطين أو يزيد قليلًا»[١]؛ «فالضرب إذن بالنسبة للمرأة عملية مستهجنة ولكنها قد تكون أحيانًا عملية اضطرارية حين يستعصي العلاج النفسي والعقلي»[٢]. وواضح أنه قد أخذ هذه الطريقة في تربية الزوجة من قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]. والمتأمل في كلام ابن الجوزي يجد أنه لا يميل إلى استخدام العقاب البدني نظرًا لأنّ له نتائج عكسية أحيانًا، وخاصة على المرأة، لأنها تتمتع بصفات وعواطف مرهفة تجعل العقاب البدني غير مجدٍ معها غالبًا، كما يجب أن يُعلم أن الإسراف في العقاب فيه ظلم عظيم ونتائج سلبية، منها خلخلة شخصية المرأة ودفعها إلى التمرد والعصيان، وربما يؤدي إلى تفكك العلاقات الأسرية ووجود الاضطرابات النفسية بين أفراد الأسرة.

ويمكن القول: إن رأي ابن الجوزي هذا رأي تربوي سليم، لأن الإقناع واللين والتلطف قد يجدي مع كثير من النساء، وأمّا الضرب فنفعه قليل وهو حل أخير قد يلجأ إليه الزوج إذا علم أن له فائدة وجدوى قبل أن يخرج الموضوع عن نطاق الزوجية.

ولأسلوب الثواب والعقاب آثار تربوية؛ منها أن الثواب يُشعر المرأة

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(٣٣٠).

(٢) محمود عبد الحميد: «حقوق المرأة بين الإسلام والديانات الأخرى»، ص(١٢٢).

بالارتياح والفرح والسرور وبالتالي يعينها على أن تسلك الطرق التي تؤدي إليه، وله مردود إيجابي على نفسيتها، مما يؤدي بها إلى التعود على عمل المحامد والفضائل والمكارم. وأمّا العقاب فإنه إذا تم بحكمة وروية فإنه يؤتي ثماره المرجوة، ويُسهم في إصلاح حال المرأة المخطئة، ويؤدي إلى ابتعادها عن الخطأ، ويحفظ حقوق الآخرين وكراماتهم من الاعتداء والامتهان، بالإضافة إلى أن التدرج فيه يُشعر المرأة بكرامتها في الإسلام، ويحميها من ارتكاب الأخطاء التي تستحق عقوبات أكبر من الخطأ الذي وقعت فيه.

٨ - الممارسة العملية:

من أهم أساليب تربية المرأة عند ابن الجوزي أسلوب الممارسة العملية «لكون التعلم والخبرة يتمان بالطريقة المباشرة الفعالة التي تتضمن الممارسة الفعلية والنشاط الذاتي للفرد وتسمح له بعنصر المبادأة والاشتراك الفعلي في عملية التعليم والتربية»[١]. وهذا الأسلوب يؤدي إلى اكتساب المتعلمين العديد من الخبرات والمعارف بدرجة عالية من الإتقان، لأن الممارسة الفعلية تجمع حواس الإنسان وتركيزه نحو ذلك العمل، وليس الممارس كالمتلقي. وقد ركز ابن الجوزي على هذا الأسلوب في تربية المرأة من خلال حثه على «تعليم الأولاد الصلاة إذا بلغوا سبع سنين»[٢]، وتوجيهه للمرأة للقيام بالعبادات والفرائض كالصوم والزكاة والحج[٣].

---

(١) عبد الحميد الزنتاني: «أسس التربية في السنة النبوية»، انظر: ص(٢١٤).

(٢) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(١٨١).

(٣) المرجع السابق، انظر: ص(٢٣١ - ٢٥٧).

وهذا الأسلوب الذي أشار إليه ابن الجوزي يربي في المتعلمة حب العمل والتطبيق، ويؤدي إلى تعزيز الثقة والواقعية في نفسيتها، وينمي دوافع العمل والاستجابة السريعة لديها حين تطبق ما تتعلمه في الواقع العملي، ويجعلها تتقن المطلوب منها في أقصر وقت.

وبعد: فإن ابن الجوزي قد أشار إلى أساليب متنوعة لتربية المرأة مستمدًّا معظمها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهذا يُبيّن لنا روعة الإسلام في تربية أتباعه حيث لم يجعل التربية للمرأة أو غيرها بأسلوب واحد أو طريقة واحدة، وإنما جعل أساليب متنوعة وطرقاً متعددة حتى لا تمل النفوس وتتضجر. ولذلك فإن الأمة بحاجة إلى استخدام تلك الأساليب وغيرها - مما لم يشر إليها ابن الجوزي - في التربية والتعليم سواء في المنازل أو المدارس والجامعات والمساجد، حتى تؤتي ثمارها في تربية الأجيال من البنين والبنات التربية الإسلامية الصحيحة.

وأخيرًا فإذا كان هذا الفصل قد تناول عرض ومناقشة آراء ابن الجوزي في طبيعة المرأة وأهداف ومصادر وأساليب تربيتها، فإنه بذلك يكون قد أجاب عن السؤال الثاني من أسئلة الدراسة: ما أهداف ومصادر وأساليب تربية المرأة عند ابن الجوزي؟.

الفصل الرابع

مجالات تربية المرأة عند ابن الجوزي

أولًا : التربية الإيمانية.

ثانيًا : التربية الخلقية.

ثالثًا : التربية العقلية.

رابعًا : التربية الاجتماعية.

مدخل

وبعد استعراض أهداف ومصادر وأساليب تربية المرأة عند ابن الجوزي في الفصل السابق فمن المناسب في هذا الفصل عرض أهم مجالات تربية المرأة في فكره التربوي، ويمكن تناولها من خلال الآتي:

أولًا: التربية الإيمانية

يُعرّف عبد الله علوان التربية الإيمانية بأنها «ربط الولد منذ تعقله بأصول الإيمان، وتعويده منذ تفهمه أركان الإسلام، وتعليمه من حين تمييزه مبادئ الشريعة الغراء»[1]، وهي أسمى أنواع التربية وأعلاها لأنها تهدف إلى تزكية النفس وتطهيرها من الشوائب، وتعمل على تسخير قواها في الخير والإصلاح، وترسم الطريق الصحيح لنمو الشخصية الإنسانية نموًّا متكاملًا وشاملًا، وهي مصدر هداية النفس والعقل معًا بالإيمان بالله ﷻ وتوحيده وعبادته، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]؛ فعمل الصالحات من المؤمنين والمؤمنات والتمسك بالفضائل والقيم المثلى سبب صفاء نفوسهم ونقاء حياتهم وطمأنينتهم. و(التربية الإيمانية هي التي تعدل المزاج المنحرف، وتقوّم الطبع الفاسد

(١) عبد الله علوان: «تربية الأولاد في الإسلام»، ج١، ص(١٤٧).

وتُصلح النفس الإنسانية، وبدونها لا يمكن أن يتحقق إصلاح أو يتم استقرار أو يتقوّم خلق)[١].

وبالنظر إلى آراء ابن الجوزي في تربية المرأة يتضح تركيزه على بيان مفهوم التربية الإيمانية عن طريق بيان ركائزها التي تقوم عليها من أجل أن تستقيم حياة المرأة وتتكامل جوانب شخصيتها، وترقى فضائلها ومُثلها.

ركائز التربية الإيمانية:

تعتمد التربية الإيمانية عند ابن الجوزي على ثلاث ركائز أساسية هي:

الإيمان بالله وتوحيده، وإقامة الفرائض والعبادات، وعمل النوافل والأذكار. ويمكن تناولها بشيء من التفصيل:

١ - الإيمان بالله وتوحيده:

أول شرط للإسلام هو النطق بالشهادتين التي تعني الإيمان بالله وحده لا شريك له، والتصديق بوجوده ووحدانيته وأنه مدبر الخلق والكون، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

ولقد نبه ابن الجوزي المرأة المسلمة إلى أهمية الإيمان بالله وتوحيده، وحثها على التدبر والتفكر في ملكوت الله والكون والخلق والنفس[٢] لكي يزداد إيمانها وتُدرك أن الله ﷻ هو المستحق للعبودية لا شريك له والمتفرد بها، يقول مقداد يالجن: (ونحن نعلم علمًا واعتقادًا

(١) إبراهيم سعادة: «الإسلام وتربية الإنسان»، ص(٢٤).

(٢) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(١٣٨).

وتجربة - أيضًا - أن الإيمان يزيد برؤية آيات الله في الآفاق وقدرته في المخلوقات)[١]، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

ويؤكد ابن الجوزي على المرأة المسلمة أن تعمل على تحقيق أركان الإيمان؛ فتؤمن بالله والملائكة والكتب السماوية وبالرسل وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وتهتم بفهم العقيدة السليمة التي تؤدي إلى العمل الصالح والسلوك الحسن[٢].

٢ - إقامة الفرائض والواجبات:

غاية خلق الجن والإنس عبادة الله وحده، «وتتجسد العبودية والخضوع والانقياد والتسليم التام لله وحده بالالتزام الكامل بفرائض الله تعالى واستشعار رقابته في جميع الأحوال، ورعاية حرماته باتباع أوامره واجتناب نواهيه»[٣].

وفي حديث ابن الجوزي عن إقامة المرأة للفرائض والواجبات يتضح اهتمامه بفهم المرأة لكل فرض واجب عليها؛ فقد بيّن أحكام الصلاة من أركان وواجبات وشروط وسنن، ووضح الفرق بين المرأة والرجل في كيفية أداء الصلاة[٤]، وذكر تفاصيل أحكام الصوم والزكاة والحج والعمرة مركزًا على الأمور التي تخص المرأة[٥]، ومن ذلك قوله

(١) مقداد يالجن: «جوانب التربية الإسلامية الأساسية»، ص(١٤٦).

(٢) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(١٣٨ و٤١٠، ٤١١).

(٣) عبد الحميد الزنتاني: «أسس التربية في السنة النبوية»، ص(٣٨٠).

(٤) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(١٨١ - ٢٠٥).

(٥) المرجع السابق، انظر: ص(٢٣١ - ٢٥٧).

في الحج: «يجب الحج على المرأة إذا كانت حرة بالغة عاقلة، مستطيعة لها محرم يخرج معها، فالحج للمرأة مكان الجهاد للرجل»[١].

وكل ذلك يدل على مدى إدراك ابن الجوزي للأثر التربوي الذي تتركه تلك العبادات في تكوين شخصية المرأة وتكاملها، وما لها من دور أساسي في تهذيب أخلاقها وسلوكياتها وتزكية نفسيتها وتنمية جوانب الخير لديها، تقول ليلى عطار: «وهذه العبادات بتنوعها وتعددها السنوي والشهري والأسبوعي واليومي، تعتبر روافد أساسية دائمة ومتجددة للزاد الذي يغذي الروح، ويهذب السلوك، ويقوّم الخلق، ويقوي البدن، ويسمو بالنفس عن شهوات الدنيا»[٢]، إضافة إلى أنها تقوّي الصلة بين المرأة وخالقها ﷻ، وتعمل على ترسيخ المبادئ والقيم التربوية في نفسية المرأة، وتصقلها وتدربها على الصبر والإخلاص.

٣ - النوافل والمستحبات:

لا يقف ابن الجوزي عند بيان الفرائض والواجبات على المرأة بل يوضح أثر عمل النوافل والأذكار في تكوين شخصيتها وتربيتها تربية إسلامية على منهاج النبوة المحمدية، لأنها تنمي دوافع الخير لدى المرأة، وتُسهم في سمو نفسيّتها وتزكيتها وتعمل على توثيق صلتها بخالقها، ومن ذلك مخاطبته المرأة بقوله: «إذا قضت المرأة فرائضها وأتت بالسنن، فأحبت أن تتطوع فلتصلِّ صلاة الضحى فإن شاءت ركعتين وإن شاءت أربعًا، وإن شاءت ثمانيًا»[٣]. ويوضح لها أفضل الأوقات

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٢٥٠).

(٢) ليلى عبد الرشيد عطار: «آراء ابن الجوزي التربوية»، ص(٢٥٤).

(٣) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٢٢١).

لصلاة الليل فيقول: «وأفضل التهجد بالليل وسطه، والنصف الأخير في الليل أفضل من الأول»[١].

ولعلم ابن الجوزي بفضل حفظ كتاب الله وتدارسه وأثره في تربية المرأة تربية صالحة فإنه يحثها على الإكثار من تلاوته وحفظ ما تيسر منه بقوله: «وأما الأذكار فأفضلها القرآن... فينبغي للمرأة أن تجتهد في حفظ ما يمكن»[٢].

ويولي ابن الجوزي استقامة المرأة على منهج النبي ﷺ والسلف الصالح اهتمامًا كبيرًا، ويحذرها من فعل النوافل والأذكار التي لا أساس لها في الإسلام ولا دليل عليها فيقول: «قد أغرى كثير من القصاص بذكر صلوات وتسبيحات وأذكار لا أصل لها ولا صحة فيستعملها الجهال والنساء»[٣]. ثم يذكر بعض تلك الصلوات بقوله: «وأما الصلوات التي يذكرها القصاص من صلاة ليلة الفطر، وليلة النحر وليلة الرغائب وليلة نصف شعبان فلا صحة لها»[٤]. وبناءً على ذلك فإن على المرأة المسلمة الاستقامة على النهج النبوي القويم حسب فهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين، حتى تستقيم حياتها وتتكامل شخصيتها بدون خلل أو زلل أو اتباع للهوى، وحتى تظهر آثار تلك الاستقامة في سلوكها وتعاملها مع الآخرين.

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٢٢١).
(٢) المرجع السابق، ص(٢٢٦ - ٢٢٧).
(٣) المرجع السابق، ص(٢٢٣).
(٤) المرجع السابق، ص(٢٢٦).

جوانب التربية الإيمانية:

لقد تميّزت التربية الإسلامية في تربيتها للأفراد والمجتمعات بمنهجين عظيمين «يكمن أحدهما في التربية الوقائية وذلك بأخذ الاحتياطات والتدابير الشرعية التي تقي من الوقوع في الخطأ وتمنع من التردي في المحظور، ويكمن الآخر في التربية العلاجية التي تأتي عقب الوقوع في الخطأ والسقوط في هوة المحظور»(١)، ولقد أولى ابن الجوزي هذين المنهجين عناية فائقة عند حديثه عن المرأة، ويمكن توضيحهما من خلال الآتي:

١ - الجانب الوقائي:

المرأة بطبعها وفطرتها تميل إلى الخير ومحبة الإيمان، ومنذ طفولتها تبدأ مسؤولية والديها في غرس القيم الإيمانية في نفسيتها من أجل تنمية جوانب الخير ووقايتها من الشر والانحراف واتباع الشهوات.

وقد أكد ابن الجوزي على جانب الوقاية في تربية المرأة منذ نشأتها مُنتقدًا أسلوب تنشئة بعض الفتيات دون مراعاة الجانب الوقائي فيقول: «فإن الصبيّة في الغالب تنشأ في مخدعها لا تُلقّن القرآن ولا تعرف الطهارة من الحيض ولا تُعلّم أيضًا أركان الصلاة ولا تُحدّث قبل التزويج بحقوق الزوج»(٢).

ويُستشف من هذا النص مدى اهتمام ابن الجوزي بالجانب الوقائي في تربية الطفلة وبناء شخصيتها منذ نعومة أظفارها؛ إذ ينبغي أن تنشأ على

---

(١) خليل الحدري: «التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها»، ص(٢٣).

(٢) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(١٣١).

تعلّم القرآن ومعرفة الأمور العبادية الهامة مثل الطهارة والصلاة وفهم حقوق الزوج، لأن من أهم التدابير الوقائية تربية المرأة منذ الصغر على العقيدة الصحيحة وفهم العبادات وتعويدها على الصلاة وفعل النوافل والخيرات واجتناب المعاصي.

كما يبرز اهتمام ابن الجوزي بجانب التربية الوقائية للمرأة في مواضع مختلفة، مثل قوله: «وينبغي للمرأة أن تغض طرفها عن الرجال... واعلم أن أصل العشق إطلاق البصر وكما يخاف على الرجل من ذلك يخاف على المرأة»[١]، فجدير بالمرأة المسلمة أن تحفظ نفسها ودينها من الوقوع في المحرمات والشبهات فتغض بصرها عن النظر إلى الرجال الأجانب وعدم التساهل في إطلاقه؛ لأن التهاون في ذلك سبب كبير في ضعف إيمانها وانحراف سلوكياتها.

٢ - الجانب العلاجي:

يهدف هذا الجانب إلى إيجاد الحلول الشرعية والتربوية للمرأة التي قصرت في دينها، أو هفت وارتكبت محظورًا أو معصية، ويؤدي إلى مساعدتها على التوبة والعودة إلى طريق الإيمان والخير والصلاح.

وقد أكد ابن الجوزي على جانب العلاج الإيماني في تربية المرأة، ومن أمثلة ذلك أنه يرى أن علاج إعراض بعض النساء عن طلب العلم هو تحريضهن عليه ولفت انتباههن إلى فضله ومنزلته وترغيبهن في الحرص عليه[٢].

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٢٧٠).

(٢) المرجع السابق، انظر: ص(١٣٠).

ويصف العلاج لمن ضعف إيمانها ووقعت في مهاوي الزنا فيقول: « إذا زنت وجب عليها أن تتوب مما فعلت »[١]، فالتوبة أفضل علاج تربوي لكل من وقعت في الهفوات والهنات والزلات، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. ثم ينصحها بأن « تتعلل على زوجها فتمتنع من أن يقربها إلى أن تستبرئ نفسها »[٢]، وليس معنى ذلك أن تتهاون المرأة في تلك المعصية العظيمة التي تؤدي إلى اختلاط الأنساب وهتك الأعراض وانتشار الأمراض وهلاك الحرث والنسل، وإنما يضع ابن الجوزي ذلك حلًّا للمرأة الصادقة في توبتها النادمة على فعلها حتى لا تختلط الأنساب، ولكي تستر المرأة نفسها، ولا تظهر ذنبها لأحد إلى أن تستبرئ مما وقعت فيه، فالعلاج الشرعي يراعي جميع أحوال المرأة ونفسيتها وسلوكها ووضعها في المجتمع.

وبعد: فيمكن تلخيص أهم آراء ابن الجوزي في التربية الإيمانية في الآتي:

* ضرورة تربية المرأة تربية إيمانية صحيحة، أساسها العقيدة السليمة حتى يكون لها أثر في سلوكها وعباداتها وحياتها العلمية.

* إعمال العقل والتفكر في مخلوقات الله يزيد من إيمان المرأة المسلمة، ويقوي صلتها بخالقها.

* وجوب تنمية دوافع الخير لدى المرأة عن طريق تعويدها على أداء شعائر الإسلام.

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٢٨٠).

(٢) المرجع السابق، ص(٢٨٠).

* الفهم السليم لشعائر الدين الإسلامي، عن طريق الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية وفهم سلف الأمة يؤدي إلى استقامة المرأة، وتكوين شخصيتها تكوينًا سليمًا متكاملًا، وبالتالي ينعكس على أولادها ومجتمعها وحياتها العملية.

* التركيز على الجانب الوقائي في تربية المرأة يؤدي إلى تكوين قاعدة إيمانية قوية ضد العقائد والعبادات الباطلة، والانحرافات السلوكية.

* الاهتمام بالجانب العلاجي له دور فاعل في تهذيب سلوك المرأة، والأخذ بيدها نحو الصلاح والاستقامة.

ثانيًا: التربية الخلقية

يتضمن مصطلح «الأخلاق» معنى السلوك، ومعنى «أخلاقي» السلوك المقبول، و «غير أخلاقي» السلوك غير المقبول[١].

ويُعرِّف الجرجاني الخُلق بأنه «هيئةٌ للنفس راسخة تصدر عنها بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلًا وشرعًا بسهولة سُميت الهيئة: خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سُميت الهيئة التي هي المصدر: خلقًا سيئًا»[٢].

ويقولُ ابن الجوزي في تعريفه: «الخلق: الطبع الكريم، وحقيقة الخلق هو ما يأخذ الإنسان نفسه به من الآداب فسُمي خلقًا لأنه يصير كالخلقة في صاحبه، فأمّا ما طُبع عليه فيسمى «الخِيم» فيكون الخِيم: الطبع الغريزي والخلق الطبع المتكلف»[٣]، فالأخلاق في رأيه نوعان: غريزية وهي التي يطلق عليها «الخِيم»، ومكتسبة وهي الطبع المتكلف.

وأمّا حقيقة التربية الخلقية في نظر الإسلام فـ«هي تنشئة الطفل وتكوينه إنسانًا متكاملًا من الناحية الأخلاقية بحيث يصبح في حياته مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر في كل الظروف والأحوال»[٤].

---

(١) ماجد الكيلاني: «اتجاهات معاصرة في التربية الأخلاقية»، انظر: ص(٢٥).

(٢) علي الجرجاني: «التعريفات»، ص(١٠١).

(٣) ابن الجوزي: «زاد المسير في علم التفسير»، ج٨، ص(٣٢٨).

(٤) مقداد يالجن: «التربية الأخلاقية الإسلامية»، ص(١٠٠).

ويرى ابن الجوزي أن الطفلة يجب أن تربى على مكارم الأخلاق وفضائلها وتنشأ على حفظ القرآن الكريم وفهمه[١]، لأنه يحمل في طيّاته كل خلق نبيل وسلوك سليم، فعندما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق الرسول ﷺ؟ قالت: «كان خلقه القرآن»[٢]، ويفسر ابن الجوزي قول عائشة بقوله: «كان على ما أمره الله به في القرآن»[٣]، فمقياس الأخلاق والفضائل عنده هو اتباع أوامر الله عز وجل في القرآن الكريم وما أمر به النبي ﷺ وحث عليه.

ويمكن القول: إن الركيزة الأساسية للتربية الخلقية في نظر ابن الجوزي هي القرآن الكريم «بمعنى أن كل ما أمر به القرآن الكريم فالإتيان به فضيلة، وكل ما نهى عنه القرآن الكريم فمقاربته رذيلة»[٤]؛ لأن «جلّ ما جاء في القرآن الكريم قيم خلقية فاضلة دعا إلى التحلي بها، أو قيم خلقية راذلة دعا إلى التخلي عنها»[٥].

ويتلخص منهج التربية الخلقية للمرأة عند ابن الجوزي في اتباع أوامر الشرع المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية وما فيهما من قيم تربوية ومثل عليا تفيد المرأة في اكتساب الفضائل ومحاسن السلوك والأخلاق.

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(١٣١).

(٢) أحمد بن حنبل: «مسند أحمد»، ج٦، ص(٢١٦)، رقم (٢٥٨٥٥).

(٣) ابن الجوزي: «زاد المسير في علم التفسير»، ص(٣٢٨).

(٤) آمنة محمد نصير: «أبو الفرج ابن الجوزي آراؤه الكلامية والأخلاقية»، ص(٢٥٤).

(٥) علي عبد الحليم: «التربية الخلقية»، ص(١٨٦).

حاجة المرأة للتربية الخلقية:

لم يُفصح ابن الجوزي عن بيان مدى حاجة المرأة للتربية الخلقية، وإنما يُستنبط ذلك من خلال اهتمامه بتنشئة المرأة تنشئة صالحة تقوم على أساسٍ من الأخلاق الحسنة؛ ولا يمكن أن يكتمل صلاحها واستقامتها إلّا بالتعوّد على الأخلاق الفاضلة والتمسك بها، ونبذ ما عداها من الأخلاقيات.

وبناءً على ذلك فإن حاجة المرأة للتربية الخلقية تبرز من خلال دورها الجوهري في الحياة ووظيفتها الأساسية؛ فهي الأم (التي تلعب الدور الرئيسي في تربية الولد في المراحل الأولى من طفولته، وعلى عاتقها تقع مهمة تهيئة جيل المستقبل وإعداده، وعن طريقها تنتقل إليه القيم الحضارية والأخلاقية والدينية)[١]، وبالتالي فإنّ أخلاقها تنعكس بالضرورة على أبنائها وأسرتها ومجتمعها وأمتها، ولقد صدق حافظ إبراهيم عندما قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيّب الأعراق[٢]

على أنه ينبغي أن تُعطى الأولوية في تربيتها تربية خلقية سليمة لترسيخ مفاهيم الدين الأساسية من قيم تربوية ومثل عليا منبثقة من كتاب الله وهدي المصطفى ﷺ، يقول الإمام الغزالي: (ولن ترسخ جميع الأخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق إلى الأفعال

---

(١) نهاد إبراهيم: «المجتمع الطموح»، ص(٣٨١).

(٢) حافظ إبراهيم: «ديوان حافظ إبراهيم»، ج١، ص(٢٨٢).

الجميلة ويتنعم بها ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها)[١] . وتنمية الأخلاق الفاضلة لدى الطفلة يحتاج إلى تعليم ووعي وجهد ومتابعة لكي تدرك منزلة تلك الأخلاق وما لها من تأثير إيجابي في سير حياتها وأنماط سلوكها.

صور من أساسيات أخلاق المرأة:

في معرض حديث ابن الجوزي عن التربية الخلقية حث المرأة على التحلي بالأخلاق الكريمة وخاصة بعض الأخلاق الأساسية التي تُعد منطلقات لكل خلق قويم وسلوك نبيل.

أ - الحياء:

الحياء خلق نبيل من أخلاق المؤمنين والمؤمنات يدفعهم إلى عمل الخير والابتعاد عن السوء « وهو مأخوذ من الحياة، فلا حياة بدونه، وهو خلق يودعه الله في النفوس التي أراد- سبحانه- تكريمها، فيبعث على الفضائل، ويدفع في وجوه الرذائل، وهو من خصائص الإنسان، وخصال الفطرة، وخصال الإسلام »[٢].

وقد بيّن ابن الجوزي أن الحياء من الصفات الحسنة في المرأة، مستشهدًا بأحاديث نبوية[٣]؛ منها حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، أفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من**

(١) الغزالي: « إحياء علوم الدين »، ج٣، ص(٥٨).

(٢) بكر أبو زيد: « حراسة الفضيلة »، ص(٧٢).

(٣) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، انظر: ص(٤١٤).

الإيمان»[١]، يقول خالد العك: «ولما كان الحياء ذا أثر في قيادة البشرية إلى الخير، والبعد بها عن مواطن السوء والشر حث عليه الرسول ﷺ وأوضح أنه شعبة من الإيمان»[٢]. فالحياء خلق إسلامي رفيع، له تأثير تربوي بالغ؛ إذ يرفع من قدر المرأة ويُعزز ثقتها في نفسها، ويسهم في دماثة خلقها ورفعتها ومكانتها، ويساعدها على التحلي بمحاسن الأخلاق وفضائلها.

ومع أهمية الحياء في حياة المرأة إلا أنّ ابن الجوزي ينصحها بألّا تستحي عند السؤال عن أمر من أمور دينها فيقول: «ومتى حدثت لها حادثة في دينها سألت عنها ولم تستحِ، فإن الله لا يستحي من الحق»[٣]، فالأمور الشرعية التي تحتاج إلى بيان وتوضيح - مع وجود الحرج - مثل الحيض والجنابة والغسل فليس على المرأة من حرج أن تسأل عنها أو ترسل من يسأل أهل العلم والفضل حتى تكون على بيّنة من دينها.

ب - العفة:

العفة هي الكف عما لا يحل ويجمل، والاستعفاف: طلب العفاف، وهو الكف عن الحرام، وقيل: هو الصبر والنزاهة عن الشيء[٤].

ويُعرّف ابن الجوزي العفة بأنها فضيلة الحس الشهواني[٥] وظهور

---

(١) مسلم: «صحيح مسلم»، ج١، ص(٦٣)، رقم (٣٥).

(٢) خالد العك: «شخصية المرأة المسلمة في ضوء القرآن والسنة»، ص(١٧٣).

(٣) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(١٣٩).

(٤) ابن منظور: «لسان العرب»، ج٩، انظر: ص(٣٧٦، ٣٧٧).

(٥) ابن الجوزي: «الطب الروحاني»، انظر: ص(٦).

هذه الفضيلة في الإنسان يكون بصرف شهواته حتى لا ينقاد لها ويصير بذلك حرًّا غير متعهد لشيء منها. وعندما يتحدث عن فضل عفاف المرأة فإنه يحثها على البعد عن مواطن الشُّبه، وينبهها إلى لزوم منزلها وعدم مخالطة الرجال الغرباء فيقول: «ينبغي للمرأة أن تحذر من الخروج مهما أمكنها، فإنها إن سلمت في نفسها لم يسلم الناس منها»(١).

وإذا كانت لها حاجة ماسة خارج المنزل من عمل أو نحوه فيبيّن لها ضوابط الخروج بقوله: «فإذا اضطرت إلى الخروج خرجت بإذن زوجها في هيئة رثة، وجعلت طريقها في المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق، واحترزت من سماع صوتها ومشت في جانب الطريق لا وسطه»(٢)؛ فإذن الزوج وعدم التزين ضابطان مهمان على المرأة أن تلتزم بهما عند خروجها من المنزل للعمل أو الحاجة، وأمّا أن يكون طريقها في المواضع الخالية فالمقصود به الأماكن الخالية من الرجال مثل جانبي الطريق بحيث لا تزاحمهم أو تسير بينهم حتى لا يفتتنوا بها أو تفتتن بهم، ومن لوازم عفاف المرأة أنها تحرص على عدم رفع صوتها فربما سمعها من في قلبه مرض فافتتن بها.

ويؤكد ابن الجوزي على أنّ المرأة ينبغي أن تسلك سبيل العفاف ولا ترى الرجال أو يروها بقوله: «ويكره للمرأة أن تطلع من الخوخات لأنها ترى الرجال، ولا يؤمن أن تتأذى برؤيتهم، كما يتأذون برؤيتها»(٣). وإذا تحققت العفة في المرأة فذلك سبب مهم لتمسُّك زوجها بها وعدم التفريط

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٢٠٩).

(٢) المرجع السابق، ص(٢٠٩).

(٣) المرجع السابق، ص(٢١٤).

فيها[١] لأنها محافظة على دينها وشرفها وعرض زوجها.

وللعفة أثر تربوي في نفسية المرأة؛ مضمونه يتجلّى في شعورها بكرامتها ومكانتها في الإسلام، ويقوي دوافع الخير فيها، ويضعف قوى الشر، ويهيئ الاستقرار النفسي والأسري لها ولزوجها وأولادها.

جـ - الصبر:

يُعرّف ابن الجوزي الصبر بأنه (حبس النفس عن الجزع)[٢]، وهو خلة جميلة تعين المرأة على أداء العبادات، وتجاوز المصائب والملمات، وترك السلوكيات المحظورة، ويكون سببًا في الفلاح في الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]. ويقرر ابن القيم رحمه الله: أن الله «أمر أحب الخلق إليه بالصبر لحكمةٍ وأخبر أن صبره به، وأثنى على الصابرين أحسن الثناء، وضمن لهم أعظم الجزاء، وجعل أجر غيرهم محسوبًا وأجرهم بغير حساب، وقرن الصبر بمقامات الإسلام والإيمان والإحسان»[٣].

ومعلوم أن حياة المرأة مليئة بالشدائد والصعاب كما هو حال الرجل، فإذا تحلت بالصبر وتعودت عليه نالت الثواب والأجر وسهل عليها مواجهة الأزمات والمصائب.

ولقد بيّن ابن الجوزي للمرأة فضل الصبر ومكانته[٤]، وأورد حديث

---

(١) ابن الجوزي: «صيد الخاطر»، انظر: ص(٣٣٣).

(٢) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٣٨٦).

(٣) ابن القيم: «مدارج السالكين»، ج٢، ص(١٦٢).

(٤) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(٣٨٦ - ٣٨٨).

أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **ما أُعطي أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر**»(١)، ثم وضح للمرأة أن الصبر إنما يكون عند الصدمة الأولى بقوله: « وقد علم أن مر الزمان يُسلي المصائب فلذلك أمر الشرع بالصبر عند الصدمة الأولى »(٢).

كما يرى أن « الصبر عن الرذائل فضيلة للنفس بها يحتمل الإنسان الخير والشر، فمن قلّ صبره فحكم هواه على عقله فقد صير المتبوع تابعًا والمأموم إمامًا »(٣).

وللصبر أثر تربوي كبير؛ فهو يعطي نفس المرأة قوةً على تحمّل المصائب، ويعمل على تخفيفها، مما يؤدي إلى قوة إيمانها ودينها وحسن سلوكها.

بعض الأمراض الخلقية:

لقد نبه ابن الجوزي المرأة من الوقوع في بعض الأمراض الخلقية الخطيرة التي تقع فيها النساء بكثرة مثل الغيبة(٤)، وقذف المحصنات، فقال: « من عادة أكثر النساء إذا اجتمعن أن يذكر بعضهن بعضًا، ورميهن المذكورة بكل شيء، وقد عُدّ قذف المحصنات من الكبائر »(٥). ومعلوم أن جملة من مجالس النساء لا تخلو من الحديث المذموم عن الأخريات

---

(١) البخاري: « صحيح البخاري »، ج٢، ص(٥٣٤)، رقم (١٤٠٠)، ومسلم: « صحيح مسلم »، ج٢، ص(٧٢٩)، رقم (١٠٥٣).
(٢) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، ص(٣٨٧).
(٣) ابن الجوزي: « الطب الروحاني »، ص(٦).
(٤) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، ص(٢٦٤).
(٥) المرجع السابق، ص(٢٦٦).

من أبناء جلدتهن، وقد يرمين بعض الغائبات بكل صفة سيئة من الفحش أو البهتان والزور، وتلك أمور يمقتها الشرع ويحذر منها، لأنها تؤدي إلى انتشار الكذب والحقد والكراهية والبغضاء وغير ذلك من الأخلاق المذمومة، وتؤدي إلى تفكك المجتمع وإشاعة الفتن والمشكلات المتعددة.

ومن الأخلاقيات الذميمة التي يجب على المرأة أن تبتعد عنها النظر إلى الرجال من غير محارمها لما في ذلك من أمور لا تحمد عقباها، يقول ابن الجوزي: «وينبغي للمرأة أن تغض طرفها عن الرجال كما يؤمر الرجال بالغض عنها... وأعلم أن أصل العشق إطلاق البصر وكما يخاف على الرجل من ذلك يخاف على المرأة، وقد ذهب دين خلق كثير من المتعبدين بإطلاق البصر وما جلبه، فليحذر من ذلك»[١]، فإطلاق المرأة لنظرها للرجال الأجانب قد يؤدي إلى العشق والزنا وقد تحدث بسببه كثير من المشاكل الأخلاقية التي تؤدي بأفراد المجتمع إلى الهلاك، ولهذا فجدير بكل امرأة مؤمنة تخاف الله وتخشى عقابه أن تجتنب النظر إلى الرجال الأجانب دفعًا للشبهة وحفاظًا على عرضها وعرض أهلها وأسرتها وزوجها.

ومن الأخلاقيات التي نهى ابن الجوزي المرأة عنها أن تصف امرأةً لزوجها، وعلل ذلك بقوله: (واعلم أنه إنما نُهي عن هذا لأن الرجل إذا سمع وصف المرأة تحركت همته، واشتغل قلبه، والنفس مولعة بطلب الموصوف بالحس فربما كانت الصفة داعية إلى تطلب الموصوف،

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٢٧٠).

وربما وقع من اللهج بالطلب لذلك ما يقارب العشق)[١].

كما أنكر بعض الأخلاقيات التي لاحظها في مجتمعه، مثل دخول النساء الحمامات المشتركة، وخلعهن ملابسهن في غير بيوتهن لغير حاجة، وكشف المرأة عورتها أمام امرأة أخرى، وأطال الكلام في توضيح خطر تلك الأخلاقيات المذمومة[٢].

والملاحظ أن أسلوب ابن الجوزي في علاج تلك الأخلاقيات هو استخدام أسلوب التحذير والتنفير منها، والاهتمام بذكر الأسباب النفسية والعقلية والاجتماعية التي تُسهم في إقناع المرأة بترك تلك الأخلاقيات الذميمة والابتعاد عنها.

ومهما يكن من أمر فإن اهتمام ابن الجوزي بالتربية الخلقية عند المرأة يعتبر نسبيًّا إذا ما قورن بجوانب التربية الأخرى مثل التربية الاجتماعية التي أسهب فيها، ولعل السبب في ذلك هو أنه لم يكن يفصل بين المجالات التربوية، وإنما يعدها متداخلة يكمل بعضها بعضًا، وهذا هو الصواب، إضافة إلى عدم وجود رؤية واضحة عن مفهوم التربية الخلقية، وإنما يتم تناولها بصفة شمولية مع التركيز على الأخلاقيات الشائعة في ذلك الوقت.

وبعد: فيمكن تلخيص آراء ابن الجوزي في التربية الخلقية في الآتي:

* أهمية الأخلاق الإسلامية في حياة المرأة، وفي تكوين جوانب شخصيتها.

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٢٨٧).

(٢) المرجع السابق، انظر: ص(١٧١ - ١٨٠).

* وجوب تنشئة الطفلة على الأخلاق الحسنة، وتعويدها عليها منذ الصغر مما يؤدي إلى استقامتها وتفعيل دورها في الحياة.

* مقياس الأخلاق عند ابن الجوزي هو القرآن الكريم، ولذا ينبغي العناية بفهمه وتعلمه وتدبره والعمل بما فيه.

* ترسيخ المفاهيم الخلقية الأساسية في نفسية المرأة يغذي الجوانب الخلقية الأخرى وينميها.

* ضرورة حرص المرأة على التحلي بالأخلاق الفاضلة، مثل الحياء والصبر حتى تؤتي ثمارها في حياتها وسلوكها، وبالتالي تنعكس على أولادها ومجتمعها.

* الأخلاقيات المذمومة خطر على المرأة والمجتمع، ولذا يجب على المرأة الابتعاد عنها والحذر من الوقوع فيها حتى تحفظ دينها وسلوكها وأولادها من الضرر.

* الأخلاق الحسنة فطرية، ينبغي تنميتها كالحياء، ومكتسبة تأتي عن طريق استشعار أهميتها والاقتناع بها والتعود عليها مثل العفة والصبر.

ثالثًا: التربية العقلية

فضّل الله الإنسان على كثير من الخلق بالعقل، الذي يُمكّن الإنسان من الحصول على العلم والمعرفة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]. وفي ذلك يقول ابن الجوزي: (إن أعظم النعم على الإنسان العقل لأنه الآلة في معرفة الإله سبحانه، والسبب الذي يتوصل به إلى تصديق الرسل)[١].

فالعقل هو وسيلة المعرفة وآلتها، يستطيع به الإنسان أن يتصل بخالقه وبما يحيط به في الكون، وبه يفكر ويتعلّم ويحلل ويستنبط إلى غير ذلك من الوظائف المتعددة التي يقوم بها.

وقد منح الله ﷻ المرأة نعمة العقل لتسخدمه فيما يفيدها في حياتها وتستطيع عن طريقه الفهم والتفكير والحصول على المعرفة والاتصال بالآخرين، ولذلك فإن التربية العقلية مجال مهم من مجالات تربية المرأة، لأنّ الغرض منها «كسب المعرفة، وتهذيب العقل والمهارة في استعمال ما يعرفه الإنسان، وهذه الأغراض الثلاثة متصل بعضها ببعض كل الاتصال»[٢].

العمليات العقلية:

للعقل البشري قدرات ووظائف تميّز الإنسان عن سائر المخلوقات

---

(١) ابن الجوزي: «تلبيس إبليس»، ص(٣).

(٢) محمد الإبراشي: «روح التربية والتعليم»، ص(٣٥).

الأخرى « فالقدرة على الإدراك والتأمل، والتذكر والتخيل من مفاخر الإنسان، وعن طريقها تصبح إنجازاته الثقافية الهائلة أمرًا ممكنًا »[(١)]، « ويرتبط مستوى تلك العمليات ونضجها وقوتها بما تجده القدرات العقلية من رعاية صالحة تتيح لها فرص التفتح والنمو والنضج »[(٢)].

وعند حديث ابن الجوزي عن تربية المرأة نجد أنه قد تعرض لأهم العمليات العقلية وهما عملية التفكير، وعملية الحفظ.

أ - عميلة التفكير:

يمكن تعريف التفكير بأنه: « تجربة ذهنية تشمل كل نشاط عقلي يستخدم الرموز، مثل الصور الذهنية والمعاني والألفاظ والأرقام والذكريات والإشارات والتعبيرات والإيحاءات التي تحل محل الأشياء والأشخاص والمواقف والأحداث المختلفة التي يفكر بها الشخص بهدف فهم موضوع أو موقف معين »[(٣)].

وهو من أسمى وظائف العقل لأنه يمكّن الإنسان من الفهم والمعرفة والتمييز والاستيعاب والاستنباط والتقويم وإصدار الأحكام. وقد حث الله ﷻ على التفكير وأثنى على الذين يستخدمون عقولهم فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]، يقول عبد الكريم بكار: « نظرًا لأهمية التفكير في حياة الناس فإن الكتاب العزيز

(١) فيليب فينكس: « فلسفة التربية »، ص(٤٦٥).

(٢) عبد الحميد الزنتاني: « أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية »، ص(٤٤٠).

(٣) أحمد حامد منصور: « تكنولوجيا التعليم وتنمية القدرة على التفكير الابتكاري »، ص(٨١).

جاء حافلًا بالآيات التي تحث المسلمين على تقليب النظر في ملكوت السماوات والأرض، ليستدلوا بها على وجود الخالق المبدع »[(١)].

وبالنظر إلى آراء ابن الجوزي في تربية المرأة نجد أنه قد أعطى عملية التفكير عناية كبيرة، ودعا المرأة إلى تحريك عقلها والحرص على التفكير والتدبر من أجل تقوية إيمانها بالله، فقال: « فرؤية هذا المهاد الموضوع وهذا السقف المرفوع والمياه الجارية والنبات المعد للأغذية والمصالح والمعادن في الأرض لموضع الاحتياج إلى كل شيء منها. . . كل ذلك دليل على حكمة الواضع وقدرة الصانع »[(٢)].

ويُستنبط من هذا النص أن ابن الجوزي يوجه المرأة إلى استخدام عقلها والتفكر فيما حولها وما يحيط بها من مخلوقات الله التي تدل على حكمته وقدرته ليزداد إيمانها وتسمو نفسها وتنمو قدراتها العقلية، لأن العقل هو وسيلةٌ إلى معرفة الله ومعرفة الحق الذي أرسل به رسله « عن طريق تدبر الظاهر والمشاهد للحس الذي يمكن للعقل إدراكه »[(٣)]، ولأن تحريك العقل والتدبر والتفكر يقوي القدرات العقلية ويُنميها، ويساعد في الوصول إلى العلم والمعرفة وحقائق الأشياء وعمل التجارب والاستفادة منها.

ب - عملية الحفظ:

عملية الحفظ من أهم خصائص النمو العقلي، (وهي قدرة عقلية يتميّز بها الإنسان عمن سواه من الحيوانات التي لا يفوقها في الحفظ

(١) عبد الكريم بكار: « فصول في التفكير الموضوعي »، ص(١٦٩).
(٢) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، ص(١٣٨).
(٣) خالد القرشي: « تربية النبي ﷺ لأصحابه »، ص(٢٨٨).

وتذكر ما يحفظ فحسب، ولكنه ينفرد عنها في قدرته على نقل ما يحفظ إلى الأجيال الناشئة)[١].

ويؤيد ابن الجوزي اهتمام المرأة بعملية الحفظ وخاصة حفظ القرآن الكريم فيقول: «ينبغي للمرأة أن تجتهد في حفظ ما يمكن... وقد كان جماعة من النساء يحفظن جميع القرآن وقد رأينا في زماننا جماعة منهن، فينبغي لمن لها همة أن تؤثر هذه الفضيلة التي ليس لها مثيل»[٢]، فعلى المرأة أن تحفظ ما يمكنها من القرآن الكريم، لأن بين النساء فروقًا فردية في مستوى الحفظ والفهم، ولكن يمكن أن تصقل عملية الحفظ إذا كانت لديها عزيمة وهمة تساعدها على الحفظ والمراجعة. وينبغي التنبيه إلى أن الحفظ لا بد وأن يقترن بالفهم والتدبر والتفكير السليم حتى لا يكون مجردًا من الفائدة، ومعلوم أن فهم النصوص ومعانيها يساعد على الحفظ وتثبيته في الذهن وسرعة تذكره واسترجاعه.

حاجة المرأة للعلم والمعرفة:

يمكن استعراض آراء ابن الجوزي في بيان مدى حاجة المرأة للعلم والمعرفة من خلال الآتي:

* يرى ابن الجوزي أن النساء أشد حاجة للعلم الشرعي الذي يتعلق بهن أكثر من الرجال؛ إذ يقول في سبب تأليفه لكتاب أحكام النساء: «فلما رأيت النساء أحوج إلى العلم من الرجال شرعت في تصنيف هذا الكتاب»[٣].

(١) عبد الحميد الزنتاني: «أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية»، ص(٤٤٦).
(٢) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٢٢٧).
(٣) المرجع السابق، ص(١٣١).

* ويرى أن طلب المرأة للعلم الضروري واجب عليها فيقول: « فيجب عليها طلب علم الواجبات عليها لتكون من أدائها على يقين »[١]. ويقصد بعلم الواجبات العلوم الشرعية الضرورية للمرأة، مثل تعليم الإيمان والفرائض وأحكام الحيض والنفاس والآداب والأخلاق الحسنة وحقوق الزوج وغير ذلك.

* أن المرأة إذا طلبت العلم على الشيوخ الكبار في السن فعليها أن « تقتصر على قدر اللازم »[٢]: أي على العلم الضروري لها حفاظًا عليها من الفتن والتساهل في ذلك الأمر.

* أن النساء في الغالب بعيدات عن العلم ومعرضات عنه[٣]، ولذلك فهن بحاجة لمن يحرضهن ويقوي من عزيمتهن حتى يحرصن على طلبه.

* أن سبب إعراض الناس عن الآخرة وعدم تربية أولادهم تربية صالحة إنما هو بسبب الجهل والإعراض عن العلم[٤].

وبعد عرض آراء ابن الجوزي يمكن القول: إن العلم الشرعي ضروري للمرأة المسلمة؛ بل إن طلب العلم الضروري الذي لا يستقيم دين المرأة إلا به واجب عليها؛ لأنها إذا تمكنت من ذلك العلم ولم تطلبه فإنها تأثم، ولا يمكنها أن تؤدي العبادات والفرائض الواجبة عليها على الوجه الصحيح إلا عن طريقه، وهو النور الذي تهتدي به؛ لأن أصل

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(١٣٩).
(٢) المرجع السابق، ص(١٣٩).
(٣) المرجع السابق، انظر: ص(١٣٠ - ١٣١).
(٤) المرجع السابق، انظر: ص(١٢٩).

الآفات والوقوع في الخطايا والرزايا والضلالات إنما هو بسبب الجهل الذي حذر منه ابن الجوزي، ومتى تعلمت المرأة وفهمت دينها عبدت الله على بصيرة ويقين وتقوى.

وطبيعة المرأة وفطرتها التي فطرها الله عليها تعطيها القابلية لتعلم العلوم الضرورية، بل وتُحتّم عليها الحرص عليها من أجل تحريك دوافع الخير لديها وتهذيب سلوكها.

غير أنه لا يمكن موافقة ابن الجوزي فيما ذهب إليه من أن أغلب النساء معرضات عن العلم بسبب غلبة الهوى عليهن بالطبع، لأن الأصل في فطرة المرأة حب الخير الذي منه العلم، ولكن يمكن تفسير إعراض كثير من النساء عن العلم بأسباب أخرى مثل الانشغال بأمور الحمل والولادة والنفاس وتربية الأبناء ونحو ذلك.

وكما أن العلم الشرعي ضروري للمرأة في عصر ابن الجوزي فإنه أشد ضرورة في هذا العصر خاصة في ظل المغريات والتحديات المعاصرة والغزو الإعلامي والفكري، ومن الضرورة بمكان أن تطلب المرأة علومًا أخرى يحتاجها المجتمع في هذا العصر مثل: الطب والتربية والتدبير المنزلي وغيرها من العلوم المناسبة لطبيعة المرأة وحاجة المجتمع لها.

طرق طلب المرأة للعلم:

ذكر ابن الجوزي عدة طرق لطلب المرأة للعلم كما يلي:

*** أن تحضر بنفسها مجالس العلم وتسأل وتطلب العلم على يد امرأة عالمة أو معلمة؛ إذ يقول: «فإن قدرت على امرأة تعلم ذلك تعرفت**

منها »[١]، وهذا هو الأصل؛ لأن المرأة إذا طلبت العلم على يد المعلمات كان أستر لها وأبعد عن الفتنة، وأكثر فائدة وأدعى لتعلمها وتحصيلها، ويمكنها أن تسأل عما يشكل عليها بدون خجل أو استحياء.

* أن يكون بينها وبين العلماء والمعلمين وسيطٌ ينقل إليها العلم والمعرفة، مثل الأب أو الأخ أو الزوج أو غيرهم من المحارم[٢]، ولكن يجب أن يكون ذلك الوسيط طالب علم أو فاهمًا للمسائل التي ينقلها للمرأة بحيث تكون لديه قدرة على النقل الصحيح.

* وعند الضرورة تطلب العلم على كبار السن من أهل العلم من الرجال، وقد أشار إلى ذلك بقوله: «وإلا تعلمن من الأشياخ وذوي الأسنان من غير خلوة بها وتقتصر على قدر اللازم»[٣].

وفي هذه الحالة يجب أن تكون هناك ضوابط وشروط لطلبها العلم، هي كما يلي:

١ - أن يكون الرجل عالمًا أو لديه قدر من العلم بحيث يستطيع أن يعلم الآخرين.

٢ - ضرورة أن يكون كبيرًا في السن بحيث تؤمن الفتنة، ويؤمن جانبه في الغالب.

٣ - ألّا يخلو المعلم بالمرأة وإنما يكون في مجلس عام أو يوجد فيه آخرون، ويكون بينه وبين النساء حاجزٌ لقول النبي ﷺ: «**لا يخلو رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما**»[٤].

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(١٣٩).

(٢) المرجع السابق، انظر: ص(١٣٩).

(٣) المرجع السابق، ص(١٣٩).

(٤) البخاري: «صحيح البخاري»، ج٣، ص(١٠٩٤)، رقم (٢٨٤٤)، ومسلم: «صحيح =

٤ - يجب ألّا يكون مجلس العلم مختلطًا رجالًا ونساءً حتى لا تحصل الفتنة، وإنما يجب أن تكون أماكن تعليم النساء منفصلة عن الرجال.

٥ - أن تقتصر المرأة في طلب العلم من المعلم الرجل على القدر اللازم أو العلم الضروري، وذلك درءًا للفتنة وحفاظًا على المرأة من التساهل في هذا الأمر.

ويمكن القول: إن ابن الجوزي قد وُفق كثيرًا لوضع تلك الشروط لتعليم المرأة من قبل المعلمين، لأن التوسع في تدريس الطالبات على يد المعلمين بدون شروط أو ضوابط شرعية قد يؤدي إلىٰ أن تفقد العملية التعليمية تحقيق الهدف الذي تصبو إليه.

المنهج التعليمي للمرأة:

يُعرف ماهر صبري المنهج بأنه: «مصطلح شائع في مجال التعليم حيث يشير إلى وثائق الرسالة التعليمية التي تقدمها مؤسسات التعليم لطلابها كي تحقق من خلالهم أهداف محددة»[(١)]. ويرى حسن مختار أن المنهج الدراسي: هو كل الخبرات التعليمية التي يكتسبها الفرد في المدرسة أو خارجها ولها ارتباط منظم بها[(٢)].

وبالنظر إلى آراء ابن الجوزي نجد أنه قد حدد منهج تعليم المرأة بالمواد الشرعية فقط، ولم يُشر إلى منهج المواد الأخرى التي يمكن أن تفيد المرأة والمجتمع؛ مثل منهج التربية والعلوم الاجتماعية والاقتصاد

= مسلم»، ج٢، ص(٩٧٨)، رقم (١٣٤١).

(١) ماهر صبري: «الموسوعة العربية لمصطلحات التربية وتكنولوجيا التعليم»، ص(٥٣٠).

(٢) حسن مختار: «قضايا ومشكلات في المنهج والتدريس»، انظر: ص(١٩).

والطب وغيرها، والسبب هو أنه يرى أن العلوم الشرعية هي التي تهم المرأة في عصره ومجتمعه، ويمكن تقسيم ذلك على النحو التالي:

١ - مرحلة الطفولة:

اهتم ابن الجوزي بمرحلة الطفولة عند المرأة اهتمامًا بالغًا نظرًا لأهميتها في بناء شخصيتها، وقد أطلق عليها في هذه المرحلة «الصبية». ويرى أن المنهج التعليمي المناسب للطفلة هو كما يلي:

* ضرورة تعليم الطفلة عددًا من العلوم والمعارف الأساسية التي تسهم في تكوين شخصيتها، وأهم تلك العلوم القرآن الكريم نظرًا لأثره البالغ في نمو عاطفتها الدينية، ويبرز رأيه هذا من خلال انتقاده لنشأة بعض الفتيات دون أن يكون هناك اهتمام بحفظ القرآن الكريم فيقول: «فإن الصبيّة في الغالب تنشأ في مخدعها لا تُلقّن القرآن»[١].

* ينبغي أن يحتوي المنهج التعليمي على الأحكام الفقهية والشرعية التي تستطيع الفتاة عن طريقها إقامة الفرائض وشعائر الدين، مثل الطهارة ومعرفة أركان الصلاة وواجباتها وغير ذلك، وعلى المربين والقائمين على تعليم المرأة أن يهتموا بها[٢]، لأن تلك المواد الشرعية هي التي تساعد المرأة في فهم دينها وإقامة العبادات على الوجه المطلوب منها.

٢ - مرحلة المراهقة:

وهي المرحلة التي تلي مرحلة الطفولة من سن اثنتي عشرة سنة إلى

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(١٣١).

(٢) المرجع السابق، انظر: ص(١٣١).

ثماني عشرة سنة[١] أو العشرين أو تزيد قليلًا وهي طور بلوغ الحلم « المراهقة » وتشمل بداية واكتمال التغيرات الجسمية المرتبطة بالبلوغ الجنسي[٢]، ويُعرف مصطفى زيدان المراهقة بأنها: « مرحلة العمر التي تتوسط بين الطفولة واكتمال الرجولة أو الأنوثة، وذلك بمعنى النمو الجسمي، وتحسب بدايتها عادة ببداية البلوغ الجنسي »[٣].

وفي تلك المرحلة تكون الفتاة مقبلة على حدث مهم في حياتها، تتغير عن طريقه كثير من معالم شخصيتها ونفسيتها، وذلك الحدث هو الزواج الذي تنتقل منه الفتاة من بيئة الوالدين والأخوة إلى عش الزوجية، وتبدأ مداركها العقلية في الاتساع إضافة إلى وجود بعض التغيّرات النفسية والفسيولوجية.

ولقد نبه ابن الجوزي إلى أهمية هذه المرحلة في حياة المرأة، وأشار إلى أن المنهج التعليمي فيها ينبغي أن يحتوي على موضوعات مناسبة لها، مثل تعليم حقوق الزوج وحفظ ماله وعرضه ومسؤولية المنزل والأولاد، وكثير من الأخلاق التي تحتاجها في حياتها الدينية والاجتماعية[٤].

كما ينبغي أن يحتوي المنهج على تعليمها الآداب العامة في التعامل مع نفسها والمجتمع، وتحذيرها من حضور مجالس الزيغ والضلال ومجالس الفتن التي تؤدي بها إلى فتنة الرجال[٥].

---

(١) مقداد يالجن، ويوسف القاضي: « علم النفس التربوي في الإسلام »، انظر: ص(٨٨).

(٢) آمال صادق، وفؤاد أبو حطب: « نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين »، ص(٢٨٦).

(٣) محمد مصطفى: « النمو النفسي للطفل والمراهق »، ص(١٥٥).

(٤) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، انظر: ص(١٣١).

(٥) المرجع السابق، انظر: ص(١٣١).

٣- مرحلة النضج:

يرى ابن الجوزي أن المرأة إذا نضج عقلها واتسعت مداركها وأضحى قلم التكليف منوطًا بها، فالمنهج الشرعي المقرر يجب أن يكون شاملًا لجميع الواجبات الشرعية من توحيد وحديث وأحكام فقهية وغيرها، ويعبر عن ذلك بقوله: «يجب عليها طلب علم الواجبات»[(١)]، الذي يشمل كل ما تحتاجه المرأة لإقامة شعائر دينها، مع مراعاة اختلاف مجتمعها والعصر الذي تعيش فيه، لأن في كل زمان تستجد بعض النوازل والأمور الشرعية التي ينبغي للمرأة أن تتعلمها وتُلم بها.

رأي ابن الجوزي في طريقة التلقين:

طريقة التلقين هي العملية التي يقوم المعلم أو المعلمة من خلالها بتلقين المتعلمين العلوم والمعارف وشرح الحقائق لهم دون مشاركة فعالة منهم، وهذه الطريقة تصلح لتزويد الناشئين بالمعارف والمعلومات والحقائق التي تستقى عن طريق السماع والنقل[(٢)].

وقد كثر الحديث عن طريقة التلقين في هذا العصر ما بين مؤيد ومعارض، ولكن العدل والإنصاف يحتّمان علينا ألّا نبالغ في الرفض أو القبول، وعند التأمل في مدى جدوى هذه الطريقة نجد أن لها أهمية في التربية والتعليم، يقول رونيه أوبير: «هكذا نرى أن ثمة شيئًا من التلقين في كل تربية فكرية، وادعاء العكس هو اقتناع بأوهام لفظية، والمهم ألا يغدو التلقين هو المبدأ المسيطر على طرائق التعليم»[(٣)].

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(١٣٩).

(٢) عبد الحميد الزنتاني: «أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية»، انظر: ص(٤٧٢).

(٣) رونيه أوبير: «التربية العامة»، ص(٦١٣).

وحينما يتحدث ابن الجوزي عن نشأة بعض الفتيات في مرحلة الطفولة يشير إلى أهمية استخدام طريقة التلقين في حفظ القرآن الكريم[١] مما يدل على أنه يرى أن التلقين ضروري للتعليم في تلك المرحلة.

ومعلوم أنّ هذه الطريقة مجدية مع الأطفال لأنه لا يمكن أن يفهم الطفل ما لم تكن هناك قاعدة من المعلومات في الذهن، يقول رونيه أوبير: «إن التلقين اقتصاد في الجهود يتيح للطفل أن يلحق في عقد من السنين بالإنسانية القديمة قدم الدهور، إنه تعليم الميسّرات التي تجعل المعرفة سهلة الهضم على فكره»[٢].

والطفلة في مراحلها الأولى بحاجة على إعطائها بعض المعلومات لأن درجة الاستيعاب قوية، ويمكن استغلال تلك القدرات الذهنية وتكوين قاعدة من المعرفة في ذهنها مع الحرص على أن تفهم ما يُعطى إليها من المعلومات والمعارف.

وبعد: فيمكن أن تتلخص آراء ابن الجوزي في التربية العقلية في الآتي:

* العقل من أعظم النعم على المرأة، وهو وسيلة المعرفة وآلتها الأولى.
* ضرورة تنمية عمليات العقل، وإعطاء جانب التفكير أهمية خاصة عند تربية المرأة وتعليمها.
* العناية بحفظ القرآن الكريم يقوي ملكة الحفظ والقدرة على التذكر والفهم ويساعد في مقاومة النسيان.

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(١٣١).

(٢) رونيه أوبير: «التربية العامة»، ص(٦١٥).

* ضرورة تنشئة الطفلة على طلب العلم الشرعي وتعويدها على الاطلاع والمعرفة، لأنّ المرأة بحاجة ماسة لهما.
* وجوب الالتزام بضوابط الشريعة الإسلامية عند تعليم المرأة، ومنع الاختلاط مع الرجال.
* تعدد وسائل وطرق تحصيل المرأة للعلم والمعرفة يُسهل العملية التعليمية ويؤدي إلى نتائج إيجابية فيها.
* يجب أن يتناسب المنهج التعليمي للمرأة مع طبيعتها ومدى حاجتها لها، ومراعاة مجتمعها وظروفها الأسرية والاجتماعية.
* طريقة التلقين مجدية مع الأطفال لتكوين قاعدة ثقافية تُسهل عملية الفهم والحصول على العلم.

رابعًا: التربية الاجتماعية

يمكن تعريف التربية الاجتماعية بأنها: « مجال من مجالات التربية ترتكز على الخبرات التي تساعد في اكتساب الأفراد فهمًا سليمًا للعلاقات الاجتماعية، ودور الفرد في الجماعة وتأثير الجماعة في الفرد، واكتساب المهارات الاجتماعية، وأنماط السلوك الاجتماعي السليم »(١).

ولا شك أنها ضرورة مُلحة للمحافظة على حياة المرأة نظرًا لأنها فرد لا يستطيع العيش بمفرده مهما كانت الظروف، وبدون التربية الاجتماعية لا يمكن أن تستمر حياة الناس مع مجتمعاتهم، ولذلك فمن المهم أن تكتسب المرأة مجموعة من الخبرات التي تساعدها في تكوين مفاهيم سليمة عن العلاقات الاجتماعية، ويكون ذلك عن طريق بناء شخصيتها وتنمية الشعور الاجتماعي لديها لتصبح فردًا نافعًا له دور إيجابي في مجتمعه.

وقد تكلم ابن الجوزي عن جوانب في غاية الأهمية في التربية الاجتماعية، وسأحاول في هذه الصفحات إبراز أهم ملامح التربية الاجتماعية للمرأة في فكره التربوي.

النمو الاجتماعي:

يبدأ النمو الاجتماعي لدى المرأة منذ نعومة أظفارها واتصالها بالبيئة المحيطة بها في الأسرة والمجتمع، ويتسم في مرحلة الطفولة باتساع

(١) ماهر صبري: « الموسوعة العربية لمصطلحات التربية وتكنولوجيا التعليم »، ص(١٨٤).

إدراك الطفلة تدريجيًّا، وزيادة وعيها بالأشخاص والأشياء، وفي هذه المرحلة يزداد اندماج الأطفال في كثير من الأنشطة، فهم يتعلمون الجديد والمتنوع من الكلمات والعناوين والأفكار والمفاهيم ويمرون بخبرات جديدة تهيئ لهم الأرضية المناسبة للحياة الاجتماعية[١]، ثم يستمر النمو الاجتماعي مع اتساع علاقاتها بمن حولها حيث تتسع دائرة علاقة المرأة شيئًا فشيئًا كلما ازداد عمرها، وتطرأ كثير من التغيّرات على سلوكها الاجتماعي.

والنمو الاجتماعي مرتبط بالنمو الإيماني والعقلي والأخلاقي والجسمي؛ فكل منها مرتبط بالآخر لأن سلوك المرأة وعلاقتها الاجتماعية ما هي إلا انعكاس للتربية الإيمانية والعقلية والأخلاقية.

وللتنشئة الاجتماعية دور فاعل في تكوين النمو الاجتماعي لأن «الطفل في تنشئته الاجتماعية يتشرب الاتجاهات والمفاهيم والمعاني، ويشكل منها أرضيته أو خلفيته الإدراكية، وتُسمى بالإطار المرجعي وتكون مشتركة ومتفقة مع الإطار المرجعي لجماعته التي نما فيها»[٢].

ويرى ابن الجوزي أن النمو الاجتماعي يبدأ لدى المرأة منذ نشأتها الأولى فيستشهد بأحاديث نبوية توضح أهمية الاهتمام بالمرأة في طفولتها ومراعاة نموها الاجتماعي[٣]؛ ومنها حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «جاءت امرأة معها ابنتان لها تسألني فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة واحدة،

---

(١) آمال صادق، وفؤاد أبو حطب: «نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين»، انظر: ص(٢٧١).

(٢) منير سرحان: «في اجتماعات التربية»، ص(١١٤).

(٣) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(٣٥٦).

فأعطيتها إياها فأخذتها فشقتها اثنتين ولم تأكل منها شيئًا، ثم قامت فخرجت هي وابنتاها فدخل عليّ رسول الله ﷺ فحدثته حديثها فقال الرسول ﷺ: «**من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار**»[(١)].

ومما يشير إليه هذا الحديث أن النمو الاجتماعي يبدأ لدى المرأة من نشأتها الأولى في كنف والديها وأخوتها وأسرتها، كما يوضح أن أهم المؤثرات في نمو المرأة الاجتماعي هما الوالدان، لأنهما يسهمان في تكوين سلوك البنت الاجتماعي من خلال تربيتها تربية صالحة، والإحسان إليها أثناء المرحلة الأولى من حياتها، حتى تنعكس تلك التربية الصالحة على أسرتها ومجتمعها.

علاقات المرأة الاجتماعية:

أساس حياة المرأة في المجتمع هي تلك الروابط والوشائج التي تربطها بأفراد المجتمع بداية من أعضاء الأسرة والأقارب والجيران والمجتمع بمعناه الخارجي والعام، وتعتبر العلاقات الاجتماعية تجسيدًا لجوانب شخصية المرأة ومكوناتها الإيمانية والعقلية والخلقية.

وتجدر الإشارة إلى أن بناء العلاقات الاجتماعية ينبغي أن يكون على أسس التربية الإسلامية القويمة التي نظمت تلك العلاقات، وجعلتها مبنية على الاحترام والتعاون والأخلاق الفاضلة من أجل تقوية الشعور الاجتماعي لدى أفراد المجتمع.

---

(١) البخاري: «صحيح البخاري»، ج٢، ص(٥١٤)، رقم (١٣٥٣)، ومسلم: «صحيح مسلم»، ج٤، ص(٢٠٢٧)، رقم (٢٦٢٩).

وفيما يلي سوف أعرض أهم محاور تلك العلاقات التي تطرق إليها ابن الجوزي :

١ - علاقة المرأة بوالديها :

يجب أن تكون علاقة المرأة بوالديها مبنيّة على البر والإحسان والاحترام والخضوع لهما، والصلة والتواضع الجم ومحاولة إرضائهما وبرهما في حياتهما ومماتهما؛ جزاءً لهما على تربيتهما لها في الصغر، و(لأنّ الوالدين يتحملان في تربية الطفل الكثير من العطاء النفسي والمادي، يسهران إذا مرض، ويكدان لتوفير المعيشة الطيبة له، ويفتديانه بالنفس والنفيس)[(١)].

ولأهمية هذا الأمر فقد عقد ابن الجوزي ثلاثة أبواب يحث فيها المرأة على بر والديها وإسداء المعروف لهما مستشهدًا بأحاديث عديدة[(٢)]، منها حديث زيد بن أرقم ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من أصبح والداه راضيين عنه، أصبح له بابان مفتوحان من الجنة، ومن أمسى والداه راضيين عنه أمسى له بابان مفتوحان من الجنة، ومن أصبح والداه عليه ساخطين أصبح له بابان مفتوحان من النار وإن كان واحد فواحد فقيل: وإن ظلماه؟ فقال: وإن ظلماه، وإن ظلماه** »[(٣)]، ويظهر من خلال الحديث السابق عظم حق الوالدين، ووجوب طاعتهما في غير معصية الله، والتذلل لهما والعمل على كسب رضاهما مهما كلف ذلك المرأة المسلمة التي تخشى الله وتخاف عقابه.

---

(١) أكرم ضياء العمري: « التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام »، ص(٢٣٨).

(٢) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، انظر: ص(٢٥٨ - ٢٦٣).

(٣) البخاري: « الأدب المفرد »، ص(١٦)، رقم (٧).

تقديم الأم في البر:

يؤكد ابن الجوزي على تقديم الأم في البر، مستدلًا على ذلك بحديث أبي هريرة ﷺ أن رجلًا سأل النبي ﷺ: أيّ الناس أحق بحسن الصحبة؟ قال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**»(١). كما استدل بأثر عن الحسن البصري (في رجل حلف عليه أبوه بكذا وحلفت عليه أمه بخلافه قال: يطيع أمه)(٢).

وهذا التأكيد من ابن الجوزي على تقديم الأم في البر والطاعة دليل على عظم حقها في الإسلام وعلى رفعتها وتكريمها، وفيه رد على المغرضين الذين يزعمون أن الإسلام لم يعط المرأة حقها ولم يرفع من قدرها.

البر بعد موت الوالدين:

لقد حث ابن الجوزي المرأة على بر والديها بعد مماتهما بالدعاء لهما والصدقة عنهما والإحسان إلى أقاربهما وأصدقائهما(٣)، ومما استدل به على ذلك حديث عبد الله بن عمر ﵄ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي الأب**»(٤).

---

(١) البخاري: «صحيح البخاري»، ج٥، ص(٢٢٢٧)، رقم (٥٦٢٦)، ومسلم: «صحيح مسلم»، ج٤، ص(١٩٧٤)، رقم (٢٥٤٨).

(٢) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٢٦١).

(٣) المرجع السابق، انظر: ص(٢٦٢).

(٤) مسلم: «صحيح مسلم»، ج٤، ص(١٩٧٩)، رقم (٢٥٥٢).

ولذلك فإن على المرأة أن تُدرك عظم حق والديها من البر والإحسان والتوقير وحسن الصحبة والدعاء لهما، وتربي أولادها على بر والديهم والدعاء لهم وطاعتهم في غير معصية الله.

وبعد: فإن ابن الجوزي يورد للمرأة تعاليم الإسلام في بر الوالدين التي (تكشف عن سمو العلاقات ورفعة الارتباط الإنساني، فإذا ما قورنت بالفلسفات المادية والحضارة الغربية رأينا عجبًا، فما أكثر المشردين من الآباء والأمهات الذين يفترشون الأرائك في الحدائق العامة... وأمثال المشردين أولئك الآباء والأمهات الذين تحتضنهم دور العجزة وملاجئ الشيخوخة لا يحسن بهم أحد من أبنائهم)(١) أو بناتهم.

٢ - العلاقات الزوجية:

الزواج في الإسلام يهدف إلى تحقيق خلافة الله في الأرض، وتحقيق شطر الدين، وتحصين النفس من الوقوع في المحظورات، وإنجاب الأولاد وتربيتهم، يقول عبد العزيز التويجري: (ليس الزواج في الإسلام غاية ولكنه وسيلة لبناء أسرة محكمة البناء، والأسرة خلية أولى في تركيبة المجتمع، لذلك حرص الإسلام أن تكون هذه الخليّة منيعة قوية بسلامة الروابط الاجتماعية)(٢)، ولذلك فإن علاقة المرأة مع زوجها يجب أن تكون علاقة مودة ورحمة وتفاهم وتعاون على الخير والصلاح، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

---

(١) أكرم ضياء العمري: «التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام»، ص(٢٣٨).

(٢) عبد العزيز التويجري: «المرأة في نظر الإسلام ومكانتها في المجتمع الإسلامي»، ص(١٣).

ويحظى موضوع علاقة المرأة بزوجها باهتمام ابن الجوزي فقد تطرق إلى جوانب عديدة في الحياة الزوجية وأسهب فيها، مما جعل بعض الباحثين يقول: إن «ابن الجوزي كان ينظر إلى قضايا المراة باعتبارها زوجة»[١]، ولعل ذلك نابع من إدراكه لأهمية العلاقات الزوجية في الحياة، وما لها من تأثيرات وانعكاسات على تربية الأجيال والنشء.

ويمكن تناول الجوانب التي تطرق إليها من خلال الآتي:

أ - فضل الزواج المبكر للبنت:

يولي ابن الجوزي تزويج البنت عند بلوغها أهمية بالغة، ويؤكد عليه، مستشهدًا بعدد من الأدلة التي تدل على وجوب تزويجها بمجرد بلوغها[٢]، ومنها حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مكتوب في التوراة: من بلغت له ابنة اثنتي عشرة سنة فلم يزوجها فأصابت إثمًا فإثم ذلك عليه**»[٣].

وينقل عن الحسن البصري قوله: «بادروا نساءكم التزويج فإن التسويف مغلمة لهن»[٤]. لأنّ تزويج البنت حال بلوغها فيه مصالح عظيمة، من درء المفاسد والمحافظة على دينها ونفسها من الوقوع في الأخطاء والهفوات، وكذلك العمل على عمارة الأرض.

---

(١) عبد العزيز الغزولي: «ابن الجوزي، الإمام المربي والواعظ البليغ والعالم المتفنن»، ص(٣٨١).

(٢) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٣٠٣ - ٣٠٥).

(٣) البيهقي: «شعب الإيمان»، ج٦، ص(٤٠٢)، رقم (٨٦٦٩).

(٤) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٣٠٤).

ب - حسن اختيار الزوج:

إن حسن الاختيار في الحياة الزوجية شرط أساسي لاستقرارها، وأساس متين لتحقيق السكن والألفة والرحمة بين الزوجين.

ولذلك فقد أشار ابن الجوزي إلى بعض الأمور التي ينبغي مراعاتها عند اختيار الزوج للفتاة فيقول: «واستحب لمن أراد تزويج ابنته أن ينظر لها شابًّا مستحسن الصورة لأن المرأة تحب ما يحب الرجل»[(١)].

ومما استدل به قول عمر بن الخطاب ﷺ: «لا تنكحوا المرأة الرجل القبيح الذميم فإنهن يحببن لأنفسهن ما تحبون لأنفسكم»[(٢)]. فمراعاة حسن الصورة والخلقة شيء مستحسن إذا أُضيف إلى الدين والخلق.

يقول ابن الجوزي: «وينبغي أن يكون النظر إلى باب الدين قبل النظر إلى الحسن»[(٣)]. ويقول النبي ﷺ: «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه**»[(٤)]، فليكن اختيار أحد الزوجين للآخر على «أساس الدين والتقوى وحسن الخلق، سواء في ذلك الرجل أو المرأة»[(٥)].

ومهما يكن من شيء فإن ذلك يعود إلى الفتاة المقبلة على الزواج، فإن ناسبها ذلك الشخص المتدين الخلوق ولو كان دميم الخلقة فلا حرج، لأنها قد ترى ما لا يراه الآخرون، رغم أن حسن الصورة أفضل لها

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٣٠٥).

(٢) المرجع السابق، ص(٣٠٥).

(٣) ابن الجوزي: «صيد الخاطر»، ص(٥٤١).

(٤) الحاكم: «المستدرك على الصحيحين»، ج٢، ص(١٧٩)، رقم (٢٦٩٥)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٥) أنس كرزون: «منهج الإسلام في تزكية النفس»، ص(٤٣٤).

إذا كان على قدر من الدين والخلق الحسن، ولكن لا يمكن أن يحصل ذلك لكل فتاة تريد الزواج.

جـ - طاعة الزوج والحرص على إرضائه:

إذا تزوجت الفتاة فإن ابن الجوزي يحثها على وجوب طاعة زوجها في غير معصية الله، وعليها أن تُجيبه ولو كانت مشغولة عنه، وتطيع أمره وتبر قسمه ولا تهجر فراشه ولا تخرج إلا بإذنه ولا تدخل عليه من يكره ولا تصوم النوافل إلا بإذنه وأن تتودد إليه وتطلب رضاه وتحترمه وتدعو له[(١)].

ويسهب في توضيح حق الزوج على زوجته فيقول: «وينبغي للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج فلا تتصرف في نفسها ولا في ماله إلا بإذنه، وتقدم حقه على نفسها وحقوق أقاربها وتكون مستعدة لتمتعه بها بجميع أسباب النظافة ولا تفتخر عليه بجمالها، ولا تعيبه بقبيح إن كان فيه»[(٢)].

والحقيقة أن تلك النصائح التربوية للمرأة إنما تؤكد فهم ابن الجوزي لطبيعة العلاقات الزوجية التي ينبغي أن تسير على التفاهم والتعاون وبذل كلٍّ من الزوجين جميع الحقوق الزوجية للآخر بقدر الاستطاعة.

وبالرغم من ذلك فلا يمكن موافقة ابن الجوزي في أن الزوجة كالمملوك للزوج، لأنها شريكة له في الحياة، ينبغي أن تكون علاقتهما الزوجية مبنيّة على الاحترام والتقدير والتفاهم، وليس على احتقار

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(٣٠٧-٣١١).

(٢) المرجع السابق، ص(٣١٢).

أحدهما للآخر أو وجود نظرة دونيّة بينهما، ولعله يقصد بذلك التنبيه على عظم حق الزوج على زوجته.

كما يوجه ابن الجوزي نصائح تربوية قيّمة للمرأة المسلمة في حياتها الزوجية فيقول: «وينبغي للمرأة أن تصبر على أذى الزوج كما يصبر المملوك»[١]، لأن صبر المرأة على زوجها يساعد على استمرار الحياة الزوجية وتجنب كثير من المشاكل التي ربما تكون سببًا في هدم عش الزوجية.

ومن نصائحه التربوية - أيضًا - قوله: «وينبغي للمرأة العاقلة إذا وجدت زوجًا يلائمها أن تجتهد في مرضاته وتتجنب كل ما يؤذيه، فإنها متى آذته أو تعرضت لما يكرهه أوجب ملالته، وبقي ذلك في نفسه، فربما وجد فرصته فتركها أو آثر غيرها فإنه قد يجد وقد لا تجد هي، ومعلوم أن الملل للمستحسن قد يقع فكيف للمكروه؟»[٢]، ويؤكد على أنه «لا ينبغي للمرأة أن تقرب من زوجها كثيرًا فتُمَلّ، ولا تبعد عنه فينساها»[٣]، لأن كثرة القرب تؤدي إلى الملل والضجر وربما تكون سببًا في وجود الخلافات. والبعد من الزوج طويلًا يسبب الجفاء، ولكن التوسط في تلك الأمور محمود.

وفي كلام ابن الجوزي هذا دليل على خبرته ودرايته بما يُصلِح حياة المرأة، وما يعكر صفوها. ولذلك فإنه يجدر بالمرأة المسلمة أن تفهم

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٣١٢).

(٢) المرجع السابق، ص(٣١٢).

(٣) ابن الجوزي: «صيد الخاطر»، ص(٦٥٠).

تلك الأمور التي لا يلتفت إليها إلا من درس وخبر النفوس البشرية ومر بتجارب كثيرة في الحياة.

ورغم كل ما ذكره ابن الجوزي من وجوب طاعة المرأة لزوجها إلا أنه يحذرها من طاعته في معصية الله فيقول: «فلا يجوز للمرأة أن تطيعه فيما لا يحل مثل أن يطلب منها الوطء في زمان الحيض أو في المحل المكروه أو في نهار رمضان أو غير ذلك من المعاصي فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى»[١]، وتلك هي التربية الإسلامية القويمة التي ترتب الحقوق وتنظمها، فمهما كان للزوج من حق في الطاعة والاحترام والتقدير، إلا أنه إذا خالف أمر الله وأمر بمعصيته فلا طاعة له.

د - النظافة والتزين للزوج:

حث ابن الجوزي المرأة على النظافة والتزين لزوجها بكل الوسائل المباحة حتى يراها على أحسن حال بحيث تكون مستعدة لتمتعه بها بجميع أسباب النظافة والجمال من الاغتسال وتمشيط الشعر والاختضاب بالحناء، ولبس أفضل الثياب والتزين بالحلي من ذهب أو نحوه مما هو موجود عندها[٢].

ويؤكد على أهمية النظافة والتجمل فيقول: «ولتكن وقت قربها إليه كاملة النظافة متحسنة، ولتحذر أن يرى فرجها أو جسمها كله فإن جسم الإنسان ليس بمستحسن»[٣]، فتعويد المرأة على النظافة منذ الصغر

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٣٢٨).

(٢) المرجع السابق» انظر: ص(٣١٢، و٣٤٦ - ٣٤٨).

(٣) ابن الجوزي: «صيد الخاطر»، ص(٦٠٦).

وتربيتها عليها من الأهمية بمكان لأن «النظافة للمرأة ألزم لها من الجمال، لأن الجمال لا يلبث أن يزول متى زالت نضارة الشباب، أمّا النظافة فعادة باقية ما بقيت المرأة، ولذا حث عليها الإسلام»[١].

وبناءً على ذلك فجدير بكل زوجة أن تتزين لزوجها بكل ضروب الزينة حتى تبدو جميلة مستحسنة تجذبه إليها وتسره إذا نظر إليها، ويكون ذلك في اعتدال وتوازن واستخدام الأشياء المباحة بدون تبذير أو إسراف أو تحميل الزوج فوق طاقته.

ومما تتجمل به المرأة الحصيفة لزوجها: المرح والبهجة والظرف والأنس، تغمر بذلك كله حياة زوجها فتجعلها بهيجة سعيدة، تلقاه حين يؤوب إلى البيت كالًّا من عمل يده أو مجهدًا من إعمال فكره، بوجه طليق وابتسامة مشرقة، وكلمة طيبة تطوي همومها ساعة تلقاه، لتنسيه بذلك بعض همومه[٢].

ومع ذلك فإن ابن الجوزي يحذر المرأة من تجاوز حدود الشرع عند التزين ويورد أدلة عديدة[٣]، منها حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ «يلعن القاشرة والمقشورة والواشمة والمستوشمة والواصلة والموصلة»[٤]. ويفسر ابن الجوزي القاشرة بأنها التي تقشر

---

(١) عبد المتعال الجبري: «المرأة في التصور الإسلامي»، ص(١٠٥).

(٢) محمد علي الهاشمي: «شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة»، انظر: ص(١٩٧).

(٣) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(٣٣٨ - ٣٤٣).

(٤) الإمام أحمد بن حنبل: «مسند أحمد»، ج٦، ص(٢٥٠)، رقم (٢٦١٧١)، ومعناه في الصحيحين. راجع: «صحيح البخاري»، ج٥، ص(٢٠٤٥)، رقم (٥٠٣٢)، و«صحيح مسلم»، ج٣، ص(١٦٧٧)، رقم (٢١٢٣).

وجهها بالدواء ليصفو لونها، والوشم هو أن يغرز كف المرأة أو معصمها بإبرة ثم يحشى بكحل فيخضر، والواصلة التي تصل شعرها بشعر[١].

وأما أدوات التجميل المباحة فيقول فيها: «وأما الأدوية التي تزيل الكلف وتحسن الوجه للزوج فلا أرى بها بأسًا، وكذلك أخذ الشعر من الوجه للتحسن للزوج»[٢]، فالمرأة المهذبة ينبغي لها أن تضع ميزان الشرع نصب عينها في كل الأمور وتعود نفسها على طاعة الله ﷻ، وتبتعد عن الشبهات، وتتفقه في أمور دينها، لتسير على بيّنة من أمرها حتى في حال تجملها لزوجها.

هـ - مسؤولية المرأة عن بيت زوجها وأولاده وأمواله:

يؤكد ابن الجوزي على أن المرأة مسؤولة عن بيت زوجها وأولاده وماله أمام الله ﷻ[٣]، وقد وضح لها كيف تتصرف في مال زوجها فقال: و« متى كان الرجل يعرض للمرأة ما يجب عليه لها من النفقة لم يجز لها أن تأخذ من ماله شيئًا إلا عن أمره، إلا أن تعلم أنه إذا اطلع على ذلك لم يكرهه، وكذلك إن تصدقت بما تعلم أنه يأذن فيه جاز، فأما إذا علمت أنه يكره ذلك لم يجز لها، وإنما يجوز أن تأخذ مقدار نفقتها بالعدل إذا كان يمنعها ذلك»[٤].

وبناءً على ذلك فإن المرأة الحصيفة الأمينة هي التي تتصرف في مال زوجها وفق تعاليم الشريعة الإسلامية مراعية حال زوجها ومدى رضاه عن

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(٣٤٠ - ٣٤١).
(٢) المرجع السابق، ص(٣٤١ - ٣٤٢).
(٣) المرجع السابق، انظر: ص(٣٣٤).
(٤) المرجع السابق، ص(٣٣٥).

تصرفاتها في ماله، لأنها مستأمنة عليه ومسؤولة عنه أمام الله ﷿، يقول إبراهيم الجمل: « من واجبات المرأة نحو زوجها القناعة والحرص على عدم إفساد مال زوجها والوصول به إلى بر الأمان دائمًا »[(١)].

و - من آداب المعاشرة الجنسية:

تحدث ابن الجوزي عن جملة من الآداب التي ينبغي أن تراعيها المرأة أثناء المعاشرة الجنسية مع زوجها، وأفرد بابًا لآداب المرأة عند الجِماع، إلّا أنه لم يتطرق لكل الآداب التي بيّنتها التربية الإسلامية، وإنما ذكر أن على المرأة أن تهتم بالنظافة عند الجِماع[(٢)]، وحثها على أن تراعي ما يريده زوجها منها، فقال: « وينبغي للعاقلة أن تتلمح مقصود الرجل فتتبعه »[(٣)]، ثم أورد كلامًا دقيقًا مضمونه: أن المرأة العاقلة هي التي تحاول أن ترضي زوجها وتلبي رغابته عند الجماع حتى تكسب وده، لأن طباع الرجال تختلف بحسب أحوالهم وشخصياتهم ونفسياتهم[(٤)]، وهذا أمر في غاية الدقة لا يتنبه إليه إلا من لديه فهم باختلاف الطباع وأحوالها.

ومما نبه إليه - أيضًا - أن المرأة ينبغي لها أن تستر فرجها عن زوجها بحيث لا ينظر إليه، ولا تنظر إلى فرج زوجها، ويعلل رأيه هذا فيقول: « وهذا عين الصواب، فإن الفرج غير مستحسن الصورة من الزوجين، فالاطلاع على بعض العيوب يقدح في المحبة، فينبغي لهما جميعًا الحذر

---

(١) إبراهيم الجمل: « حياة المرأة المسلمة »، ص(٢٠٠).

(٢) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، انظر: ص(٣٤٩).

(٣) المرجع السابق، ص(٣٥٠).

(٤) المرجع السابق، انظر: ص(٣٥٠).

من ذلك، ولهذا ترى الأكابر ينامون منفردين لعلمهم أن النوم يتجدد فيه ما لا يصلح »[(١)].

وتلك الآداب التي أشار إليها ابن الجوزي جديرة بأن تراعيها المرأة مع زوجها؛ لأن النفس تميل إلى الطباع الحسنة وتكره الأفعال السيئة، وتنفر من أصحابها مهما كان حجمها وصغرها، وبناءً على ذلك فإن المرأة العاقلة هي التي تحرص على إرضاء زوجها وجذبه إليها حتى في أصغر الأمور وأدقها.

٣ - علاقة المرأة بأولادها:

لا شك أن أولاد المرأة هم قرة عينها وسلوة نفسها وبهجة حياتها إذا حسُنت تربيتهم واهتدوا إلى سبل الخير والرشاد، ولذلك فإن علاقة الأم بأبنائها يجب أن تقوم على العطف والحنان والشفقة والرحمة والتربية الصالحة ومراعاة مصالحهم والحزم في غير عنف؛ « لأن مسؤولية الأم في تربية الأولاد وتكوين شخصيتهم أكبر من مسؤولية الأب لقرب الأولاد من أمهم ولكثرة الوقت الذي يقضونه معها، ولمعرفتها الدقيقة بكل أحوالهم وتحركاتهم في فترة النشأة والمراهقة الخطيرة في حياة الطفل العقلية والعاطفية والسلوكية »[(٢)].

ولقد أدرك ابن الجوزي عظم مسؤولية المرأة تجاه أولادها، حيث خصص بابين في كتاب « أحكام النساء » لحث المرأة على تربية أبنائها

---

(١) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، ص. ٣٥١

(٢) محمد علي الهاشمي: « شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة »، مرجع سابق، انظر: ص(٣٥٥ - ٣٥٩).

وبناتها؛ فقد جعل عنوان الباب الأول منهما « ثواب تربية الأولاد »، وعنوان الثاني: « ثواب تربية البنات والنفقة عليهن وعلى الأخوات »[١]، ومما استدل به حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن امرأة دخلت على عائشة رضي الله عنها ومعها صبيان لها فأعطتها عائشة ثلاث تمرات، فأعطت كل صبي تمرة فأكل الصبيان تمرتيهما ثم نظرا إلى أمهما، فأخذت التمرة فشقتها نصفين فأعطت ذا نصفها وأعطت ذا نصفها، فدخل النبي ﷺ فأخبرته عائشة، فقال لها: « **ما أعجبك من ذلك، فإن الله قد رحمها برحمتها صبيها** »[٢].

وقد وضح ابن الجوزي أن الأجر والثواب العظيم للمرأة التي « مات عنها زوجها واشتغلت عن النكاح بتربية أولادها »[٣].

كما حث الأم على العدل بين أولادها وحذرها من الدعاء عليهم[٤] لكي لا تكون سببًا في شقائهم وهلاكهم أو تتسبب في جلب الضرر عليهم. يقول محمد نور سويد عن خطر الدعاء على الأولاد: « ومهما قلنا عن خطورته فهو أكثر، لما فيه من دمار الطفل، ولمستقبله ومن دمار للأبوين »[٥]، ولكن يجب أن تدعو الأم لأولادها، لأن دعاء الوالدين المسلمين مستجاب عند الله.

---

(١) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، انظر: ص(٣٥٥ - ٣٥٩).

(٢) البخاري: « الأدب المفرد »، ص(٤٥)، رقم (٨٩). ومعناه في الصحيح، راجع: « صحيح البخاري »، ج٥، ص(٢٢٣٤)، رقم (٥٦٤٩).

(٣) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، ص(٤٠٩).

(٤) المرجع السابق، انظر: ص(٣٦٣، ٣٦٤).

(٥) محمد نور عبد الحفيظ: « منهج التربية النبوية للطفل »، ص(١٠٢).

ومن آثار الدعاء التربوية زيادة شحنة العاطفة وقودًا، وتمكّن الرحمة والرأفة في قلب الأم فتتضرع إلى الله تعالى، وتبتهل في إصلاح أولادها.

٤ - علاقة المرأة مع جيرانها ومجتمعها:

لا شك أن الإحسان إلى الجار وكف الأذى عنه «أثر من آثار طهارة النفس ومكرمة من أنبل المكارم الخلقية في نظر هذا الدين»[١]، ولأجل هذا فقد وجه ابن الجوزي المرأة إلى أن تبني علاقتها مع جيرانها على الأدب والاحترام ومراعاة حقوقهم والإحسان إليهم وكف الأذى عنهم[٢].

وبناءً على ذلك فإن على المرأة المسلمة أن تحسن إلى جيرانها بقدر طاقتها بحسب ما تستطيع، لا يمنعها الخجل وحب التفاخر من الإحسان إليهم، كما هو حال بعض النساء اللاتي لا يقدمن لجيرانهم إلا ما يليق بهم - حسب زعمهن - ويفوتهن بسبب ذلك خير كثير، وعلى المرأة أن تبدأ بالهدية إلى جارتها، حتى تقوي روابط الأخوة والمحبة والتكافل بين أفراد المجتمع.

وينصح ابن الجوزي المرأة بعدم إيذاء جيرانها مستشهدًا بحديث أبي هريرة ﷺ قال: قيل للرسول عليه الصلاة والسلام: إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها بلسانها. قال: «**لا خير فيها، هي في النار**»[٣]، فالمرأة التي تؤذي جيرانها قد يحبط عملها بسبب إطلاق لسانها

(١) إبراهيم سعادة: «الإسلام وتربية الإنسان»، ص(٨٧).

(٢) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(٣٦٧، ٣٧٠).

(٣) البخاري: «الأدب المفرد»، ص(٤٥)، رقم (١١٩).

بالكلام البذيء والغيبة والنميمة وغير ذلك من فاحش القول، ولذلك فإن على المرأة المسلمة أن تعلم عظم حق الجار، وتربي نفسها وأولادها على احترام الجيران وتقديرهم وكف الأذى عنهم لتلتئم وحدة المجتمع وتقوى الروابط فيما بينهم.

٥ - الرحمة بالحيوانات الضعيفة:

نبه ابن الجوزي المرأة إلى الشفقة والرحمة بالحيوانات الضعيفة، وذلك بإطعامها وسقيها وعدم تعذيبها أو سجنها[١]، وذكر حديث أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « **دخلت امرأة النار في هِرة ربطتها حتى ماتت، فلم تطعمها ولم تسقها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض** »[٢]. فعلى المرأة أن تعامل تلك الحيوانات الضعيفة بلطف ورحمة، لأنّ التربية الإسلامية تدعو إلى الرأفة والرحمة والشفقة حتى مع الحيوانات.

● من مفسدات شعور المرأة الاجتماعي:

يرى ابن الجوزي أن هناك مفسدات لشعور المرأة الاجتماعي، إذا وقعت فيها المرأة أدت إلى تفكك الأسرة والمجتمع وانتشار الفساد والمشكلات الاجتماعية، ولذلك فهو يوردها على سبيل النهي والتحذير من الوقوع فيها، ومن أبرز تلك المفسدات ما يلي:

١ - السحر والكهانة:

يحذر ابن الجوزي المرأة من تعلّم السحر والكهانة والنجوم

---

(١) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، انظر: ص(٣٧١ - ٣٧٢).

(٢) البخاري: « صحيح البخاري »، ج٣، ص(١٢٠٥)، رقم (٣١٤٠)، ومسلم: « صحيح مسلم »، ج٤، ص(٢١١٠)، رقم (٢٦١٩).

ونحوها، أو إتيان أهلها فيقول: «واعلم أن الساحر عند أصحابنا كافر، وكذلك الساحرة»[١]. وأما الكاهن والعراف قد أكدّ أن «حكمهما كحكم الساحر ... فأما القائل بزجر الطير والنجوم والحصى، والشعير، والقدح التي يتخذها المعزمون، يدّعون أنها عندهم عزائم يستحضرون بها الجان، وكلهم أهل ضلال ويجب تعزيرهم فإن اعتقدوا أن هذه طريقة لعلم ما يكون قبل كونه وجب تكفيرهم»[٢]. ثم حذر النساء من التنجيم بالحصى والشعير وما شاكلها فقال: «وفي معنى الكاهن المنجم فإنه يدعي علم الغيب وقد صار أكثر أهل زماننا لا يسافرون ولا يلبسون ثوبًا ولا يعملون عملًا إلا بقول المنجم»[٣].

وتلك المحاذير الشرعية التي أنكرها ابن الجوزي تؤدي إلى انتشار الشرك والفساد في المجتمع؛ فكم تفرق زوجان بسبب السحر والكهانة والتنجيم، وكم من امرأة عدلت عن الزواج بسبب ادعاء علم الغيب من الساحر أو الساحرة أو الكاهن أو الكاهنة.

ولتلك الأمور أضرار اجتماعية خطيرة على الأسرة والأزواج والأولاد والمجتمع، ومنها ضعف الروابط والصلات الاجتماعية بين أفراده وتفككها، وانتشار الكراهية والبغضاء، وغير ذلك من المشكلات الاجتماعية المختلفة.

٢ - الزنا:

الزنا جريمة بغيضة تؤدي بمن يقع فيها إلى أمور لا تُحمد عقباها إلا

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٢٧٤).

(٢) المرجع السابق، ص(٢٧٥).

(٣) المرجع السابق، ص(٢٧٥).

أن يشاء الله، وتؤدي - أيضًا - إلى تفكيك المجتمع وانتشار الفساد والرذائل بين أفراده، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

ولذلك لم يغفل ابن الجوزي إنكار هذه الجريمة البشعة التي تفسد على من تقع فيها دينها ودنياها مستدلًا بحديث[١] سمرة بن جندب قال: قال الرسول ﷺ: «**رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني فانطلقت معهما، فإذا بيت مبني على بناء التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع، توقد تحته نار، فيه رجال ونساء عراة فإذا أوقدت ارتفعوا حتى يكادوا أن يخرجوا فإذا خمدت رجعوا فيها فقلت: ما هذا؟ قال: هم الزناة**»[٢].

ويحذر المرأة من عواقب الزنا التي تفسد المجتمع، وتعمل على هدم الأسرة فيقول: «ويزيد على الزنا في فحشه ويتضاعف قبحه أن تحمل المرأة من الزنا فتلحق الحمل بزوجها»[٣]، وهذا أمر يمقته الدين والمجتمع بأسره لأن فيه اختلاط الأنساب وفساد الحرث والنسل، ويترتب على ذلك أمور وعواقب وخيمة.

ويدعو ابن الجوزي المرأة التي وقعت في تلك الجريمة البشعة إلى التوبة والرجوع إلى الله فيقول: «إذا زنت المرأة وجب عليها أن تتوب مما فعلت»[٤].

وهذا هو الحل الأمثل لمن وقعت في شراك الشيطان وضلت عن

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(٢٧٧).

(٢) البخاري: «صحيح البخاري»، ج٦، ص(٢٥٨٣)، رقم (٦٦٤٠).

(٣) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٢٨٣).

(٤) المرجع السابق، ص(٢٨٠).

طريق الهداية. ومن الأمور التي تشبه الزنا السحاق بين النساء الذي حذر منه ابن الجوزي وأورد الأدلة على تحريمه[١].

وتلك الذنوب والمعاصي لها أثر بالغ في إفساد الدين والشعور الاجتماعي بين أفراد المجتمع، لأنها تسهم في هدم المبادئ والقيم الإسلامية، وتعمل على تفكيك أواصر الحياة الاجتماعية.

٣ - التبرج والاختلاط:

يوضح ابن الجوزي للمرأة المسلمة تحريم التبرج وإظهار الزينة وإبراز المحاسن والتصنع والتمايل في المشي وكل ما يستدعي شهوة الرجل، ويحثها على أن تبتعد عن تلك المحرمات التي تؤدي إلى انتشار الفساد بين أفراد المجتمع[٢]. ويرى أن «خروج النساء مباح، لكن إذا خيفت الفتنة بهن أو منهن فالامتناع من الخروج أفضل»[٣].

وأمّا اختلاط النساء بالرجال الأجانب فهو من الأمور الخطيرة التي تفسد الدين والمجتمع وتهتك الأعراض. يقول بكر أبو زيد: «ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال، أصل كل بليّة وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام والطواعين المتصلة»[٤].

---

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(٢٨٤).

(٢) المرجع السابق، انظر: ص(٢٨٨).

(٣) المرجع السابق، ص(٢٠٧).

(٤) بكر أبو زيد: «حراسة الفضيلة»، ص(٨٤).

ولقد حذر ابن الجوزي المرأة من اختلاطها بالرجال وحضور مجالسهم دون مراعاة تعاليم التربية الإسلامية، حيث قال: «ينبغي للمرأة أن تحذر من الخروج مهما أمكنها، فإنها إن سلمت في نفسها لم يسلم الناس منها، فإذا اضطرت إلى الخروج خرجت بإذن زوجها في هيئة رثة، وجعلت طريقها في المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق واحترزت من سماع صوتها ومشت في جانب الطريق لا في وسطه»[١]. ويؤكد على ابتعاد المرأة من مخالطة الرجال الأجانب أو الحديث إليهم حتى لا تقع في الفتنة؛ فيقول: «إذا خرجت المرأة لم تُسلّم على الرجال أصلًا»[٢].

وينتقد خلوة الرجال بالنساء ومصافحتهن فيقول: «وربما قالت المرأة: أنا ألبس قميصًا من يد الواعظ، فأصير بنتًا له، وبلغنا أن قومًا من المتزهدين يؤاخون النساء ويخلون بهن ويصافحونهن وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه ما صافح امرأة أجنبية[٣]، وكل هذا مخرج الفساد القبيح»[٤].

ويؤكد على عدم خلوة النساء بالرجال حتى الخصيان والمجبوبين منهم فيقول: «ولا تباح خلوة النساء بالخصيان ولا بالمجبوبين لأن العضو وإن تعطل أو عَدِم، فشهوة الرجال لا تزول من قلوبهم، فلا يؤمن التمتع بالقبلة وغيرها، وكذلك لا تباح خلوة الفحل بالرتقاء من النساء لهذه

(١) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، ص(٢٠٩).

(٢) المرجع السابق، ص(٢٠٨).

(٣) البخاري: «صحيح البخاري»، ج٢، انظر: ص(٩٦٧)، رقم (٢٥٦٤)، ومسلم: «صحيح مسلم»، ج٣، انظر: ص(١٤٨٩)، رقم (١٨٦٦).

(٤) ابن الجوزي «أحكام النساء»، ص(٢٩٩).

العلة »[١]. كما نهى المرأة من لبس النعال التي تصدر أصواتًا لتجذب انتباه الرجال إليها فقال: « ولهن مقابح يحتقرنها وهي عظائم كالصرير في الخف »[٢].

وتلك الأمور التي أنكرها ابن الجوزي ملاحظة ومشاهدة في واقعنا المعاصر، ولكن المرأة المؤمنة هي التي تحرص على بناء أسرتها ومجتمعها وتجتنب الوقوع في مثل تلك الذنوب والمعاصي.

والملاحظ أن ابن الجوزي قد أطال الحديث عن هذا الموضوع بطرق مختلفة، لأن اختلاط النساء بالرجال يؤدي إلى منكرات عديدة تسبب فساد المجتمع وانتشار الرذائل بين طبقاته وأفراده، ولذلك يجب على المجتمع تربية المرأة على حب الفضيلة والبعد بها عن كل ما يفسد عليها دينها وحياتها الدنيوية.

٤ - التجسس على الآخرين:

نبه ابن الجوزي المرأة إلى الحذر من التجسس على الآخرين والاستماع لحديثهم وهم كارهون[٣]، وذكر حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « **من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك** »[٤]. وتجسس المرأة وتصنتها على جيرانها أو غيرهم يُعد من الصفات الذميمة والأخلاق الدنيئة التي تدل على ضعف النفس، وذلك

---

(١) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، ص(١٧٧) ».

(٢) المرجع السابق، ص(٢٩٨).

(٣) المرجع السابق، انظر: ص(٢٧١).

(٤) البخاري: « صحيح البخاري »، ج٥، انظر: ص(٢٥٨١)، جزء من حديث رقم (٦٦٣٥).

يوغر الصدور، ويؤدي إلى ضعف الروابط والعلاقات الاجتماعية.

٥ - النياحة على الميت واتباع الجنازة:

ومن مفسدات الشعور الاجتماعي لدى المرأة النياحة على الميت واتباع الجنائز. وقد نبه ابن الجوزي المرأة إلى الحذر من النياحة وكسب المال منها، ووضح عقوبة النائحة، وبيّن أن الميت يُعذب في قبره بسبب النياحة عليه[(١)]، واستدل بحديث عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: « **إن الميت ليعذب في قبره بالنياحة عليه** »[(٢)]، ثم قال: « ويحتمل أن يكون هذا في حق من أوصى بذلك أو أن يكون التعذيب بذنوبه ويجعل ذكر ما يناح به عليه زيادة في توبيخه »[(٣)]، كما نهى المرأة عن اتباع الجنائز[(٤)]، بخلاف الرجل، لأن المرأة رهيفة الحس قد يترتب على حضورها من المآخذ والأوضاع ما لا يليق بها ولا بالميت وتشييع الجنازة.

ولذلك فإن المرأة المؤمنة الصابرة « إذا فجعت بموت أحد أحبائها لا يسلب الحزن صوابها ولا يفقدها السيطرة على نفسها كما هو حال النساء الجاهلات الخفيفات الجزعات، بل تصبر وتحتسب وتأخذ بهدي الإسلام في تصرفاتها كلها في تلك الساعات العصيبة »[(٥)].

---

(١) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، انظر: ص(٣٩٢ - ٣٩٦).

(٢) البخاري: « صحيح البخاري »، ج١، انظر: ص(٤٣٣)، رقم (١٢٢٦)، ومسلم: « صحيح مسلم »، ج٢، انظر: ص(٦٣٩)، رقم (٩٣٧).

(٣) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، ص(٣٩٦).

(٤) المرجع السابق، ص(٣٩٧).

(٥) محمد علي الهاشمي: « شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة »، ص(٤٨١).

وبعد عرض آراء ابن الجوزي في التربية الاجتماعية يمكن تلخيصها فيما يلي:

* النمو الاجتماعي لدى الطفلة يبدأ منذ نعومة أظفارها، ويتأثر بالمحيط والبيئة التي تعيش فيها، وخاصة بالوالدين.
* علاقات المرأة الاجتماعية ينبغي أن تبنى على أسس التربية الإسلامية، وتُستقى من القرآن الكريم والسنة النبوية.
* ضرورة تنمية الشعور الاجتماعي لدى المرأة وتكوين قاعدة لبناء العلاقات الاجتماعية لديها.
* وجوب تربية المرأة تربية إسلامية من أجل أن تُسهم في بناء المجتمع المسلم وتقوم بدور إيجابي فاعل.
* الاهتمام بالتربية الزوجية يؤدي إلى نجاح الحياة الأسرية والاجتماعية والأخلاقية.
* وجوب إعداد الأم الصالحة بكل الوسائل المتاحة حتى يكون لها دور إيجابي في تربية الأجيال تربية إسلامية.
* ضرورة توضيح مفسدات الشعور الاجتماعي لدى المرأة وإنكارها، والعمل على تجنبها.

وبعد: فإذا كان هذا الفصل قد عرض لأهم مجالات تربية المرأة عند ابن الجوزي، فإنه بذلك قد أجاب عن السؤال الثالث من أسئلة الدراسة: **ما أهم مجالات تربية المرأة عند ابن الجوزي؟**

الفصل الخامس

«تصور مقترح للاستفادة من آراء ابن الجوزي في تربية المرأة في الواقع التربوي المعاصر»

أولًا : دور الوالدين في تربية المرأة.

ثانيًا : دور المدرسة والجامعة في تربية المرأة.

ثالثًا : دور المسجد في تربية المرأة.

رابعًا : دور المجتمع في تربية المرأة.

خامسًا : مسؤولية المرأة تجاه نفسها.

سادسًا : دور الزوج في استقرار الحياة الزوجية.

سابعًا : دور وسائل الإعلام في تربية المرأة.

ثامنًا : عمل المرأة في الواقع المعاصر.

تاسعًا : سبل مواجهة بعض التحديات التي تواجه المرأة المسلمة.

مدخل

وبعد استعراض آراء ابن الجوزي في تربية المرأة ومناقشتها فمن المناسب في هذا الفصل عرض بعض الأفكار المستفادة من آرائه في تربية المرأة في الواقع التربوي المعاصر:

أولًا: دور الوالدين في تربية المرأة

لقد اهتم ابن الجوزي ببناء الأسرة المسلمة بناءً سليمًا تقوم معالمه على أسس من العقيدة والخلق القويم والعلم والمعرفة[(١)]، لأن الأسرة هي «الركيزة الأساسية لأي مجتمع، لذا كانت العناية مطلوبة على نحو ضروري بهذه الركيزة فإذا صح أساس البناء أصبح البناؤون مطمئنين إلى الأرضية التي سيعتلي عليها البناء، مما يوفر شعورًا بالأمان وافرًا لساكنيه في يوم من الأيام»[(٢)].

ومن أبرز ركائز الأسرة المرأة الصالحة التي تؤثر في استقرارها ونموها وترابطها، ولذا فإنه يجب على الوالدين الاهتمام بتربيتها منذ طفولتها ونشأتها حتى تصير زوجة وأمًّا وفردًا صالحًا له دوره في الحياة؛ لأنهما إذا «حرصا على تربية الأولاد، واجتهدا في تنشئتهم على كريم الخلال وحميد الخصال، مع تجنيبهم ما ينافي ذلك من مساوئ الأخلاق

(١) انظر: الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(٢) عبد المجيد طعمة: «التربية الإسلامية للأولاد»، ص(١١).

ومرذول الأعمال، فإن لذلك أثرًا عظيمًا في نفوس الأولاد»[١]. ومعلوم أنّ الدور الرئيسي في تربية الطفلة يكون أمها؛ لأن البنت تعتبر أمها «المثل الأعلى بالنسبة لها، فهي تمثل الجنس نفسه مما يشعرها بالاتساق مع دورها الجنسي»[٢]. ولأنها أشد التصاقًا بها من أبيها، ومع ذلك فإن على الأب دورًا كبيرًا في تربية الأولاد ورعايتهم وتوجيه سلوكهم.

ويمكن توضيح دور الوالدين في تربية المرأة بحسب مراحل نموها من خلال الآتي:

١ - مرحلة الجنين:

على الوالدين اتخاذ كافة التدابير الوقائية لحماية الحمل من نزغات الشيطان، حيث قال النبي ﷺ: «**أما لو أنّ أحدهم يقول حين يأتي أهله: بسم الله، اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا. ثم قُدّر أن يكون بينهما في ذلك، أو قُضِيَ ولد لم يضره شيطان أبدًا**»[٣]. وإذا أحست الأم بالحمل فعلى الوالدين أن يُكثرا من الدعاء لله ﷻ أن يرزقهما ولدًا صالحًا بارًّا بهما سليمًا مُعافى، لأن الدعاء عظيم الأثر في تربية الأولاد تربية صالحة.

ويجب توفير الرعاية الصحية للجنين وهو في بطن أمه، وعدم اللجوء إلى ما يؤدي إلى إسقاطه، كما نبه إلى ذلك ابن الجوزي بقوله: «فتعمد إسقاطه مخالفة لمراد الحكمة، إلّا أنه إذا كان ذلك في أول الحمل وقبل نفخ الروح، كان فيه إثم كبير، لأنه مترق إلى الكمال وسار إلى التمام، إلا

---

(١) محمد الحمد: «الهمة العالية»، ص(١٣٨).

(٢) ناهد رمزي: «سيكلوجية المرأة»، ص(٢٩).

(٣) البخاري: «صحيح البخاري»، ج٥، ص(١٩٨٢)، رقم (٤٨٧٠).

أنه أقل إثمًا من الذي نفخ فيه الروح، فإذا تعمدت إسقاط ما فيه الروح كان كقتل مؤمن »[١]، فعلى الأم مسؤولية عظيمة أمام الله ﷻ في المحافظة على جنينها، وعدم إجهاضه بأي طريقة أو وسيلة إلَّا بعذر شرعي.

وتوفير الرعاية الصحية للجنين يكون - أيضًا - بالاهتمام بالحمل والتغذية الصحيحة للأم، وعدم تناول الأدوية التي تسبب ضررًا للجنين مع توفير سبل الراحة النفسية والجسمية لها؛ « لأن هناك عوامل تؤثر على نمو الطفل الجسمي والنفسي والخلقي وهو في بطن أمه »[٢]؛ فقد ثبت أنّ الأم الحامل الهادئة المستقرة يكون ولدها هادئًا مستقرًّا متزنًا، والحالة السيئة للأم تنعكس على نفسية جنينها في المستقبل فيكون عصبيًّا قلقًا مضطربًا[٣].

٢ - مرحلة الطفولة:

وفي هذه المرحلة ينبغي الحرص على تربية الطفلة تربية إسلامية صالحة مبنيّة على تعاليم الشريعة الإسلامية، مع الاهتمام بصحتها الجسمية والنفسية والعقلية تحت إشراف الوالدين المباشر دون تسليمها إلى الخادمات أو الحاضنات بدون رقابة، ويبرز دور الوالدين في هذه الفترة من خلال ما يلي:

أ - ينبغي الاستبشار بالبنت المولودة وعدم التسخط منها؛ لأن

(١) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، ص(٢٧٤).

(٢) مقداد يالجن، ويوسف القاضي: « علم النفس التربوي في الإسلام »، ص(٨٨).

(٣) ليلى عبد الرشيد عطار: « مقالات في المرأة والتربية »، انظر: ص(٧٢).

« التسخط بالإناث من أخلاق الجاهلية الذين ذمهم الله »[1] في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

ويستحب الأذان في أذنها اليمنى والإقامة في اليسرى اقتداءً بالنبي ﷺ وغرسًا لعقيدة التوحيد منذ الولادة، ومن أجل أن تسمع كلمات التكبير والتوحيد وإعلان العبادة لله وهي في أول عهدها بالحياة، « وسر التأذين - والله أعلم - أن يكون أول ما يقع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله الدنيا كما يُلقّن كلمة التوحيد عند خروجه منها »[2]. كما يُستحب تحنيك الأطفال، وهو إدارة التمرة الممضوغة في فم الطفل الوليد[3] لتكون أول ما يدخل جوفه، ثم اختيار الاسم الحسن لأن له تأثير في نفسيتها. تقول ليلى عطار: « والحكمة النفسية والتربوية من اختيار الاسم الحسن لحفظ شخصية الطفل من الانحطاط، وصيانة كرامته الإنسانية من الامتهان، وحتى يتخلق بأخلاقيات اسمه وما يدل عليها من معانٍ فاضلة وصفات حميدة »[4].

ويجب توفير الرعاية في المهد من الرضاعة والحضانة ورعاية جميع شؤونها، وعدم التفرقة بينها وبين الأبناء في المعاملة والتربية.

---

(١) ابن القيم: « تحفة المودود بأحكام المولود »، ص(٢٤).

(٢) المرجع السابق، ص(٣٢).

(٣) أحمد الفيومي: « المصباح المنير »، انظر: ص(٥٩).

(٤) ليلى عطار: « مقالات في المرأة والتربية »، ص(٧٧).

ب - إذا تجاوزت الطفلة مرحلة المهد وبدأت في الفهم والإدراك، فأول خطوة يجب أن تُنشأ عليها هي التركيز على تعميق الإيمان بالله تعالى في نفسها وإدراكها لمعنى الألوهية والعبودية وحقيقة الإيمان[١]، لأن الوازع الديني يبدأ في النمو أكثر من غيره.

جـ - ضرورة غرس حب الفضيلة والأخلاق الإسلامية في نفسها، لأن « هناك مجموعة من القيم والمبادئ لا بد أن ينشأ عليها الطفل ويترعرع على شذى عبيرها كالصدق والأمانة والوفاء والحياء »[٢].

وينبغي تنمية الحس الاجتماعي لديها، لأنها تبدأ في التفاعل الاجتماعي مع والديها وإخوتها وكل من يحيط بها، ولذلك تستطيع الأم أن تعوّدها « آداب السلوك الاجتماعي في الإسلام الذي تمارسه هي عمليًّا في حياتها »[٣] مثل آداب الاستئذان، وآداب الحديث مع الآخرين، وآداب الزيارة، وغير ذلك من الآداب الاجتماعية.

د - ضرورة توجيه البنت إلى تعليم القرآن الكريم، بحيث يقوم أحد الأبوين بتعليمها قصار السور أو تسجيلها في حلقة من حلقات تحفيظ القرآن الكريم النسائية؛ لأن القرآن الكريم غذاء ضروري للروح، وفيه توضيح للعقيدة السليمة والقيم والمبادئ الإسلامية، ويحتوي على تعاليم ربانية تفيد الفتاة في شتى مجالات حياتها، كما يجب تعليمها الواجبات المفروضة عليها من العبادات والأحكام مثل الصلاة والصوم وغيرها،

(١) محمد جميل خياط: « الإعداد الروحي والخلقي للمعلم والمعلمة »، انظر: ص(٢١٦).

(٢) محمد حامد، وخولة عبد القادر: « تربية الأطفال في رحاب الإسلام في البيت والرضاعة »، ص(٢٦٨).

(٣) ليلى عطار: « مقالات في المرأة والتربية »، ص(١٠٢).

وتُلقى أغلب المسؤولية في تربية البنت في هذه الفترة على عاتق الأم، حيث تشير خيرية صابر إلى أن من أعظم مسؤوليات الأم تجاه طفلها هي « تعليمه وتعويده على الاغتراف من معين الثقافة والعلم والتركيز على حفظ القرآن الكريم، ومعرفة السيرة النبوية »(١).

هـ - تهيئة القدوة الصالحة للبنت بحيث يكون الوالدان قدوة لأبنائهما وبناتهما في الصلاة والتقوى والمحافظة على الفرائض وحسن الأخلاق وفضائلها، والاتزان في التصرفات وحب العلم والتعلم والعناية بالنظافة والسلوك الحسن، لأن الطفل يبدأ في تقليد أبويه منذ سنة من عمره تقريبًا، « ولا شك أن هذا التقليد دليل على محبة الأولاد لآبائهم، وليس نابعًا من خوف أو خشية »(٢).

وتتحمل الأم مسؤولية كبيرة في كونها قدوة صالحة لأولادها جميعًا بما فيهم البنات، لأن البنت أكثر ملازمة وألفةً لأمها، وتقتدي بها في جُلّ تصرفاتها - كما أشار إلى ذلك ابن الجوزي من قبل(٣) - ولأن « القدوة في التربية هي أفعل الوسائل جميعًا وأقربها إلى النجاح »(٤).

و - ينبغي أن تُبنى شخصية الطفلة على أسس متينة، قوامها القرآن الكريم والسنة النبوية وهدي السلف الصالح رضوان الله عليهم، كما يجب أن يكون هناك تكامل في بناء شخصيتها من جميع جوانبها بحيث تشمل الجوانب الإيمانية والخلقية والعقلية والاجتماعية مع التركيز على الجانب

---

(١) خيرية صابر: « دور الأم في تربية الطفل المسلم »، ص(٧٠).

(٢) عدنان باحارث: « مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة »، ص(٦٦).

(٣) انظر: ص(٩٧) من هذه الدراسة.

(٤) سعيد إسماعيل: « ديمقراطية التربية الإسلامية »، ص(١٢٦).

الإيماني لأن « تربية الإنسان على إخلاص الطاعة لله وحده في جميع أمور الحياة سينتهي حتمًا إلى تنمية حسه الاجتماعي، وتصوره بأنه واحد من أفراد المجتمع الذي وُلد فيه وترعرع، ورضع من لُبانه ونما فكان حقًّا عليه أن يخدمه »(١). ويجب مراعاة طبيعة الطفلة عند تربيتها و« تأكيد اعتزازها بإنسانيتها التي كرمها الله بخصائصها الفطرية التي فطرها الله عليها »(٢).

وعن طريق الاهتمام بتنشئة الطفلة تنشئة سليمة يتضح لها كثيرًا من أمور دينها ودنياها وتكون على قدر كبير من الفهم لمستقبلها في هذه الحياة مما ينعكس على دورها المنوط بها في أسرتها ومجتمعها؛ إذ يرى منير سرحان أن التنشئة الاجتماعية « تتضمن عمليات تشكيل الفرد وبناء شخصيته على نحو يمكنه من النمو والاتزان والتكامل مع ذاته والتكيف مع المجتمع وثقافته والعمل على تطويره »(٣)، ولأن كثيرًا من النساء في هذا العصر يعانين من ضعف مستوى الفهم السليم للحياة بسبب عوامل مختلفة في التربية والتنشئة أدت إلى ذلك الضعف.

يقول محمد علي الهاشمي: « ولقد أذهلني ما رأيت من تخلف المرأة المعاصرة المنتسبة للإسلام عن المستوى السامي الوضيء الذي أراد الله لها أن تكون فيه، وليس بينها وبين بلوغ ذلك المستوى العالي إلا أن تعكف على معرفة شخصيتها الأصلية التي صاغتها نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، وجعلت منها امرأة راقية نبيلة متميزة بمشاعرها

---

(١) إبراهيم سعادة: « الإسلام وتربية الإنسان »، ص(٨٧).

(٢) خالد العك: « شخصية المرأة المسلمة »، ص(٧٠).

(٣) منير سرحان: « في اجتماعات التربية »، ص(١١٢).

وأفكارها وتصرفاتها وسلوكها ومعاملاتها »[١].

وبناءً على ذلك فإن على الوالدين المسؤولية الكبرى في تكوين شخصية البنت وبنائها من جميع جوانبها، وتنمية إحساسها بالانتساب إلى هذا الدين الإسلامي والاعتزاز به.

ز - يجب أن يكون للوالدين دور كبير في حماية أطفالهم من التحديات الإسلامية والثقافية التي تؤثر على تربيتهم، وذلك عن طريق غرس القيم والفضائل الإسلامية في نفوسهم وترسيخها، مع الحرص على إبعادهم عن كل ما يخل بتربيتهم وسلوكهم.

ح - الاهتمام بالنفقة على الأبناء والبنات وتوفير ما يحتاجونه من الطعام والشراب والملابس وحاجيات الدراسة والتعليم وعدم الإهمال في هذا الجانب أو التساهل فيه، ومعلوم أن المسؤولية الكبرى في هذا الجانب ملقاة على الأب. يقول إبراهيم ناصر: « إن من أول واجبات الأسرة المحافظة على بقاء الطفل، وذلك عن طريق تهيئة طعامه وشرابه، والاعتناء بصحته. وعن طريق الغذاء والعناية يشكل جسم الطفل وصحته الجسدية »[٢].

٣ - مرحلة المراهقة:

وفي هذه المرحلة يجب على الوالدين الاهتمام بتربية البنت اهتمامًا بالغًا لأن هذه المرحلة « من أهم مراحل النمو في حياة الفرد، وإن لم تكن

---

(١) محمد علي الهاشمي: « شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة »، ص(٧).

(٢) إبراهيم ناصر: « أسس التربية »، ص(٣٨٦).

أهمها على الإطلاق حتى إن بعض علماء النفس يعتبرونها بدء ميلاد جديد للفرد »[١].

ويمكن إجمال الجوانب التي ينبغي التركيز عليها في هذه الفترة في الآتي:

أ - زيادة الاهتمام بتربية البنت والعمل على تكامل جوانب شخصيتها، ومحاولة القرب منها وتحسس مشكلاتها وإيجاد الحلول لها.

ب - ضرورة غرس القيم الإيمانية والأخلاقية في نفسية الفتاة وتعويدها على كل خلق نبيل وحثها على تجنب السلوكيات السيئة.

جـ - العمل على تنمية الشعور الاجتماعي لديها، وتعميق مفهوم الروابط الاجتماعية في شخصيتها.

د - العمل على تنمية قدراتها العقلية، وخاصة عملية التفكير والفهم السليم، وحثها على العلم والمعرفة.

هـ - يجب أن تتعلم حقوق الحياة الزوجية وآدابها إذا بلغت سن الزواج حتى تقوم حياتها على أسس سليمة تنير لها سبل الخير والسعادة. يقول الإمام أبو حامد الغزالي: « ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع الزوج »[٢].

و - ينبغي على أولياء البنت اختيار الزوج المناسب لها، بحيث يكون على قدر من الدين والأخلاق، كما ينبغي مراعاة نفسيتها في ذلك، وإعطاؤها حرية الاختيار مع توجيهها نحو ما يؤدي إلى نجاح حياتها

(١) محمد زيدان: « النمو النفسي للطفل والمراهق »، ص(١٥٥).

(٢) الغزالي: « إحياء علوم الدين »، ج٣، ص(١١١).

واستقرارها. ويجب عليهم - أيضًا - تسهيل زواج بناتهم، وعدم وضع عقبات تحول بينهن وبين الزواج المبكر.

٤ - مرحلة النضج:

وهي التي تلي مرحلة المراهقة، وفي هذه المرحلة يجدر بالوالدين أن يستمرا في التوجيه والنصح لابنتهما بالتي هي أحسن، وتشجيعها على العلم والمعرفة، والعمل على إصلاح حياتها الاجتماعية بكل الوسائل المتاحة مع التقدير والاحترام لها، وعدم التدخل في شؤون حياتها الزوجية إلا بالنصح والإصلاح، وعدم طلب أمورٍ تعجيزية منها، قد تؤدي إلى إثارة الخلافات الزوجية، مثل أن يطلبا منها أن تترك منزلها وتخرج منه بدون إذن زوجها أو نحو ذلك.

ثانيًا: دور المدرسة والجامعة في تربية المرأة

للمدرسة والجامعة دور كبير في تربية المرأة وتعليمها في هذا العصر، وذلك لأن الفتاة تقضي مدة طويلة من عمرها في هاتين المؤسستين:

ويمكن توضيح سبل الاستفادة من آراء ابن الجوزي التربوية[1] فيهما من خلال المحاور التالية:

١ - أهمية العلم والمعرفة للمرأة في هذا العصر:

من خلال حديث ابن الجوزي عن حاجة المرأة للعلم والمعرفة يمكن القول: إن الله ﷻ قد حث على العلم والتعلم فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ [العلق: ١- ٤]. ويقول الله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]. والآيات الدالة على وجوب العلم كثيرة، وعامة تشمل الرجال والنساء، وهذا ما فهمه المسلمون من هذه الآيات، ولذلك كانت النساء حريصات في عهد الرسول ﷺ على التعليم والتفقه كالرجال، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: «نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[2].

---

(١) انظر: الفصل الثالث والرابع من هذه الدراسة.

(٢) البخاري: «صحيح البخاري»، ج١، ص(٦٠)، باب الحياء، رقم (٥٠)، ومسلم: =

وبناءً على ذلك فإن أهمية طلب العلم تزداد في هذا العصر، بل أضحى العلم ضرورة لا مناص عنها في ظل التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ووجود الثورة العلمية في جميع المجالات، وكذلك التطور الإعلامي المذهل الذي أضحى العالم عن طريقه كالقرية الصغيرة التي ينتشر فيه الخبر انتشار الهشيم في النار. ولذلك فإن المرأة تحتاج إلى قدر من الثقافة والعلم والمعرفة حتى تستطيع فهم طبيعة عصرها ومجتمعها وحياتها العلمية، وفهم ميول «أبنائها وقدراتهم وتعمل على توجيه هذه الميول والقدرات فيما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالفائدة»[(١)].

إن حاجة المرأة لطلب العلم الشرعي وغيره من العلوم النافعة لها ولمجتمعها، مثل الطب والتربية والاقتصاد لتزداد يومًا بعد يوم، فالمجتمع الإسلامي بحاجة إلى نساء عالمات وطبيبات وداعيات ومربيات فاضلات يسهمن بشكل فاعل في رقي المجتمع المسلم وتقدمه.

وإن انتشار التيارات الفكرية المنحرفة، وما تبثه وسائل الإعلام المختلفة في كل مكان وزمان؛ لتفرض علينا تعليم المرأة وتثقيفها دينيًّا وخلقيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا، حتى تكون على قدر من العلم والفهم للوقوف في وجه تلك التحديات في شتى المجالات سواء كانت أسرية أو اجتماعية.

وبناءً على ذلك فإن على القائمين على المدارس والجامعات في البلدان العربية والإسلامية عمل الآتي:

= «صحيح مسلم»، ج١، ص(٢٦١)، رقم (٣٣٢).

(١) هيام ملقى: «المرأة العربية بين التعليم والعمل»، ص(١٣).

أ - تهيئة المدارس الخاصة بالبنات بجميع مراحلها «الابتدائية والمتوسطة والثانوية» في كل مدينة وقرية وهجرة حتى يصل العلم كل منزل وكل فتاة، وإعطاء تلك المدارس اهتمامًا خاصًا في المناهج واختيار المعلمات وتوفير كل ما يلزم لتعليم الفتاة بعيدًا عن الاختلاط مع البنين.

ب - التوسع في افتتاح الجامعات والكليات الخاصة بالبنات بحيث تكون تابعة للجامعة العريقة - كما هو معمول به في المملكة العربية السعودية - أو تكون مستقلة استقلالًا تامًّا، وتقوم عليها نخبة من المُدرسات الجامعيات الجديرات بتحمل المسؤولية العلمية والعملية، ويكون التركيز فيها على التخصصات المناسبة للمرأة في هذا العصر، مثل التخصصات الشرعية والتربوية والاجتماعية والطبيّة ونحوها.

ج - الاهتمام بتعليم الكبيرات من النساء نظرًا لتفشي الأميّة بينهن في العالم العربي والإسلامي بشكل عام، وذلك لا يكون إلا بالعمل الجاد لوضع الخطط المستقبلية والناجعة لتعليم الكبار «وإعطاء الأولية في الترتيب إلى قضية التحرر من أسر الأمية وأخطارها في البلاد العربية»[(١)]، ولا يعني ذلك أن نهمل الكبيرات المتعلمات من حيث مساعدتهن في النمو والتطور لمواكبة الحياة المتغيرة ومتطلبات العصر «ووضع استراتيجية لتعليم الكبار تسير جنبًا إلى جنب مع استراتيجية محو الأمية يتطلب دراسة الواقع وفتح مؤسسات تعليم الكبار والسعي على تطويرها والتنسيق بينها وبين مؤسسات التعليم النظامي لتكون جديرة وقديرة بتأهيل الكبار وتدريبهم ومواصلة دراستهم وتعليمهم في

(١) مسارع حسن الراوي: «دراسات حول محو الأمية وتعليم الكبار في الوطن العربي»، ص(٥٢).

إطار التعليم المستمر مدى الحياة والتربية الدائمة »[١].

إن الاهتمام بالنساء الكبيرات سيحقق نتائج قويمة ويُسهم في تطور المجتمع وتقدمه، وخاصة إذا وضعنا في الحسبان أن نسبة الأمية بين النساء في بعض أقطار الوطن العربي بلغت « سبعين في المائة » في المتوسط عند منتصف العقد الأخير من القرن العشرين ممن هن فوق سن الخامس عشرة[٢].

٢ - مصادر اشتقاق أهداف تربية المرأة وطريقة صياغتها:

* يقول ماجد عرسان الكيلاني: « التربية عملية هادفة لا بد من تحديد أهدافها وإلّا سارت بغير وعي ولا إرشاد »[٣]. ويقول علي خليل أبو العينين: « تعتبر قضية تحديد الأهداف التربوية من القضايا التربوية الصعبة، بقدر ما هي مهمة وخطيرة، فأي حديث عن التربية يحتاج إلى تساؤل عن أهداف لها »[٤]. ويزيد الأمر خطورة إذا كان الحديث عن مصادر اشتقاق أهداف تربية المرأة وطريقة صياغتها، خاصة في ظل الواقع المعاصر والتحولات السريعة واضطراب الرؤية لقضايا المرأة عند بعض الناس.

ومن خلال آراء ابن الجوزي التربوية عن المرأة يمكن الحديث عن مصادر اشتقاق أهداف تربيتها وطريقة صياغتها من خلال الآتي:

---

(١) مسارع حسن الراوي: « دراسات حول محو الأمية وتعليم الكبار في الوطن العربي »، ص(٥٢).

(٢) محمد عبد العزيز الذهب: « التربية والمتغيرات الاجتماعية في الوطن العربي »، انظر: ص(١٤٠).

(٣) ماجد الكيلاني: « أهداف التربية الإسلامية »، ص(٢٥).

(٤) علي خليل أبو العينين: « أهداف التربية الإسلامية »، ص(٩).

أ - مصادر اشتقاق أهداف تربية المرأة:

من خلال مجمل آراء ابن الجوزي التربوية[١] يمكن حصر مصادر اشتقاق أهداف تربية المرأة فيما يلي:

١ - القرآن الكريم:

لقد حوى القرآن الكريم تصورات رئيسة عن جوانب حياة المرأة وصلتها بخالقها، كما وضح الفروق الأساسية بين الذكر والأنثى، وبيّن أن المرأة إنسان خُلق من أجل تحقيق العبودية والخلافة في الأرض، كما وضح كثيرًا من حقوقها الدينية والمالية والاقتصادية وغيرها، وزخر بالحديث عن القيم والمبادئ التي يجب أن تتمسك بها المرأة، ووضع الأسس التي تسير عليها في حياتها العملية قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ولذلك فإن القرآن الكريم يتميّز بالكثير من الخصائص والمميزات التي تجعل منه مصدرًا مهمًا من مصادر اشتقاق أهداف تربية المرأة. على أنه ينبغي فهمه فهمًا سليمًا مبنيًا على السنة النبوية وفهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين والعلماء الربانيين من بعدهم، لأنه لا يمكن اشتقاق الأهداف دون الرجوع إلى الشروح والتفاسير.

وينبغي التنبه إلى أن استنباط أهداف تربية المرأة في القرآن الكريم عملية مهمة تحتاج إلى علماء يجمعون بين العلم الشرعي والعلم التربوي أو علماء من الجانبين حتى تتسم تلك الأهداف بالشمولية والتكامل والتوازن ومراعاة طبيعة المرأة ومجتمعها.

---

(١) انظر: الفصل الثالث والرابع من هذه الدراسة.

٢ - السنة النبوية:

لقد كان اعتماد ابن الجوزي على السنة النبوية واضحًا وواسعًا[١]، وما ذلك إلا لأنها مفسرة للقرآن الكريم وموضحة لما فيه وشارحة لأحكامه، كما جاءت بأحكام وآداب عن المرأة لم ينص عليها القرآن الكريم، وفيها من القصص الواقعية والحوادث عن المرأة الشيء الكثير، ولذلك فإنها تعتبر من أهم مصادر اشتقاق أهداف تربية المرأة الأساسية، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، والرسول ﷺ قدوة لنا جميعًا في تعامله مع المرأة وفي تربيتها تربية صالحة، وهو قدوة للمرأة نفسها في حياتها الدينية والخلقية والاجتماعية وغيرها. كما أنّ توجيهاته لزوجاته ولنساء الصحابة توجيهات لكل امرأة مسلمة في جميع العصور والأمصار، وطريقته في تربية المرأة تتسم بالواقعية وتمتاز بمراعاة طبيعتها وخصائصها العقلية والنفسية والجسمية. وكل ذلك يؤكد لنا أهمية السنة النبوية باعتبارها مصدرًا مهمًّا لاشتقاق أهداف تربية المرأة المسلمة.

هذا إلى جانب مسألة واقعية وهي الاهتمام الكبير الذي توليه الأمة الإسلامية للسنة، ومركزها في قلوب الناس، وهذا يؤكد واقعًا لا بد من مراعاته في اشتقاق أهداف تربية المرأة في الواقع المعاصر[٢].

---

(١) انظر: ص(٨٥) من هذه الدراسة.

(٢) علي خليل أبو العينين: «أهداف التربية الإسلامية»، ص(٣٠).

٣ - التراث العلمي والثقافي :

لقد أورد ابن الجوزي جملة من أقوال السلف والعلماء والحكماء وأهل الأدب وغيرهم في حديثه عن تربية المرأة[١]. وذلك من تراث الأمة العربية والإسلامية العلمي والثقافي، وفيه من القيم والمبادئ والمثل السليمة الشيء الكثير، والتي تجعل منه مصدرًا من مصادر اشتقاق أهداف تربية المرأة.

ورغم ذلك فإنه ينبغي أن يُعلم أن ذلك التراث من كتب التفسير والشروح وكتب الأدب والأخبار والحكم وغيرها ليس كله صالحًا لأن يكون من مصادر أهداف تربية المرأة إذ إن بعضه ليس موافقًا لما في القرآن والسنة من تعاليم وقيم ومثل عليا. ولذلك فإن على الباحثين والمهتمين بشؤون المرأة مسؤولية كبيرة في فرز ذلك التراث الضخم عند تكوين أهداف تربيتها ولا بد أن يكونوا على قدر من الثقافة والعلم والمعرفة.

٤ - خصائص المرأة وسماتها :

يقول علي خليل: « إن خصائص المتعلم وطبيعته تعد من العوامل الأساسية الموجهة في تحديد الأهداف التربوية، إذ إن تصورها وتحديدها يساعد على تحديد نماذج النشاط الموجهة والمشكلة للحياة الإنسانية وذلك تبعًا لأهميتها بالنسبة للإنسان في وجوده الفردي والاجتماعي »[٢]، ولذلك فإن على من يحاول اشتقاق أهداف تربية المرأة أن يتعرف على

---

(١) ابن الجوزي: « أحكام النساء »، انظر - مثلًا -: ص(١٣١) وما بعدها.

(٢) علي خليل أبو العينين: « أهداف التربية الإسلامية »، انظر: ص(٣٣).

جوانب شخصيتها وطبيعتها وظروف واقعها وجوانب حياتها المختلفة، لأن « الإسلام دين واقعي يلتزم الحق حيث كان، ويقيم شريعته على العدل لكل إنسان، فالرجل رجل والمرأة امرأة، لكل منهما خصائصه ومميزاته واستعداداته وقدرته وطبيعة تركيبة وتكوينه، ولكل منهما وظائفه المختلفة عن الآخر »[١].

إن على المهتمين بصياغة أهداف تربية المرأة أن يضعوا نصب أعينهم خصائص المرأة وسماتها التي تميزها عن الرجل، ولا بد من معرفة استعداداتها الفطرية وحاجاتها وطريقة تفكيرها، وهذا ما يُسلّم به بعض علماء التربية في الغرب- أيضًا-، يقول عمر محمد الشيباني: « ومن أفكار « روسو » المتعلقة بتربية المرأة هو إيمانه بأن هذه التربية يجب أن تكون مختلفة في طبيعتها وفي أساليبها عن الرجل، وهذا الاختلاف في تربية الجنسين أمر طبيعي - في نظره - يقتضيه الاختلاف في طبيعتهما »[٢].

٥ - المجتمع:

يقول جودت سعادة: (يتمثل المجتمع في جمعٍ من الأفراد يستقرون في بيئة معينة، وتنشأ بينهم مجموعة من الأهداف والرغبات والمنافع المشتركة، وتحكمهم مجموعة من القواعد والأساليب المنظمة لسلوكهم وتفاعلهم. وللمجتمع بناء اجتماعي يتكون من مجموعة من الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والقانونية والدينية

(١) أحمد الأسمر: « فلسفة التربية في الإسلام »، ص(٢٥٣).

(٢) عمر الشيباني: « تطور النظريات والأفكار »، ص(١٨٩).

والعسكرية)[١]. ولذلك ينبغي مراعاة المجتمع الذي تعيش فيه المرأة في العصر الحاضر لأن لكل مجتمع مميزاته وخصائصه وثقافته وظروفه الخاصة به.

وقد أدرك ابن الجوزي ذلك قديمًا، فأشار إلى أنه ينبغي مراعاة مجتمع المرأة وعصرها الذي تعيش فيه؛ فعندما يتحدث عن خروج النساء في زمنه يوضح أن الامتناع من الخروج أفضل إذا خيفت الفتنة ويعلل ذلك بقوله: (لأن نساء الصدر الأول كن على غير ما تنشأ نساء هذا الزمان عليه وكذلك الرجال)[٢].

ويقول جودت سعادة: (توجد في أي مجتمع من المجتمعات أنظمة متنوعة أهمها نظام الأسرة، بالإضافة إلى مؤسسات عديدة تأتي في مقدمتها المؤسسات الدينية والتربوية والترفيهية والعمالية، التي تيسر على المربي بعامة، ومخططي المناهج بخاصة، القيام بعملية اشتقاق الأهداف التربوية والتعليمية)[٣]، غير أن ذلك لا يعد مبررًا للتساهل في الأمور التي نهى عنها الشارع بحجة مراعاة المجتمع والعصر الذي تعيش فيه، وإنما المقصود هو النظر إلى حال المجتمع ومشكلاته، وما يناسب طبيعته وأحوال أفراده وعلاقاتهم الاجتماعية ومعيشتهم اليومية واختلاف أجناسهم وبيئاتهم.

---

(١) جودت سعادة: «صياغة الأهداف التربوية والتعليمية في جميع المواد الدراسية»، ص(٣٢ - ٣٣).

(٢) ابن الجوزي: «أحكام النساء»، انظر: ص(٢٠٧).

(٣) جودت سعادة: «صياغة الأهداف التربوية والتعليمية في جميع المواد الدراسية»، ص(٣٣).

ويجب النظر إلى المرأة على أنها فرد من المجتمع الإسلامي عند اشتقاق أهداف تربيتها وأن لها دورًا حيويًّا وفاعلًا يتناسب مع طبيعتها الأنثويّة.

ب - طريقة صياغة أهداف تربية المرأة:

نظرًا لاختلاف المرأة في تكوينها العقلي والنفسي والجسمي عن الرجل واختلاف وظيفتها في الحياة فيجب عند صياغة أهداف تربيتها مراعاة ما يلي:

أ - اختيار ذوي الكفاءة من العلماء والمفكرين والتربويين لصياغة الأهداف، لأن (اختيار أهداف التربية ليس بالأمر السهل، ولذا نجد كل أمة وكل جماعة مهما كان حجمها تسند هذه المهمة إلى النخبة الممتازة من علمائها ومفكريها)[١].

ب - يجب أن يكون هدف تربية المرأة وتعليمها الرئيس هو تحقيق العبودية لله في حياتها، وإعدادها للقيام بذلك الدور المنوط بها، لأن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وكتب التراث الإسلامي قد ركزت في مفهوم الهدف على غاية سامية وهي تحقيق العبودية لله ﷻ[٢]. ولذلك يجب العمل على غرس العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس المتعلمات على توحيد الله لا شريك له[٣].

جـ - ضرورة مراعاة طبيعة المرأة وخصائص تكوينها وحاجياتها؛ لأن الأهداف التربوية لا بد أن تكون (متفقة مع الطبيعة الإنسانية مراعية

(١) أحمد الحمد: «التربية الإسلامية»، ص(٣٧).
(٢) بدرية الميمان: «نحو تأصيل إسلامي لمفهوم التربية وأهدافها»، انظر: ص(٦٧٩).
(٣) محمد صالح جان: «الأهداف التربوية»، انظر: ص(٣٤).

لحاجتها قابلة لإطلاق قدراتها الإبداعية)[١].

د - إعداد المرأة المسلمة لوظيفتها الحقيقية التي كلفها الله القيام بها وهي رعاية شؤون الأسرة وتربية الأجيال[٢].

هـ - العناية بجميع جوانب المرأة الدينية والخلقية والمعرفية والاجتماعية من أجل إعدادها إعدادًا شاملًا ومتكاملًا لتكون على قدر المسؤولية في هذا العصر.

و - لا بد أن تلبي الأهداف علاج مشكلات المرأة المعاصرة، وحاجتها للوقوف في وجه التحديات المختلفة.

٣ - المعلمة:

لقد أشار ابن الجوزي إلى أن المرأة ينبغي أن تطلب العلم على يد امرأة عالمة أو لديها قدر من العلم[٣]، وبناءً على ذلك يمكن القول: إن الفتاة عندما تتوجه إلى المدرسة فإنها تحتاج إلى المربية الفاضلة التي تأخذ بيدها إلى طريق الخير والفلاح والنجاح، وذلك لا يكون إلا إذا كانت المعلمة قدوة صالحة على جانب كبير من الإعداد الصحيح دينيًّا وخلقيًّا وعلميًّا وتربويًّا، يقول محمد جميل خياط: (المعلم في ضوء التربية الإسلامية هو القدوة الصالحة، ومثله الأعلى هو الرسول ﷺ؛ لذا فمسؤوليته وواجبه كبيران في إعداد أبناء الأمة الإسلامية)[٤]، فلا بد أن

---

(١) ماجد الكيلاني: «أهداف التربية الإسلامية»، ص(٣٠).

(٢) ليلى عطار: «آراء ابن الجوزي التربوية»، انظر: ص(٥٧٧).

(٣) انظر: ص(١٠١) من هذه الدراسة.

(٤) محمد جميل خياط: «الإعداد الروحي والخلقي للمعلم والمعلمة»، ص(٢٣).

تتوفر في معلمة اليوم كل صفة حسنة من الدين والعلم والأخلاق والعدل والصبر حتى تكون على قدر المسؤولية أثناء تربيتها للفتاة وتعليمها الخير والصلاح والاستقامة، بحيث تعمل على غرس القيم والفضائل الحسنة في نفسيتها، وتُسهم في تربيتها تربية إسلامية وتساعدها (في اختيار المعارف المناسبة لحل المشكلات التي قد تواجهها، وتزويدها بالمهارات اللازمة لنقل هذه المعارف، وتدريبها على الأسلوب العملي في البحث والتفكير وإصدار الأحكام)[١].

وأمّا الجامعات فينبغي أن تتولى التدريس فيها معلمات من ذوات المؤهلات العالية والكفاءة والقدرة على التدريس الجامعي. وعند الضرورة المُلحة يتولى التدريس أساتذة الجامعات من ذوي القدرة والكفاءة مع مراعاة أن يكونوا من كبار السن ومن أهل الخير والصلاح - كما أشار إلى ذلك ابن الجوزي قديمًا[٢] - ويكون بينهم وبين الطالبات حجاب مع استخدام وسائل الاتصال الحديثة مثل الدوائر التلفزيونية وغيرها.

ويمكن أن يتلخص دور المعلمة في المدرسة والجامعة فيما يلي:

أ - يجب على المعلمة إعداد نفسها لتكون قدوة صالحة للمتعلمات، بحيث تتمسك بتعاليم الدين الإسلامي والأخلاق الإسلامية والآداب العامة، والتحلي بالصبر والعدل حتى يمكنها أداء واجبها المنوط بها على الوجه الأكمل.

---

(١) وفاء الرشيد: «كيف تطور المعلمة نفسها؟»، ص(٤٥).

(٢) انظر: ص(١٠٢) من هذه الدراسة.

ب - لا بد أن تكون على قدر من العلم والمعرفة والثقافة حتى تؤدي دورها على الوجه المطلوب منها بكل صدق وأمانة.

جـ - الإعداد الجيد للدروس العلمية والتربوية، والعناية بصياغة الأهداف السلوكية وتطبيقها في الواقع التربوي والتعليمي.

د - الاهتمام بتربية المتعلمات تربية إسلامية نابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وهدي السلف الصالح وعلماء الأمة المشهود لهم بالعلم والفضل.

هـ - العناية باستخدام الوسائل والأساليب المؤثرة في المتعلمات، وتنويعها حتى تؤتي العملية التعليمية ثمارها المرجوة منها.

و - المشاركة في الأنشطة المختلفة بدور فاعل ومؤثر حتى تفيد المتعلمات في المجالات التي تناسب ميولهن وقدراتهن.

ز - يجب على المعلمة مراعاة الفروق الفردية عند تربية الطفلة وتعليمها، لأن لدى كل طفلة استعدادات فطرية معينة، وقدرات عقلية خاصة من الفهم والإدراك والتفكير، مما يتطلب النظر لها من هذه الزاوية أثناء العملية التعليمية.

ويجب مراعاة تلك الفروق في جميع المراحل الدراسية المختلفة.

ح - ينبغي للمعلمة تطوير نفسها وقدراتها الذهنية والمعرفية باستمرار، لمواكبة التقدم الحضاري الذي يشهده العالم.

ط - يجب أن تكون أستاذة الجامعة على قدر واسع من الثقافة والعلم والإطلاع والإلمام بواقع مجتمعها وما تحتاجه تلميذاتها، كما يجب أن تكون لديها القدرة على حل المشكلات العلمية والعملية التي تواجه

تلميذاتها. ويجب أن تُعد نفسها للقيام بدورها الجامعي المتمثل في التدريس والبحث العلمي بشكل أساسي.

٤ - المنهج:

لقد أشار ابن الجوزي إلى المنهج التعليمي المناسب لتربية المرأة وتعليمها[١]، ومن خلال ذلك يمكن القول: إن المنهج السليم لتربية المرأة وتعليمها إنما هو المنهج الشامل المتكامل الذي يراعي متطلبات طبيعتها، ويوازن بين حاجياتها المختلفة. ولذا فعند الشروع في وضع المنهج التعليمي للمرأة ينبغي مراعاة الضوابط التالية:

أ - اختيار القائمين على وضع المناهج وتطويرها من أهل العلم والخير والصلاح وطول الخبرة في تربية المرأة وتعليمها.

ب - مراعاة خصائص المرأة واختلافها عن الرجل في الطبيعة العقلية والنفسية والجسدية، وبالتالي فإن المنهج التعليمي يجب أن يكون مناسبًا لتكوينها وطبيعتها، لأن (الفتاة تحتاج في حياتها العملية بعد التخرج إلى ما لا يحتاج إليه الفتى، فهي مُهيأة بفطرتها وخَلقها لتكون زوجة وأمًّا)[٢]، تقول سهيلة زين العابدين: (إن التربية التعليمية التي ركزت على إعداد المرأة للوظيفة التكسبية، وأهملت إعدادها كأم وكزوجة تجاهلت هاتين الوظيفتين الخطيرتين وساوت بينها وبين الرجل في مناهج التعليم، مما جعل المرأة تتمرد على أنوثتها ووظيفتها الطبيعية، كما ترتب على هذا الخطأ انتشار التعليم المختلط)[٣].

---

(١) انظر: ص(١٣٦ - ١٣٩) من هذه الدراسة.

(٢) مصطفى السباعي: «المرأة بين الفقه والقانون»، ص(٣٣).

(٣) سهيلة زين العابدين: «دور المرأة في وضعنا الراهن»، ص(٥٨ - ٥٩).

جـ - ينبغي أن تكون مصادر المواد الشرعية والتربوية هي القرآن والسنة النبوية وهدي السلف الصالح وأقوال علماء الأمة، وآراءهم الشرعية والتربوية.

د - من أهم الأسس التي ينبغي أن يراعيها واضعو المناهج إيجاد صلة بين الحياة المدرسية للتلميذات، والحياة الخارجية، بحيث تكون هناك علاقة بين المادة التي يتعلمنها في المدرسة وشؤون الحياة الأخرى(١).

هـ - ينبغي أن يُصاغ المنهج التعليمي بطريقة حديثة بحيث يُنمي جوانب التفكير والفهم والإبداع لدى الفتاة، مع تنويع الأساليب التربوية والتعليمية المبتكرة.

وتأسيسًا على ذلك فإن المنهج التعليمي لا بد أن يراعي مراحل نمو المرأة في جميع المراحل التعليمية، وهي كالتالي:

رياض الأطفال:

يجب أن يحتوي المنهج على بعض التوجيهات التربوية في رياض الأطفال، مثل أهمية الإيمان بالله وبرسوله ﷺ وتعويد الطفلة على الصلاة ومكارم الأخلاق مثل الصدق والعفاف، وتهيئتها لتكوين علاقات اجتماعية سليمة والبدء في تنمية الحس الاجتماعي.

التعليم الابتدائي:

التعليم الابتدائي هو أهم مراحل التعليم (لأنه قاعدة السلم التعليمي، والمصدر الأساسي لجميع مراحل وأنواع التعليم)(٢). ولذا

---

(١) محمد عطية الأبرشي: «الاتجاهات الحديثة في التربية»، انظر: ص(٢٧١).

(٢) زينب محمد فريد: «تعليم المرأة العربية في التراث وفي المجتمعات العربية المعاصرة»، ص(٨٦).

فمن الضروري أن تتعلم الطفلة عددًا من المواد والمعارف الأساسية قبل أن تصل إلى سن البلوغ، وأهم المواد المنهجية القرآن الكريم الذي (ينبغي أن يكون أساسًا تدور عليه رحى التربية في المراحل السابقة للتعليم الجامعي ونحوه، كما كان عليه الحال في عصور الإسلام الأولى)[١] ويجب أن يحتوي المنهج الدراسي- إلى جانب المقررات الأخرى- على مواد التفسير والتوحيد والفقه مع التركيز على الأمور الفقهية والتربوية الخاصة بالمرأة، وعلى جملة من الأخلاق والآداب الاجتماعية الأساسية مثل الصدق والحياء وآداب الأكل والشرب وآداب الاستئذان وغيرها، كما ينبغي تعليمها مبادئ اللغة العربية مثل القراءة والكتابة لأن (اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرًا قويًّا بينًا)[٢]. مع ضرورة أن تعرض المناهج بأساليب تربوية مختلفة تناسب هذه المرحلة، بحيث تنمي التفكير والعمليات العقلية الأخرى. كما يجب الاهتمام بمناهج المواد الأخرى مثل اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والمواد العلمية وأن تحتوي على لمسات تربوية ومعرفية.

ويجب مراعاة الفروق الفردية عند صياغة المنهج واختيار الموضوعات، لأن لدى كل طفلة استعدادات فطرية معينة تضع حدودًا معينة لمستوى النمو، مما يتطلب النظر للأطفال من هذه الزاوية، بحيث يقدم لهم التعليم المناسب في الكم، والنوع والطريقة.

المتوسط والثانوي:

إذا التحقت الطالبة بالمرحلة المتوسطة فإن المنهج التعليمي

---

(١) أحمد محمد البيلي: «التصور الإسلامي لمناهج التربية والتعليم»، ص(١٥).

(٢) محمد حامد، وخولة عبد القادر: «تربية الأطفال في رحاب الإسلام في البيت والروضة»، ص(٣٢٦).

والتربوي للمواد الشرعية والتربوية ينبغي أن يحتوي على المواد والموضوعات التي ذُكرت في المرحلة الابتدائية، ولكن بشكل أوسع من حيث المقررات الدراسية، مع إعطاء القرآن الكريم وتفسيره أهمية خاصة (وربطه بالحياة المعاصرة، عن طريق إخضاع الظواهر المختلفة لمنطق القرآن لا إخضاع النص القرآني لتلك الظواهر إذ هو الأصل وهي ليست كذلك)[١]، كما يجب أن يحتوي المنهج على تعليم سنة الرسول ﷺ وسيرته مع أصحابه وزوجاته مع التركيز على الجوانب التطبيقية في حياة التلميذات العملية. ويجب- كذلك- تعليم العقيدة الصحيحة والعمل على ترسيخها في نفوس الطالبات.

ويمكن أن تقرر مادة في المرحلة المتوسطة تحت مسمى (صور من سير الصالحات) بحيث تدور محاورها حول عدد من قصص النساء الصالحات، ويكون لها أهداف متعددة بحيث تُنمي الجوانب الإيمانية والمعرفية والخلقية والاجتماعية لدى المتعلمة. كما ينبغي أن يحتوي المنهج على موضوعات تُنمي الشعور الاجتماعي لدى الفتاة وتُبرز لها أهمية الروابط الاجتماعية والأخلاق الفاضلة والآداب العامة في الحياة العملية.

كما ينبغي أن يحتوي المنهج في نهاية المرحلة المتوسطة والمرحلة الثانوية على تعليم الفتيات حقوق الزوج والحقوق الواجبة لها عليه، ومسؤولية الاهتمام بالأولاد وبالمنزل وغير ذلك من أسس الحياة الزوجية، نظرًا لأهميتها في استقرار وسعادة المرأة في حياتها.

---

(١) عبد الله الشبانة: «المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية»، ص(٢٣٢).

التعليم الجامعي:

المرحلة الجامعية مرحلة مهمة في حياة المرأة، حيث يتمّ فيها إعداد العالمات والطبيبات والممرضات والمربيات والمعلمات والمتخصصات في تربية الفتاة وغير ذلك، ولذلك فإن منهج المرحلة الجامعية ينبغي أن يحتوي على الآتي:

* تدريس موضوعات أكثر عمق ودقة في جميع مجالات تربية المرأة المختلفة من التربية الإيمانية والمعرفية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.
* يمكن أن تدرس الطالبات في كليات التربية مادة تحت مسمى (تربية المرأة في الإسلام) بحيث تركز على تربية المرأة ومكانتها في الإسلام.

ويمكن أن تدور محاورها حول ما يلي:

* نظرة الإسلام للمرأة ونظرة الأديان الأخرى لها.
* مصادر وأهداف تربية المرأة في الإسلام.
* أساليب ووسائل تربية المرأة.
* مجالات تربية المرأة في الإسلام.
* آراء العلماء والمفكرين المسلمين في تربية المرأة، من أمثال ابن الجوزي.
* تربية المرأة في العصر الحديث.
* ينبغي أن تركز بحوث الطالبات على ما يحتاجه واقع المرأة

المعاصرة من دراسة المشكلات الاجتماعية والأخلاقية المعاصرة وغيرها، مثل الطلاق والعنوسة وانتشار بعض الأخلاقيات السيئة بين الفتيات، ثم محاولة وضع حلول عملية لها.

* يفترض أن تقوم الجامعات والجمعيات الخيرية بدورات تدريبية مركزة ودقيقة للفتيات المقبلات على الزواج، بحيث تتعلم الفتاة - من خلالها - كثيرًا من الأمور التي تحتاجها في حياتها الزوجية من تعاملٍ وتحملٍ للمسؤولية وغير ذلك، وهذا يسهم في نجاح الحياة الزوجية بقدر كبير.

تعليم الكبيرات والتعليم المستمر:

ينبغي أن يكون المنهج التعليمي ملبيًا لحاجات ورغبات المرأة حتى تكون قادرة على الاستفادة من معرفتها لإنماء نفسها وتربية أبنائها وبناتها والمساهمة في تطوير مجتمعها، ويمكن توضيح بعض الضوابط الأساسية عند وضع المنهج التعليمي للكبيرات من خلال ما يلي:

١ - مراعاة حاجة المرأة إلى الإعداد الإيماني والخلقي والاجتماعي من أجل أن تكون على قدر من الفهم لوظائفها المختلفة في الحياة وأبعاد كل وظيفة وكيفية القيام بها.

٢ - مراعاة حاجة المرأة (إلى اكتساب العقلية العلمية حتى تصبح قادرة على فهم الأسباب الحقيقية لكل ما يدور حولها من ظواهر، وتكون قادرة على إيجاد حلول لما تتعرض له من مشكلات معتمدة على التفكير العلمي)[1].

(١) مسارع الراوي: «دراسات حول محو الأمية وتعليم الكبار في الوطن العربي»، ص(١٩٧).

٣ - مراعاة حاجة المرأة إلى (رفع المستوى التعليمي والثقافي باكتسابها القدرة على التعلم الذاتي مع الاستمرار فيه، وهذا يؤدي إلى رفع المستوى الاجتماعي للمرأة عن طريق تركيز الثقة بالنفس، حيث إن نظرة المجتمع للإنسان المتعلم غيرها للجاهل)(١).

وبناء على ذلك فإن المنهج التعليمي ينبغي أن يكون متكاملًا وشاملًا لكل ما تحتاجه المرأة في حياتها الدينية والاجتماعية والخلقية. كما يجب أن يحتوي منهج تعليم الكبيرات على المفاهيم الأساسية والموضوعات المهمة في واقع المرأة وحياتها الاجتماعية، وإعطاؤها مفاتيح وطرق التعليم الذاتي لتنمية نفسها وتعليمها.

وخلاصة القول: إنه يجب الرجوع إلى المصادر الأساسية من القرآن والسنة وهدي السلف - رضوان الله عليهم - عند إعداد المناهج الشرعية والتربوية وغيرها، والحرص عليها من أجل تربية المرأة تربية إسلامية سليمة، ومن أجل تجسيد تعاليم الإسلام السامية في نفسيتها، وحتى تكون تلك المناهج مجالًا للممارسة الفعلية في كل ميادين الحياة. كما ينبغي الاستفادة من تجارب العلماء والمفكرين والخبراء القدامى والمعاصرين عند وضع المناهج الدراسية وإعدادها.

ويجب الاستفادة من معطيات الحياة المعاصرة ومنجزات الحضارة الحديثة بشرط ألا تتعارض مع تعاليم الإسلام وقيمه ومبادئه ومصادره الأساسية، لأن لدى الأمم الأخرى تجارب متعددة في التربية والتعليم وغيرها، ولذلك فلا يحق لنا أن نترك ما يُفيدنا في حياتنا العملية وواقعنا

(١) مسارع الراوي: «دراسات حول محو الأمية وتعليم الكبار في الوطن العربي»، ص(١٩٧ - ١٩٨).

المعاصر، فالحكمة ضالة المؤمن، ومع ذلك فلا ينبغي أن نجري وراء ما يفعله الآخرون على حساب ديننا وقيمنا وشرعنا، لأن قضية المرأة من القضايا الحساسة التي يركز عليها أعداء الإسلام في هذا العصر من أجل بث ما يريدونه في المجتمعات الإسلامية.

٥ - المباني المدرسية والجامعية:

يجب أن تكون المباني المدرسية والجامعية مهيَّأة ومُعدة لتعليم المرأة إعدادًا جيدًا بحيث تكون مناسبة للوفاء باحتياجات المنهج الدراسي وأغراضه التربوية، وأن يتوفر فيها سبل الحماية والأمن من أي أخطار صحية أو غيرها، وأن تكون مجهزة بأحدث الوسائل والتقنيات الحديثة المناسبة لتعليم المرأة[١].

ويجب أن تكون المباني الدراسية للبنات منفصلة عن أماكن تعليم البنين بحيث لا يكون هناك اختلاط فيما بينهم، سواء في مراحل التعليم العام أو التعليم الجامعي أو الدورات التدريبيّة، لأن الاختلاط محرم في الشريعة الإسلامية، ولأنّ هناك اختلافًا كبيرًا في الطبيعة بين الرجل والمرأة في التكوين العقلي والجسمي والوجداني، وذلك يؤيد مبدأ عدم الاختلاط في التعليم بين البنين والبنات في الدراسة بكافة مراحلها؛ ولأن (ذكاء المرأة يبدو في آن واحد أوسع وأضعف قابلية للمحاكمة العقلية الخالصة، وأمرن وأرهف، وأكثر خضوعًا على آية حال من ذكاء الرجل للنزعة التلقينية وللحياة المدرسية)[٢]. ولذلك نجد أن من المربين

(١) خالد بن عبد الله دهيش: «رؤى حول مدرسة المستقبل للبنات بالمملكة العربية السعودية»، انظر: ص(٢ - ٣).

(٢) رونيه أوبير: «التربية العامة»، ص(٥٥٤).

الغربيين من يؤكد على عدم الاختلاط في التعليم نظرًا لوجود الفوارق الطبيعية بين الجنسين، ولما لاحظوه من خلال واقعهم الذي يعيشونه، تقول باردي - وهي مديرة مدرسة ثانوية في فرنسا -: (أفلا ينهض خطر مؤكد من تعدد الإثارات والمحاولات في مرحلة المراهقة القلقة... في الوقت الذي تمس الحاجة عندهم إلى الجو الهادئ الذي ييسر لهم استخدام ينابيع ذكائهم وثروات العلوم التي يتلقونها)[١]. وينقل رونيه أوبير عن فورستر قوله: (أفلا نخشىٰ أن يتم التشابه بين الجنسين على مستوى أدنى، فتفقد الفتيات الحيطة والنعومة، ويفقد الفتيان العزم والصراحة، أفلا يحسن أيضًا أن نحفظ للحب وللزواج كل جدتهما وكل سحرهما، بأن نبقي المراهقين من الجنسين بعيدين بعضهما عن بعض)[٢].

وبناءً على ذلك، فإن الفتيات بحاجة ماسة للجو الذي يناسب طبيعتهن، من البيئة المدرسية، والمعلمات والوسائل التعليمية بعيدًا عن الفتيان.

(١) رونيه أوبير: «التربية العامة»، ص(٥٦٤ - ٥٦٥).

(٢) المرجع السابق، ص(٥٦٥).

ثالثًا: دور المسجد في تربيــة المــرأة

للمسجد دور كبير في توعية المسلمين بأمور دينهم ونشر الخير والعلم بين الناس، فهو المؤسسة التربوية والتعليمية الأولى عند المسلمين، يقول أحمد شلبي: (لقد بدأ التعليم الإسلامي في المسجد ولا نزاع أن المسجد كان مفتوحًا للناس جميعًا)[١]، ولقد كان المسجد في عهد النبوة وعصور الإسلام الأولى منطلق الدعوة إلى التوحيد، ومصدر إشعاع فكري وأخلاقي وتربوي وأدبي واجتماعي للمسلمين[٢].

وللمسجد دور تربوي كبير في تربية المرأة في هذا العصر ووظائف متعددة رغم تعدد قنوات العلم والتربية، ويمكن توضيح أهم الوظائف التربوية التي ينبغي على أئمة المساجد والمسؤولين عنها القيام بها من أجل المساهمة في تربية المرأة المسلمة من خلال الآتي:

أ - تخصيص أماكن للنساء في المساجد لأداء الصلوات والإفادة من الدروس والمحاضرات والتوجيهات بحيث يكنّ في معزل عن الرجال، لقول النبي ﷺ: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»[٣].

---

(١) أحمد شلبي: «التربية والتعليم في الفكر الإسلامي»، ص(٢٩٦).

(٢) عبد الله الطيار: «الصلاة»، ص(٣٨٤).

(٣) البخاري: «صحيح البخاري»، ص(٣٠٥)، رقم (٨٥٨)، ومسلم: «صحيح مسلم»، ج١، ص(٣٢٧)، رقم (٤٤٢).

ب - إعداد الخطب والمحاضرات والندوات التي تدور حول تربية المرأة في جميع مجالات الحياة بحيث تتناول تلك الموضوعات بأسلوب مبسط ومتنوع يناسب جميع فئات المجتمع، ويتم من خلالها توضيح مكانة المرأة في الإسلام، وإبراز آراء العلماء المسلمين في تربيتها وتعليمها.

ج - طرح القضايا الدينية والخلقية والاجتماعية والعلمية التي تناسب المرأة مع الاهتمام بالتربية الزوجية وتوضيح كل ما تحتاجه المرأة بصفتها الزوجة والأم المربية للأجيال.

د - المساهمة في حل المشكلات التي تواجه المرأة المسلمة في هذا العصر، وتوعية المرأة بما يدور حولها من مخاطر تهدف إلى انسلاخها من دينها مثل: الدعوة إلى نزع الحجاب والاختلاط وغير ذلك.

هـ - حث أولياء الأمور لتسهيل زواج بناتهم وأبنائهم وتوعيتهم بالأخطار المترتبة على تأخير زواجهم أو وضع العقبات التي تحول بينهم وبين الزواج.

و - المساهمة في فتح حلقات تحفيظ القرآن الكريم للمرأة في القسم النسائي وتشجيعها ودعمها، مع الاهتمام بفهم القرآن الكريم وتفسيره، والتركيز على الأمور الشرعية والتربوية المتعلقة بالمرأة، وإسناد التعليم في تلك الحلقات للمعلمات ذوات الكفاءة العلمية والتربوية المطلوبة.

رابعًا: دور المجتمع في تربيــة المــرأة

يتحمل المجتمع عبئًا كبيرًا في تربية المرأة وإعدادها وتسهيل أمور زواجها، ولذلك ينبغي على أفراد المجتمع المحافظة على تربية أبنائهم وبناتهم تربية إسلامية سليمة. وعلى أعيان المجتمع في كل حي وقرية ومدينة العمل على تهيئة سبل الزواج وتسهيلها أمام البنين والبنات، والتناصح فيما بينهم وإصلاح علاقاتهم الاجتماعية. والمساهمة في إنشاء مؤسسات اجتماعية تُعنى بشؤون المرأة وعلاج مشكلاتها في ظل التطورات المعاصرة.

ويمكن القول: إن مجمل آراء ابن الجوزي في تربية المرأة توحي بأنه يجب أن يراجع أفراد المجتمع أنفسهم في منهجية التعامل مع المرأة في هذا العصر؛ حيث إن بعضًا منهم ينظرون إليها نظرة دونية قاصرة، فربما تُحرم من حقوق كثيرة مثل الميراث، وحق التملك، وعدم إبداء الرأي والمشورة وغير ذلك، وفي الجانب الآخر نجد آخرين متساهلين في أوامر الله ونواهيه، فمنهم من يدعو إلى إباحة الاختلاط والتبرج والسفور وغير ذلك، ومنهم من يُقصّر في تربية أولاده وبناته تقصيرًا كبيرًا يؤثر في توجهاتهم وسلوكياتهم ومستقبلهم العملي.

إن المجتمع الإسلامي يجب أن يضع نصب عينيه أن الله ﷻ قد كرّم

المرأة ورفع قدرها بالإسلام مثل الرجل، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، يقول البيضاوي في تفسير «بعضكم من بعض»: «لأن الذكر من الأنثى والأنثى من الذكر، أو لأنهما من أصل واحد، أو لفرط الاتصال والاتحاد، أو للاجتماع والاتفاق في الدين»[١].

وبناءً على ذلك فالواجب على أفراد المجتمع أن يتعاملوا مع المرأة على أساس أنها إنسان مسلم له حقوق وواجبات نص عليها القرآن الكريم والحديث الشريف، كما يرى إحسان الأمين أنه يجب علينا أن (نعيد النظر في واقعنا الحياتي الذي يقع تحت موروثات تاريخية عتيقة أو موجات ثقافية وإعلامية جديدة، نعيد النظر في الأفكار والأعمال لنعيد صياغتها وتربيتها كما يريد الله تعالى منا)[٢].

والواجب عليهم - أيضًا - أن يتعاملوا معها على أساس من الاحترام والتقدير والعدل، بدايةً من والديها وأقاربها وزوجها ونهاية بجميع أفراد المجتمع، لأن (احترام الرجل للمرأة في الهيكل العام في المجتمع، ثم ممارسة هذه القيمة تطبيقًا عمليًا في بيته، سوف يُمكن المرأة من الاضطلاع بدورها بصورة صحيحة)[٣].

(١) البيضاوي: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، ج٢، ص(٦٢).
(٢) إحسان الأمين: «المرأة أزمة الهوية وتحديات المستقبل»، ص(١٧٦).
(٣) آمنة محمد نصير: «المرأة المسلمة بين عدل التشريع وواقع التطبيق»، ص(٤٣).

خامسًا: مسؤولية المرأة تجــاه نفسهــا

إذا أصبحت المرأة ناضجة مُكلفة فإنه من الواجب عليها أن تُسهم في بناء شخصيتها وضبط سلوكها وتفعيل دورها في الحياة من خلال الآتي:

أ - تعويد نفسها على إقامة شعائر الله من الفرائض والواجبات والنوافل والأذكار - بحسب استطاعتها -، لأن في الشعائر التعبدية إحكامًا للصلة بين المرأة وربها وترسيخاً للإيمان في نفسها[(١)]، كما يجب عليها اجتناب الوقوع في المحرمات والشبهات، يقول أبو بكر الجزائري: «إن من أهم مطالب الكمال الروحي للمرأة المسلمة، والطريق الموصل إليه وإلى الحصول عليه يتمثل في الإيمان الصحيح الكامل، والعمل الصالح بعد التخلي عن الشرك وكبائر الإثم»[(٢)].

ب - الحرص على تعلّم كتاب الله وفهمه، وحفظ ما تستطيع منه عن طريق الالتحاق بحلقات التحفيظ، والحرص على تعلّم سنة النبي ﷺ وهدي السلف الصالح والعمل بما فيها، والاطلاع على سير الصالحات ومحاولة الاقتداء بهن حتى يكن نبراسًا لها إلى طريق الخير، لأن «القدوة تؤثر تأثيرًا كبيرًا في تكوين شخصية الفرد وصقلها حيث الإنسان ميال بطبعه إلى التقليد والمحاكاة»[(٣)].

---

(١) هاشم علي: «التربية الذاتية من الكتاب والسنة»، انظر: ص(٨٢).

(٢) أبو بكر الجزائري: «المرأة المسلمة»، ص(١٠٩).

(٣) هاشم علي: «التربية الذاتية من الكتاب والسنة»، ص(١١٦).

جـ - محاولة تنمية جوانب شخصيتها الدينية والأخلاقية والمعرفية والاجتماعية عن طريق العلم والمعرفة والإفادة من كل الوسائل المتاحة لها في هذا العصر.

د - إقامة روابط اجتماعية وثيقة مع والديها ومحارمها وبنات جنسها، والمساهمة في غرس الشعور الاجتماعي السليم لدى أولادها، مع تجنب كل ما يُفسد الشعور الاجتماعي لديها أو لدى أولادها.

هـ - محاولة بناء حياة زوجية سعيدة عن طريق معرفة آداب العشرة الزوجية وحقوق الزوج وتطبيقها في الواقع، والحرص على طاعة الزوج في غير معصية الله، وتجنب كل ما يثير الخلافات الزوجية، والصبر على حل المشكلات والخلافات وغيرها.

و - تربية أولادها على المنهج الإسلامي القويم، وتعويدهم على الفضائل والمحاسن ومحاولة ضبط سلوكياتهم وتهيئة القدوة الصالحة لهم.

ز - الموازنة بين وظائفها الأساسية ووظائفها الأخرى خارج المنزل، وإعطاء الأولوية للوظيفة الأساسية التي وُجدت من أجلها وهي وظيفة الزوجية والأمومة.

ح - إذا كانت المرأة تعمل خارج المنزل فعليها أن تراقب الله وتحرص على العمل المباح والكسب الحلال، ومراعاة عدم الوقوع في المحرمات، مثل الاختلاط أو النظر إلى الرجال أو كسب المال بطرق غير مشروعة.

سادسًا: دور الرجل في استقرار الحياة الزوجية

من خلال حديث ابن الجوزي عن العلاقات الزوجية[١] يمكن توضيح دور الزوج في استقرار الحياة الزوجية ونجاحها من خلال الآتي:

أ - يجب على المرء أن يختار الزوجة الصالحة المناسبة التي تعينه على الخير والصلاح، وتحفظ عرضه وماله، وتقوم على تربية أولاده على المنهج الإسلامي القويم.

ب - يجب أن يعلم الزوج عظم حق زوجته عليه، باعتبارهما خُلقا من نفس واحدة، وأصل واحد، وباعتبارها شريكة له في الحياة، ولذا فيجب أن تقوم الحياة الزوجية على أساس من المودة والرحمة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

جـ - ضرورة أن يستشف الزوج أسس تعامله مع زوجته من القرآن الكريم والسنة النبوية ومن أسلوب النبي ﷺ في تعامله مع زوجاته، ومن ثَم لا بد أن يكون على قدر من الوعي والفهم لحقوق الزوجة، وطبيعة الحياة الزوجية.

---

(١) انظر: ص(١٤٧) من هذه الدراسة.

د - يجب على الزوج أن يراعي طبيعة الزوجة وخصائصها؛ مثل مراعاة مشاعرها وعاطفتها القوية وغيرتها عليه، والتغيّرات النفسية والفسيولوجية التي تطرأ عليها عند الحيض والحمل والنفاس وغيرها.

هـ - ضرورة اتباع منهج القرآن الكريم وأسلوب النبي ﷺ عند نشوز زوجته أو معصيتها له، بحيث يتبع الأسلوب المناسب في علاج المشكلات المختلفة مع مراعاة حال المرأة وطبيعتها، لأن ما يصلح لبعض النساء لا يصلح مع غيرهن.

و - يجدر بالأزواج في هذا العصر عدم التسرع في الطلاق بسبب اختلافات قد تكون في معظم الأحيان بسيطة، والعمل على تجنب كل ما يؤدي بالحياة الزوجية إلى الاضطراب وعدم الاستقرار. تقول سهيلة زين العابدين: «فعدم إدراك كل من الزوجين حقه على الآخر، وعدم تهيئة الزوجين للحياة الزوجية، وعدم إدراك الزوج لحقوق المرأة وفهمه الخاطئ لبعض حقوقه ولبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية - في رأيي - من أهم أسباب ازدياد نسبة الطلاق في مجتمعنا في الآونة الأخيرة»[١].

---

(١) سهيلة زين العابدين: «مسيرة المرأة السعودية إلى أين؟»، ج٢، ص(٩٥).

سابعًا: دور وسائل الإعلام في تربيـــة المـــرأة

تُعدّ وسائل الإعلام في هذا العصر من أكبر المؤثرات في حياة الناس بجميع طبقاتهم وأجناسهم، وذلك لتطورها السريع وتنوعها. يقول خالد القضاة: «تلعب وسائل الإعلام دورًا مهمًّا في تربية الأجيال، فهي تؤثر في السلوك والأخلاق، ويعتمد نوع التأثير الذي تحدثه هذه الوسائل على نوعية البرامج التي تبثها»[1]، وعلى مدى متابعة أفراد المجتمع لها. وللأسف الشديد فإن معظم وسائل الإعلام العربي والإسلامي تُسهم بشكل سلبي في تربية المرأة المسلمة، ومن عرضٍ للبرامج الهدامة، والمسلسلات المشبوهة التي تؤدي إلى تقويض القيم والأخلاق والفضائل، والدعوة إلى تحرير المرأة واختلاطها بالرجال ونزع حجابها، ونبذ تعاليم الإسلام وقيمه، ومع ذلك فإنه يمكن أن يكون لها دور إيجابي في تربية المرأة وفق الآتي:

١ - الإذاعة والتلفاز:

وهي من أوسع وسائل الإعلام انتشارًا بين المجتمعات، وذلك لسهولة استعمالها في أغلب الأماكن، وقلة تكلفتها المادية، وطول مدة الإرسال فيها، ولا شك أن الإذاعة أوسع انتشارًا من التلفاز.

وبناءً على ذلك فإن الإذاعة والتلفاز يمكن أن تلعب دورًا فاعلًا في

---

(١) خالد القضاة: «المدخل إلى التربية والتعليم»، ص(٣٥١).

تربية المرأة وتوعيتها بجميع الأمور الشرعية والأخلاقية والمعرفية والاجتماعية والاقتصادية والطبيّة وغيرها. ويمكن أن يتمثل دورها الإيجابي في الآتي:

أ - صياغة الأهداف المناسبة لوضع البرامج الإذاعية بحيث تتوافق مع تعاليم الشريعة ومصادر التربية الإسلامية.

ب - دراسة التراث الإسلامي العلمي والثقافي من أجل استخراج آراء العلماء والمفكرين المسلمين في تربية المرأة، وإعداد برامج متنوعة عنها.

ج - ضرورة مراعاة طبيعة المرأة وخصائصها ومراحل نموها عند إعداد تلك البرامج، ومراعاة واقع المرأة ومجتمعها المعاصر، وليس معنى ذلك التساهل في تعاليم الشرع، وتمييع قضايا المرأة، كما يحدث في كثيرٍ من الإذاعات والقنوات الفضائية.

د - ضرورة مراعاة الضوابط الشرعية عند إعداد وعرض تلك البرامج، بحيث لا يكون فيه إخلال بتعاليم الشريعة الإسلامية، أو اختلاط الرجال بالنساء في الإذاعة والتلفاز، أو ظهور النساء على شاشات التلفاز.

هـ - يتم تخصيص برامج خاصة بالمرأة ومراعاة الأوقات المناسبة لعرضها وإعادتها في أوقات مختلفة من أجل أن تعم أكثر شرائح المجتمع وطبقاته، واختيار علماء متخصصين في الشريعة والتربية والاجتماع والاقتصاد والطب وغير ذلك، من أجل إعداد تلك البرامج مع تنوع أساليب عرضها بما يناسب الواقع المعاصر والمجتمع المسلم.

و - في ظل التطورات المعاصرة يمكن إنشاء إذاعات وقنوات إسلامية تهتم بأمور المجتمع المسلم وتركز على تربية المرأة المسلمة وتناقش قضاياها بموضوعية وحياد، وتعمل على إيجاد الحلول المناسبة لتلك القضايا في ضوء تعاليم الشريعة الإسلامية مع الاستفادة من آراء العلماء والمفكرين المسلمين، وغيرهم من العلماء والتربويين.

ز - لا بد من إعادة النظر في كثير مما يُعرض من برامج الإذاعات والتلفاز بحيث يتم استبعاد جميع البرامج التي تؤثر على المرأة وشخصيتها الإسلامية تأثيرًا سلبيًّا، وإعداد برامج بديلة مرتبطة بالتوجيهات التربوية الإسلامية.

ح - إعداد برامج خاصة للمرأة غير المسلمة باللغات المختلفة، من أجل دعوتها إلى الإسلام عن طريق توضيح نظرة الإسلام الصحيحة للمرأة وإبراز مكانتها فيه، وتوضيح آراء التربويين المسلمين في تربيتها.

ط - السعي إلى توضيح مكانة المرأة في الإسلام وبيان حقوقها الشرعية والتربوية وغيرها للعالم، من أجل تصحيح نظرة العالم إلى حال المرأة في الإسلام، والعمل على مواجهة التحديات المعاصرة التي تواجهها في جميع المجالات.

٢ - الصحف والمجلات:

للصحف والمجلات تأثير واسع على كثير من طبقات المجتمع، وذلك لتنوعها وسهولة انتشارها، وتعدد موضوعاتها، ولكن لم يُستفد منها في تربية المرأة على الوجه المطلوب رغم وجود بعض المجلات المتخصصة في شؤون المرأة.

ويمكن عرض طرق الاستفادة منها من خلال الآتي:

أ - ضرورة إنشاء مجلات خاصة بالمرأة المسلمة، مع تخصيص موضوعات فيها لكيفية تربية المرأة، وتوضيح آراء العلماء والتربويين المسلمين في جوانب تربيتها، ومدى الاستفادة منها في معالجة قضايا المرأة المسلمة في الواقع المعاصر.

ب - ضرورة مشاركة العلماء والمربين في الصحف اليومية والمجلات المختلفة بمقالات تربوية تُعنى بشؤون المرأة وتربيتها وتعليمها، مع عرض آراء المفكرين المسلمين فيها، ومناقشة قضايا المرأة المعاصرة بأساليب حديثة.

٣ - الإنترنت:

تعد الشبكة العنكبوتية من أحدث وسائل الاتصال المعاصرة، وأوسعها تطورًا، وذلك يمكن الإفادة منها من خلال ما يلي:

أ - تخصيص مواقع على الإنترنت باللغة العربية واللغات العالمية الأخرى تُعنى بشؤون المرأة وتربيتها تربية إسلامية نابعة من مصادر التربية الإسلامية، بحيث يُستفاد من تلك المواقع في نشر تراث المفكرين المسلمين، وينبغي مشاركة ذوي الاختصاص فيها.

ب - تكوين فرق عمل من العلماء والمفكرين والتربويين والمهندسين للقيام بالإشراف على تلك المواقع، بحيث تكون على قدر عالٍ من الدقة والإتقان من أجل تحقيق الأهداف المرجوة منها.

جـ - الاستفادة من جميع تقنيات الإنترنت مثل ما يُسمى بـ «غرفة البالتوك» و«البريد الإلكتروني» في نشر الفكر التربوي الإسلامي، ونشر نظرة الإسلام للمرأة، وتوضيح حقوقها ومكانتها في الدين الإسلامي.

ثامنًا: عمل المرأة في الواقع المعاصر

من خلال آراء ابن الجوزي التربوية عن المرأة وحديثه عن الكسب الحلال للمرأة وحديثه عن خروج المرأة من المنزل[١] سوف أناقش قضية عمل المرأة في الواقع المعاصر، وهي من القضايا المهمة التي اختلفت فيها الآراء والاتجاهات. ويمكن توضيح ذلك من خلال:

١ - إن عمل المرأة الأساسي هو تحمل المسؤولية داخل المنزل باعتبارها زوجة وأمًّا ومربية لأولادها. يقول عمر الشيباني: «ولعله من الملاحظ بوضوح أن غالب الأنشطة التي تقوم بها المرأة في إطار وظيفتي الزوجية والأمومة يتم أداؤها داخل البيت فكأن الدائرة الأساسية لتأدية المرأة لوظائفها الطبيعية هو البيت، وذلك على خلاف الرجل الذي تكون دائرة نشاطه أساسًا خارج البيت والأسرة»[٢]؛ فعمل المرأة الرئيس يتلخص في تلك الوظيفتين اللتين لا تتقاضى عليهما أجرة من البشر؛ لأن الإسلام سما بها «سموًّا عاليًا وجعل وظيفتيها الفطريتين مجردتين من المظاهر المادية الزائلة، فهي تؤديها دون أن تقبض أجرًا ماديًّا يقابلها»[٣]، وهذا يدل على المكانة العالية التي تحتلها المرأة في

(١) انظر: ص(١٦٢ - ١٦٣) من هذه الدراسة.

(٢) عمر الشيباني: «من أسس التربية الإسلامية»، ص(٥٦٣).

(٣) سهيلة بن زين العابدين: «المرأة بين الإفراط والتفريط»، ص(٦٩).

الإسلام، فهي تنتظر الأجر والمثوبة من الله ﷻ كما أنها تحظى بالاحترام والتقدير، وقد جعل الإسلام لها مكانة مرموقة باعتبارها أمًّا وزوجة، وتكفّل لها بكل حقوقها الشرعية والدنيوية. وقد كرمها الله ﷻ إذ جعلها تتعامل مع أكرم خلق الله وهو الإنسان وطبع وظيفتها بالطابع الروحاني(١).

ولذلك فإن على المرأة أن تتمسك بتلك الوظيفة العظيمة التي اختارها لها خالقها ﷻ من أجل أن تسهم في تربية الأجيال تربية صالحة، وتقوم على رعاية أولادها ومنزلها وتحقق التعاون البنّاء في بناء أسرتها ومجتمعها، و« يجب أن تكون مفرّغة من كل ما يمكن أن يؤدي إلى تقصيرها في هذا المجال أو يقلل في إيجابيات مواقفها التربوية »(٢).

٢ - ورغم أن عمل المرأة الأساسي يتم داخل بيتها إلا أن ذلك لا يمنع أن تسهم في خدمة أسرتها ومجتمعها وأمتها خارج المنزل « طالما كان عملها هذا لا يتنافى مع طبيعتها ومع تكوينها الجسمي والنفسي ولا مع وظيفتها الأساسية في الحياة، وطالما تم أداء هذا العمل في إطار تعاليم الدين وآدابه التي فرضها على المرأة المسلمة، والتي من بينها حشمتها وعدم اختلاطها أو خلوتها بالرجال الأجانب ومحافظتها على شرفها وسمعتها وسمعة زوجها وأهلها وأسرتها وأخذ إذن زوجها أو ولي أمرها »(٣).

وهناك أمر يجب التنبه له عند الحديث عن عمل المرأة خارج المنزل، وهو « أن العمل في ذاته مشروع غير محرم على أحد ما دام في غير

(١) سهيلة زين العابدين: « المرأة بين الإفراط والتفريط »، انظر: ص(٧٠).

(٢) محمد بن سعد: « قوامة الرجل وخروج المرأة للعمل »، ص(١٠١).

(٣) عمر الشيباني: « من أسس التربية الإسلامية »، ص(٥٦٣).

معصية »[١]، إضافة إلى أن كثيرًا من النساء في هذا العصر لسن من الأمهات أو الزوجات، وذلك بسبب أنهن لم يتزوجن أو فقدن أزواجهن ولم ينجبن بعد، « وفي مثل هذه الحالات تزيد دواعي العمل الخارجي للمرأة المسلمة ولن تجد في تعاليم الدين وفي التفسيرات السليمة الواعية لنصوص الدين ما يمنعها من العمل الخارجي طالما كان هذا العمل متمشيًا مع طبيعتها ومع الآداب التي فرضها الإسلام على المرأة »[٢].

غير أنه يجب أن تكون هناك نظرة شمولية للموضوع من جميع جوانبه فيؤخذ في الاعتبار ضوابط الشريعة الإسلامية لعمل المرأة وخروجها من المنزل ومراعاة طبيعتها وخصائصها الجسيمة والعقلية والنفسية، وحاجتها وأسرتها إلى الكسب وكذلك حاجة المجتمع لوظيفتها، ومراعاة وضعها الاجتماعي المعاصر.

يقول إبراهيم الجوير: « إن الأصل هو عمل المرأة في بيتها ومراعاة احتياجات زوجها وأبنائها، أمّا الفرع وهو أن تخرج المرأة إلى العمل خارج منزلها وقت الضرورة أو عند احتياج المرأة للعمل بقصد التكسب وتحصيل قوتها أو بغرض خدمة المجتمع إذا احتاج المجتمع إليها وإلى خدمتها »[٣].

وينبغي مراعاة مدى توازن الفرص بينها وبين الرجل باعتبار أن عليه المسؤولية العظمى في النفقة والكسب والكدح في الحياة، لأن فتح الباب على مصراعيه بدون ضوابط الشرع يفتح بابًا من المشاكل لا حصر لها،

(١) البهي الخولي: « الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة »، ص(٢١٩).

(٢) عمر الشيباني: « من أسس التربية الإسلامية »، ص(٥٦٤).

(٣) إبراهيم الجوير: « عمل المرأة في المنزل وخارجه »، ص(٧٦).

إذ من المعروف أن «لقضية عمل المرأة في الغرب مشاكل اقتصادية اجتماعية لا تنتهي»[١].

ومن الأعمال المناسبة للمرأة في هذا العصر العمل في مجال التربية والتعليم لبنات جنسها من تدريس وإشراف ووظائف إدراية خاصة بالنساء، والعمل في مجال الطب والتمريض للنساء، مثل العمل في مستشفيات الولادة والأطفال مع الحرص على عدم اختلاطها بالرجال، وهذا يحتم على المجتمع التوسع في المستشفيات الخاصة بالنساء والأطفال.

ومن الأعمال المناسبة لها - أيضًا - الدعوة إلى الله بين بنات جنسها ومحارمها من إبداء النصح والإرشاد ونشر الوعي الثقافي والإسلامي وتبصيرهن بتعاليم الإسلام[٢]. ولقيام المرأة بالدعوة إلى الله آثار تربوية عليها، حيث تجعل منها رقيبة على نفسها في قولها وفعلها، وتؤدي إلى اختفاء كثير من الممارسات الخاطئة التي أخذت طابع الظاهرة في المجتمع النسائي بالذات[٣].

(١) البهي الخولي: «الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة»، ص(٢٠١).

(٢) أحمد العطاوي: «المرأة الداعية في العهد النبوي الشريف والعصر الحاضر»، انظر: ص(١٥٧).

(٣) أحمد أبابطين: «المرأة المسلمة المعاصرة، إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة»، ص(١٤٩).

تاسعًا: سبل مواجهة بعض التحديات التي تواجه المرأة المسلمة

من خلال مجمل آراء ابن الجوزي[١] يمكن القول: إن موضوع تحديات المرأة في هذا العصر يطرح إشكالات عديدة ترجع في عمقها إلى التطورات والتحولات التي عرفتها المجتمعات المعاصرة.

وإن من أبرز التحديات المعاصرة لتربية المرأة المسلمة في هذا العصر المؤتمرات العالمية التي تتعلق بشؤون المرأة، والتي توالت من أول اجتماع عُقد في (كوبنهاجن) في ٨ مارس عام ١٩٠٨م، مرورًا بالمؤتمر الدولي الثالث للسكان والتنمية في القاهرة عام ١٩٩٤م، ومما لفت الانتباه أن من ضمن قرارات هذا المؤتمر: الدعوة إلى حرية الجنس للمرأة، وإعادة صياغة وحدة المجتمع الأساسية من الأسرة إلى العلاقة بين أيّ طرفين، والمناداة بحرية الإجهاض وإن لم يكن هناك مبررات شرعية أو طبيّة، ثم جاء المؤتمر العالمي الرابع للمرأة في «بكين»، وكان من ضمن توصياته التأكيد على التعليم المختلط، والتشديد على الحرية الجنسية وتشريع الإجهاض، وغير ذلك من القرارات والتوصيات[٢].

ولعل ما تضمنته قرارات وتوصيات تلك المؤتمرات ما يدل على

---

(١) انظر: الفصل الثالث والرابع من هذه الدراسة.

(٢) صلاح الحارثي: «دور التربية الإسلامية في مواجهة التحديات الثقافية للعولمة»، ص(١٥٠، ١٥٦).

عظم التحديات التي تواجهها المرأة المسلمة في هذا العصر، حيث إنّ لأعداء الإسلام طرقًا متعددة في محاولة هدم تمسكها بدينها وكيانها حتى تفقد هويتها الإسلامية عن طريق بث أفكارهم ودعواتهم الهدّامة، ولذلك يجب العمل على مواجهة تلك التحديات بكل الوسائل الممكنة من أجل المحافظة على هوية المرأة المسلمة، وتحصين المجتمع من آثار وتبعات تلك المؤتمرات. ويمكن طرح بعض الأفكار التي تساعد في مواجهة تلك التحديات من خلال الآتي:

أ - الدعوة إلى مؤتمرات إسلامية عن المرأة المسلمة بهدف توضيح مكانتها في الإسلام وطرق تربيتها، ونظرة الإسلام إليها، وإبراز حقوقها التي كفلها الإسلام لها.

ب - توضيح آراء العلماء والمفكرين المسلمين في تربية المرأة المسلمة وتعليمها، مدعمة بالأدلة من الكتاب والسنة.

ج - مناقشة جميع الشبهات المطروحة حول المرأة مناقشات علمية موضوعية في ضوء الإسلام، وتوضيح نتائج ما يدعو إليه أصحاب تلك الشبهات والأفكار للعالم كله.

د - العمل على تنمية الإحساس لدى المرأة بالانتماء الإسلامي والاجتماعي والثقافي(١). وتربيتها تربية إسلامية صحيحة، وتبصيرها بالأخطار المحدقة بها، وسبل مواجهتها.

هـ - إجراء دراسات علمية لواقع المرأة المسلمة المعاصرة، والعمل

---

(١) بسيمة الحقاوي: «دور المؤسسات الرسمية والقطاع الأهلي في التصدي لتحديات الأسرة»، ص(٢٦٨).

على إيجاد حلول عملية لكل المشكلات والتحديات التي تواجهها.

وأخيرًا فإنه يجب أن تتكاتف الجهود بين أفراد المجتمع الإسلامي لمواجهة تلك التحديات التي تواجه المرأة المسلمة في هذا العصر بكل الوسائل المتاحة حتى تؤتي ثمارها المرجوة منها.

وبعد: فإذا كان هذا الفصل قد عرض لبعض الأفكار المستفادة من آراء ابن الجوزي التربوية في تربية المرأة المعاصرة، فإنه بذلك قد حاول الإجابة على السؤال الرابع والأخير من أسئلة الدراسة: **ما مدى الاستفادة من رؤية ابن الجوزي التربوية لتربية المرأة في الواقع المعاصر؟**

الخاتمة

أولًا : النتائج .

ثانيًا : التوصيات .

ثالثًا : المقترحات .

الخاتمـــة

وبعد استعراض آراء ابن الجوزي في تربية المرأة ومناقشتها، وتوضيح مدى الاستفادة منها في الواقع التربوي المعاصر، فيمكن أن تُختتم هذه الدراسة ببيان أهم النتائج والتوصيات والمقترحات التي توصلت لها، وهي كما يلي:

أولًا: النتــائج

في ضوء ما انتهت إليه الدراسة من فصول يتضح لنا أن هناك عددًا من النتائج على النحو التالي:

١ - أن الملجأ الحقيقي الذي يحمي الأمة الإسلامية، ويعيد حضارتها هو العمل بكتاب الله والسنة النبوية وهدي السلف الصالح وآراء العلماء الربانيين في جميع نظم الحياة، مما يدل على أصالة الفكر التربوي الإسلامي وصلاحه لكل زمان ومكان.

٢ - من خلال دراسة شخصية ابن الجوزي يتضح أنه كان شخصية مؤثرة، بمعنى أنه كانت له مشاركات فاعلة في المجتمع من حوله عن طريق الوعظ والتربية ومخالطة الناس، وهذا يؤكد لنا أن العلماء العاملين يجب أن يؤدوا دورهم في الحياة العملية.

٣ - أن ابن الجوزي اعتمد في آرائه التربوية لتربية المرأة على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وهدي السلف الصالح بشكل واسع،

وقد استعان بتجربته وخبرته في الحياة مما يجعل آراءه محل احترام وتقدير، لأنها منضبطة بضوابط الشرع وتمثل في غالبها الرؤية الإسلامية الصحيحة، ولذلك فإنها آراء واقعية قابلة للتطبيق في الواقع العملي.

٤ - لقد ركز ابن الجوزي على أهداف التربية الإسلامية الرئيسية عند عرضه لآرائه التربوية المتعلقة بالمرأة، مع حرصه على التكامل فيما بينها وتطبيقها في الواقع العملي.

٥ - أن تنوع الأساليب التربوية والتعليمية في العملية التربوية، والتركيز على الأساليب المؤثرة مثل القدوة والقصة يؤثر في المتعلمين تأثيرًا كبيرًا، ويؤدي إلى نتائج جيدة، ومردودات إيجابية في تربيتهم وتعليمهم.

٦ - المنهج الصحيح لتكوين شخصية المرأة المسلمة هو المنهج المتكامل الذي يراعي جميع جوانب الروح والجسد ويراعي خصائصها وطبيعتها، ولذا فلا بد من تنشئة المرأة على العلم والمعرفة والاهتمام بتعلم القرآن الكريم وحفظه لتؤسس على ذلك التربية الإيمانية المرتبطة بالله ﷻ واليوم الآخر، ومنها ننطلق إلى تربية النفس وتزكيتها من أجل الوصول إلى جيل من النساء الصالحات يتصفن بالخلق القويم والسلوك السوي، وذلك هو دور التربية الخلقية، وإذا ما تحسنت أخلاق المرأة وانضبط سلوكها ضمن المجتمع الإسلامي وجود جيل من النساء والرجال يتصف بكل صفة نبيلة، وذلك هو دور التربية الاجتماعية، وبذلك تكون الحياة دينًا والدين حياة فتتحقق غاية التربية الإسلامية في الفرد والمجتمع.

٧ - لقد ركز ابن الجوزي في التربية الخلقية للمرأة على غرس الأخلاق الفاضلة في نفسية الطفلة وتربيتها تربية إسلامية تستند على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والتحلي بما فيهما من أخلاق وفضائل، مع إعطاء الأولوية في تربية المرأة لأساسيات الأخلاق مثل: الحياء والعفة والصبر.

٨ - التربية الاجتماعية هي ميدان العلاقات الإنسانية والروابط السوية، ولذا يجب تنمية عواطف المرأة وشعورها الاجتماعي تجاه والديها وأولادها وزوجها ومجتمعها، وتحذيرها من كل ما يفسد ذلك الشعور الاجتماعي لديها، والعمل على تقوية الأواصر الاجتماعية بين أفراد المجتمع.

٩ - أن ميدان تربية المرأة في العصر الحديث يحتاج إلى تكاتف الجهود بين جميع مؤسسات التربية والتعليم حتى تؤتي التربية الإسلامية ثمارها المرجوة منها، إذ لا يمكن أن تستقل بالتربية مؤسسة واحدة، وغيرها يقف مواقف سلبية، أو تكون معول هدم.

ثانيًا: التوصيات

وفي ضوء نتائج البحث تتضح التوصيات التالية:

١ - من الأهمية بمكان التعرف على آراء المفكرين المسلمين التربوية، ودراستها دراسة علمية والاستفادة منها في الواقع المعاصر وفي المستقبل.

٢ - ضرورة أن تكون المصادر الأساسية للتربية في هذا العصر وفي كل عصر هي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وهدي السلف الصالح رضوان الله عليهم.

٣ - ضرورة العناية بالمرأة المسلمة وحفظ مكانتها في الإسلام، والحرص على إعطائها جميع حقوقها التي كفلها الإسلام في جميع مجالات الحياة.

٤ - ينبغي أن تجتمع جهود جميع المؤسسات التربوية والتعليمية من أجل العمل على تربية المرأة تربية إسلامية قويمة.

٥ - ضرورة إنشاء مركز للدراسات والبحوث التربوية على مستوى العالم الإسلامي، يُعنى بالبحوث في التراث الفكري والتربوي الإسلامي وترجمته والعمل على نشره، مع تخصيص قسم للدراسات التربوية عن المرأة المسلمة من القرآن والسنة وفكر علماء الإسلام من أمثال ابن الجوزي.

٦ - ضرورة إيجاد دراسات تربوية مؤصلة من الناحية الشرعية تُعنى

بشؤون المرأة، ووضعها في الوقت الحاضر، وكيفية تعاملها مع المستجدات المعاصرة.

٧ - العمل على تأليف دائرة معارف لتربية المرأة في الإسلام، تقوم بالتعريف بالتربية الإسلامية، ومصادرها، وأهدافها، وأساليبها، وآراء المفكرين المسلمين في تربية المرأة وتعليمها.

ثالثًا: المقترحات

من الموضوعات التي يمكن للباحثين أن يهتموا بدراستها ما يلي:

١ - يمكن أن تكون هناك دراسات تربوية في تراث ابن الجوزي، مثل النقد التربوي عند ابن الجوزي.

٢ - دراسة ملامح تربية المرأة في عصرين مختلفين مثل تربية المرأة في عصر صدر الإسلام والعصر الحديث (دراسة مقارنة).

٣ - دراسة تربية المرأة في الفكر التربوي الإسلامي.

* * *

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

الفهارس

أولًا : فهرس الآيـات .

ثانيًا : فهرس الأحاديث .

ثالثًا : المصادر والمراجع .

رابعًا : فهرس الموضوعات .

أولًا: فهرس الآيات

الآيـــة	رقمهـا	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾	١٥٥- ١٥٧	١٢٤
سورة آل عمران		
﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ﴾	٣٥، ٣٦	٦٤
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١٩٠، ١٩١	١٣٠
﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ﴾	١٩٥	٢٠٤
سورة النساء		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾	١	٦٣
﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾	٣٤	١٠٣
سورة المائدة		
﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾	٢	٧٣
سورة الأعراف		
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾	١٨٩	٦٣
سورة الأنفال		
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾	٢	١١١
سورة التوبة		
﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ﴾	١٠٠	٨٧

الآيـــة	رقمهـا	رقم الصفحة
سورة النحل		
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾	٤٤	٧
﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾	٥٨، ٥٩	١٧٢
﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾	٧٢	٦٣
﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾	٩٧	١٠٩
سورة الإسراء		
﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾	٢٣	٦٣
﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾	٣٢	١٦١
سورة المؤمنون		
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾	١٢، ١٤	٦٢
سورة النور		
﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	٣١	١١٦
سورة الروم		
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾	٢١	١٤٧
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾	٣٠	٧٠
سورة الأحزاب		
﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	٢١	١٨٤
سورة سبأ		
﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾	٦	٨٤
سورة ص		
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾	٢٩	٧

الآيــــة	رقمها	رقم الصفحة
سورة الزمر		
﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٩	١٢٩
سورة محمد		
﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	١٩	١١٠
سورة الذاريات		
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٧٨
سورة الطور		
﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾	٢٧	٩٣
سورة الحشر		
﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾	٧	١٨٤
سورة القلم		
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٤	٧٩
سورة المدثر		
﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾	٣٨	٧٣
سورة الشمس		
﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾	٦ – ١٠	٧٤
سورة التين		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	٤	٦١
سورة العلق		
﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾	١ – ٥	٨٥
سورة الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾	١	١١٠

ثانيًا: فهرس الأحاديث

طرف الحديث	رقم الصفحة
« إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه »	١٤٩
« إذا دعا أحدكم امرأته إلى فراشه فلم تأته لعنتها الملائكة »	١٠٢
« ألا يستحي أحدكم أن يجلد امرأته جلد العبد ثم يضاجعها؟ »	١٠٢
« أما لو أنّ أحدهم يقول حين يأتي أهله: بسم الله »	١٧٠
« إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه »	١٤٦
« إن الميت ليعذب في قبره بالنياحة عليه »	١٦٥
« أن امرأة دخلت على عائشة رضي الله عنها ومعها صبيان »	١٥٧
« إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها بلسانها »	١٥٨
« إن رجلًا سأل النبي ﷺ: أيّ الناس أحق بحسن الصحبة؟ »	١٤٦
« إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه »	٨١
« أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة »	٩٩
« الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة »	١٢١
« جاءت امرأة معها ابنتان لها تسألني فلم تجد عندي شيئًا »	١٤٣
« خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم »	٨٦
« دخلت امرأة النار في هرة ربطتها حتى ماتت فلم تطعمها »	١٥٩
« رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني فانطلقت معهما »	١٦١
« كان الرسول ﷺ يلعن القاشرة والمقشورة »	١٥٣
« كان خلقه القرآن »	١١٩

طرف الحديث	رقم الصفحة
« لا تمنعوا إماء الله مساجد الله »	٢٠١
« لا يخلو رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما »	١٣٥
« من ابتلي من هذه البنات بشيء »	١٤٤
« لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة »	٩٩
« ما أُعطي أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر »	١٢٥
« ما صافح رسول الله امرأة أجنبية »	١٦٣
« مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين »	٧٤
« مكتوب في التوراة من بلغت له ابنة اثنتي عشرة سنة »	١٤٨
« من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك »	١٦٤
« من أصبح والداه راضيين عنه، أصبح له بابان مفتوحان من الجنة »	١٤٥
« يا معشر النساء، تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار »	٦٧

ثالثًا: المصادر والمراجع

● **أولًا: القرآن الكريم وعلومه:**

١ - **القرآن الكريم.**

٢ - «**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**»: عبد الله بن عمر البيضاوي، دار الفكر، بيروت، (د. ت).

٣ - «**تفسير القرآن العظيم**»: إسماعيل ابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

٤ - «**جامع البيان في تأويل آي القرآن**»: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله ابن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، دار هجر، القاهرة، ١٤٢٢هـ.

٥ - «**زاد المسير في علم التفسير**»: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الطبعة الرابعة، المكتب الإسلامي، بيروت، (د. ت).

● **ثانيًا: الحديث الشريف:**

٦ - «**الأدب المفرد**»: محمد بن إسماعيل البخاري، الطبعة الرابعة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ.

٧ - «**سنن أبي داود**»: سليمان بن الأشعث أبو داود، الطبعة الأولى، دار الحديث، حمص - سوريا، ١٣٨٨هـ.

٨ - «**سنن الترمذي**»: محمد بن عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).

٩ - «**شعب الإيمان**»: أحمد بن الحسين البيهقي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ.

١٠ - «**صحيح البخاري**»: تحقيق: مصطفى ديب البُغا، الطبعة الخامسة، دار ابن كثير، بيروت، ١٤١٤هـ.

١١ - «**صحيح مسلم**»: مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، (د. ت).

١٢ - «**المستدرك على الصحيحين**»: محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

١٣ - «**مسند أحمد**»: أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، (د. ت).

● **ثالثًا: المعاجم:**

١٤ - «**التعريفات**»: علي بن محمد الجرجاني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٥ - «**المصباح المنير**»: أحمد بن محمد الفيومي، مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠١م.

١٦ - «**لسان العرب**»: محمد بن مكرم بن منظور، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٤١٧هـ.

● **رابعًا: الرسائل العلمية:**

١٧ - «**أبو الفرج ابن الجوزي آراؤه الكلامية والأخلاقية**»: آمنة محمد نصير، (رسالة دكتوراه منشورة)، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

١٨ - «**ابن الجوزي الإمام المربي، والواعظ البليغ والعالم المتفنن**»: عبد العزيز سيد الغزولي، (رسالة ماجستير منشورة)، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ.

١٩ - «**الأساليب المستنبطة من تعامل رسول الله ﷺ مع زوجاته وآثارها التربوية**»: حسين بن علي العمري، (رسالة ماجستير منشورة)، مطابع بهادر، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ.

٢٠ - « **آراء ابن الجوزي التربوية** »: (دراسة وتحليلًا وتقويمًا ومقارنة)، ليلى عبد الرشيد عطار، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، الطبعة الأولى، أمانة للنشر ميريلاند، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤١٩هـ.

٢١ - « **التربية الذاتية من الكتاب والسنة** »: هاشم علي أحمد، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الطبعة الأولى، دار الأهدل، مكة المكرمة، ١٤١٣هـ.

٢٢ - « **التربية العقلية عند ابن الجوزي** »: حليمة علي مصطفى أبو رزق، (رسالة ماجستير غير منشورة)، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ.

٢٣ - « **التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها** »: خليل بن عبد الله الحدري، (رسالة ماجستير منشورة)، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ.

٢٤ - « **تربية النبي ﷺ لأصحابه** »: خالد بن عبد الله القرشي، (رسالة ماجستير منشورة)، الطبعة الأولى، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ١٤٢١هـ.

٢٥ - « **الفكر التربوي عند الإمام أبي الفرج ابن الجوزي** »: صالح المغاوري المغازي، (رسالة ماجستير منشورة)، قسم أصول التربية، كلية التربية، جامعة طنطا، مصر، ١٤٠٩هـ.

٢٦ - « **الفكر التربوي عند برهان الدين الزرنوجي في كتاب: تعليم المتعلم طريق التعلم** »: فايزة عطا الله محمد آل عبد الله، (رسالة ماجستير غير منشورة)، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٤١٦هـ.

٢٧ - « **دور الأم في تربية الطفل المسلم** »: خيرية حسين صابر، (رسالة ماجستير منشورة)، الطبعة الثالثة، دار المجتمع، جدة، ١٤٠٩هـ.

٢٨ - « **دور التربية الإسلامية في مواجهة التحديات الثقافية للعولمة** »: صلاح بن ردود الحارثي، (رسالة ماجستير منشورة)، الطبعة الأولى، مكتبة السوادي، جدة، ١٤٢٤هـ.

٢٩ - « **كتاب المنتظم لابن الجوزي دراسة في منهجه وموارده وأهميته** » : (رسالة دكتوراه منشورة)، حسن عيسى الحكيم، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٣٠ - « **المرأة المسلمة المعاصرة، إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة** »: أحمد بن محمد أبا بطين: (رسالة دكتوراه منشورة)، الطبعة الثالثة، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٣هـ.

٣١ - « **مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة** » : علي خليل أبو العينين، (رسالة ماجستير منشورة)، الطبعة الثالثة، مكتبة إبراهيم حلبي، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ.

٣٢ - « **مشكلات المرأة المسلمة المعاصرة وحلها في ضوء الكتاب والسنة** » : مكية مرزا، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، الطبعة الأولى، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ١٤١٠هـ.

٣٣ - « **منهج الإسلام في تزكية النفس** »: أنس أحمد كرزون، (رسالة دكتوراه منشورة)، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٧هـ.

٣٤ - « **نحو تأصيل إسلامي لمفهومي التربية وأهدافها** »: بدرية صالح الميمان، (رسالة ماجستير منشورة)، الطبعة الأولى، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ.

● **خامسًا: الندوات والمؤتمرات:**

٣٥ - « **التصور الإسلامي لمناهج التربية والتعليم** »: أحمد محمد البيلي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، مكة المكرمة، ١٣٩٧هـ، الطبعة الأولى، مطابع جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ.

٣٦ - « **المرأة في نظر الإسلام ومكانتها في المجتمع الإسلامي** » بحث في ندوة « مكانة المرأة في المجتمع في الإسلام والمسيحية » (في الفترة ٢٤ - ٢٦ يونيو ١٩٩٢م، روما): عبد العزيز عثمان التويجري، مطبعة دار المعارف، الرباط.

٣٧ - « **دور المؤسسات الرسمية والقطاع الأهلي في التصدي لتحديات الأسرة** » : بسيمة الحقاوي، (دراسة في مؤتمر الأسرة العربية الأول في وجه التحديات والمتغيرات المعاصرة)، (في الفترة ■ - ٦ أيار ٢٠٠٢م، بيروت)، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٣٨ - « **رؤى حول مدرسة المستقبل للبنات بالمملكة العربية السعودية** »، ورقة مقدمة إلى ورشة العمل عن: « **مدرسة المستقبل... نموذج تطبيقي** » : خالد ابن عبد الله بن دهيش، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، في الفترة: ١٢ - ١٤ شوال ١٤٢١هـ.

● **سادسًا: المجلات والدوريات:**

٣٩ - دراسة بعنوان: «**من ملامح الفكر التربوي عند أبي الفرج ابن الجوزي**» في مجلة: «رسالة الخليج العربي»: حسن إبراهيم عبد العال، مكتب التربية العربي لدول الخليج، العدد الثالث عشر، السنة الرابعة ١٤٠٤هـ.

٤٠ - مقال بعنوان: « **ابن الجوزي** »، في مجلة: الهداية الإسلامية: محمد علي النجار، جمعية الهداية الإسلامية، القاهرة، العدد الثاني عشر، رجب ١٣٥٨هـ، ١٩٣٩م.

● **سابعًا: الكتب:**

٤١ - « **أبو الوليد محمد بن رشد الحفيد** » : عبد السلام الهراس، دراسة في كتاب: « **من أعلام التربية العربية الإسلامية** »، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٩هـ.

٤٢ - « **أحكام النساء** » : عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دراسة وتحقيق: علي محمد المحمدي[1]، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

---

(١) لقد حصل علي المحمدي على درجة الماجستير في تحقيقه للكتاب، ولم أضع الكتاب في الرسائل العلمية لأنه لابن الجوزي.

٤٣ - «**أسس التربية**»: إبراهيم ناصر، الطبعة الأولى، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمّان، الأردن، ١٤٠٨هـ.

٤٤ - «**أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية**»: عبد الحميد الصّيد الزنتاني، الطبعة الثانية، الدار العربية للكتاب، تونس - ليبيا، ١٩٨٤م.

٤٥ - «**أصول التربية الإسلامية**»: عبد الرحمن النحلاوي، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٠هـ.

٤٦ - «**أهداف التربية الإسلامية**»، ماجد عرسان الكيلاني، الطبعة الثانية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤١٧هـ.

٤٧ - «**أهداف التربية الإسلامية، مصادر اشتقاقها ومعايير صياغتها للمجتمع الإسلامي المعاصر**»: علي خليل أبو العينين: الطبعة الأولى، مكتبة الحلبي، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ.

٤٨ - «**إحياء علوم الدين**»: محمد بن محمد الغزالي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٤٩ - «**ابن الجوزي وتربية العقل**»: عبد الرحمن صالح عبد الله، الطبعة الأولى، شركة مكة للطباعة والنشر، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ.

٥٠ - «**اتجاهات معاصرة في التربية الأخلاقية**»: ماجد عرسان الكيلاني، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٢هـ.

٥١ - «**الأذكياء**»، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي، بيروت (د. ت).

٥٢ - «**الأهداف التربوية**»: محمد صالح بن علي جان، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ.

٥٣ - «**الإسلام وتربية الإنسان**»: إبراهيم سعادة، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٤٠٥هـ.

٥٤ - «**الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة**»: البهي الخولي، الطبعة الأولى، دار البشير (طنطا - مصر) ١٤٢٠هـ.

٥٥ - «**الإعداد الروحي والخلقي للمعلم والمعلمة**»: محمد جميل خياط، الطبعة الثالثة، دار القبلة، ١٤١٦هـ.

٥٦ - «**الإنسان في القرآن الكريم**»: عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية، بيروت، (د. ت).

٥٧ - «**آراء أبي بكر بن العربي الكلامية**»: عمّار طالبي، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، (د. ت).

٥٨ - «**الاتجاهات الحديثة في التربية**»: محمد عطية الأبراشي، مكتبة الحلبي، القاهرة، ١٣٦٢هـ.

٥٩ - «**البداية والنهاية**»: إسماعيل ابن كثير، الطبعة الأولى، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٨هـ.

٦٠ - «**التاريخ الإسلامي**»: محمود شاكر، الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامي، دمشق ١٤١١هـ.

٦١ - «**التربية الأخلاقية الإسلامية**»: مقداد يالجن، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٩٧هـ.

٦٢ - «**التربية الإسلامية**»: أحمد بن ناصر الحمد: الطبعة الأولى، دار إشبيليا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

٦٣ - «**التربية الإسلامية**»: أحمد شلبي، الطبعة السادسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٧م.

٦٤ - «**التربية الإسلامية**»: سليمان عبد الرحمن الحقيل، الطبعة الأولى، مطابع الشريف، الرياض، ١٤١٢هـ.

٦٥ - «**التربية الإسلامية للأولاد**»: عبد المجيد طعمة حلبي، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٦٦ - **« التربية الإسلامية: أصولها وتطورها في البلاد العربية »**: محمد منير مرسي، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦م.

٦٧ - **« التربية الخلقية »**: علي عبد الحليم محمود، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤١٨هـ.

٦٨ - **« التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام »**: أكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى، دار إشبيليا، الرياض، ١٤١٧هـ.

٦٩ - **« التربية العامة »**: رونيه أوبير، ترجمة: عبد الله عبد الدائم، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.

٧٠ - **« التربية عبر التاريخ »**: عبد الله عبد الدائم، الطبعة الخامسة، دار العلم، بيروت، ١٩٨٤م.

٧١ - **« التربية والتعليم عند ابن الجوزي »** عبد البديع عبد العزيز الخولي: دار عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٠هـ.

٧٢ - **« التربية والتعليم في الفكر الإسلامي »**: أحمد شلبي، الطبعة العاشرة، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٩٤م.

٧٣ - **« التربية والمتغيرات الاجتماعية في الوطن العربي »**: محمد عبد العزيز الذهب، الطبعة الأولى، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢م.

٧٤ - **« الحديث النبوي »**: محمد لطفي الصباغ، الطبعة السادسة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١١هـ.

٧٥ - **« الخصائص العامة للإسلام »**: يوسف القرضاوي، دار المعرفة، الدار البيضاء، المغرب، ١٣٩٧م.

٧٦ - **« الذيل على طبقات الحنابلة »**: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، الطبعة الأولى، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٢هـ، ١٩٥٢م.

٧٧ - **« الصلاة »**: عبد الله بن أحمد الطيار، الطبعة الأولى، دار الوطن، الرياض، ١٤١٦هـ.

٧٨ - « **الطب الروحاني** »: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٤٨هـ.

٧٩ - « **العبودية** »: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، الطبعة الثالثة، دار الأصالة، الإسماعيلية - مصر، ١٤١٩هـ.

٨٠ - « **العقيدة نبع التربية** »: أحمد بن ناصر الحمد، مكتبة التراث، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٨١ - « **الفكر التربوي عند الإمام أبي الفرج ابن الجوزي** » دراسة في كتاب: « **من أعلام التربية العربية الإسلامية** »: حسن إبراهيم عبد العال، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، ١٤٠٩هـ.

٨٢ - « **القيم الإسلامية والتربية** »: علي خليل أبو العينين، الطبعة الأولى، مكتبة الحلبي، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ.

٨٣ - « **المجتمع الطموح** »: نهاد إبراهيم باشا، (بدون اسم المطبعة)، بيروت، ١٩٨٥م.

٨٤ - « **المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي** »: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.

٨٥ - « **المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية** »: صالح بن حمد العساف، الطبعة الأولى، شركة العبيكان، الرياض، ١٤٠٩هـ.

٨٦ - « **المدخل إلى التربية والتعليم** »: خالد القضاة، الطبعة الأولى، دار اليازوري، عمّان - الأردن، ١٤١٨هـ.

٨٧ - « **المرأة أزمة الهوية وتحديات المستقبل** »: إحسان الأمين، الطبعة الأولى، دار الهادي، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٨٨ - « **المرأة الداعية في العهد النبوي الشريف والعصر الحاضر** »: أحمد يعقوب العطاوي، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٨٩ - «**المرأة العربية بين التعليم والعمل**»: هيام ملقى، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٩٠ - «**المرأة المسلمة**»: أبو بكر جابر الجزائري، الطبعة الثالثة، المطبعة الأهلية، جدة، ١٤٠٧هـ.

٩١ - «**المرأة المسلمة بين عدل التشريع وواقع التطبيق**»: آمنة محمد نصير، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ.

٩٢ - «**المرأة بين الإفراط والتفريط**»: سهيلة زين العابدين حماد، الطبعة الثانية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة ١٤٠٤هـ.

٩٣ - «**المرأة بين الفقه والقانون**»: مصطفى السباعي، الطبعة السابعة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٩٤ - «**المرأة ذلك اللغز**»: عباس محمود العقاد، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٠م.

٩٥ - «**المرأة في التصور الإسلامي**»: عبد المتعال محمد الجبري، الطبعة السابعة، دار غريب، القاهرة، ١٤٠٥هـ.

٩٦ - «**المرجع في تاريخ علم النفس**»: سعيد جلال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.

٩٧ - «**المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية**»: عبد الله بن حمد الشبانة، الطبعة الثالثة، دار طيبة، الرياض، ١٤١٧هـ.

٩٨ - «**المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**»، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

٩٩ - «**الموسوعة العربية لمصطلحات التربية وتكنولوجيا التعليم**»، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ.

١٠٠ - «**النمو النفسي للطفل والمراهق**»: محمد مصطفى زيدان، دار الشروق، جدة، ١٣٩٩هـ.

١٠١ - « **الهمة العالية** »: محمد إبراهيم الحمد، الطبعة الرابعة، دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤١٩هـ.

١٠٢ - « **الوفا بأحوال المصطفى** »: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، بيروت، ١٣٨٦هـ.

١٠٣ - « **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي** »: حسن إبراهيم حسن، الطبعة الرابعة عشرة، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ.

١٠٤ - « **تاريخ عمر بن الخطاب** »، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

١٠٥ - « **تحفة المودود بأحكام المولود** »: محمد بن أبي بكر ابن قيّم، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢١هـ.

١٠٦ - « **تذكرة الحفاظ** »: محمد بن أحمد الذهبي، دار الفكر العربي، بيروت، (د. ت).

١٠٧ - « **تربية الأطفال في رحاب الإسلام في البيت والروضة** »: محمد حامد الناصر وخولة عبد القادر درويش، الطبعة الأولى، مكتبة السوادي، جدة، ١٤١١هـ.

١٠٨ - « **تربية الأولاد في الإسلام** »: عبد الله ناصح علوان، الطبعة الثالثة، دار السلام، بيروت، ١٤٠١هـ.

١٠٩ - « **تطور الفكر التربوي** »: فخري رشيد خضر، الطبعة الأولى، دار الرشيد، الرياض، ١٤١٦هـ.

١١٠ - « **تطور النظريات والأفكار** »: عمر محمد الشيباني، الطبعة الثانية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٥م.

١١١ - « **تعليم المرأة العربية في التراث وفي المجتمعات العربية المعاصرة** »: زينب محمد فريد، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٨٠م.

١١٢ - « **تكنولوجيا التعليم وتنمية القدرة على التفكير الابتكاري** »: أحمد بن حامد منصور: الطبعة الأولى، دار ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٦هـ.

١١٣ - « **تلبيس إبليس** »، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار المدني، جدة، ١٤٠٣هـ.

١١٤ - « **تهذيب التهذيب** »: أحمد بن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

١١٥ - « **جوانب التربية الإسلامية الأساسية** »: مقداد يالجن، الطبعة الأولى، دار الريحاني، بيروت، ١٤٠٦هـ.

١١٦ - « **حراسة الفضيلة** »: بكر عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ١٤٢١هـ.

١١٧ - « **حقوق المرأة بين الإسلام والديانات الأخرى** »: محمود عبد الحميد، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١١هـ.

١١٨ - « **حقوق المرأة في الإسلام** »: محمد بن عبد الله عرفة، الطبعة الأولى، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

١١٩ - « **حياة المرأة المسلمة** »: إبراهيم محمد الجمل، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١٧هـ.

١٢٠ - « **دراسات حول محو الأمية وتعليم الكبار في الوطن العربي** »: مسارع حسن الراوي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

١٢١ - « **دور المرأة المسلمة في وضعنا الراهن** »: سهيلة زين العابدين حماد، الطبعة الأولى، الدار السعودية للنشر، جدة، ١٤٠٧هـ.

١٢٢ - « **ديمقراطية التربية الإسلامية** »: سعيد إسماعيل علي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٢م.

١٢٣ - « **ديوان حافظ إبراهيم** »، دار الجيل، بيروت، (د. ت).

١٢٤ - « **روح التربية والتعليم** »، محمد عطية الأبراشي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٣هـ.

١٢٥ - « **سير أعلام النبلاء** »: محمد بن أحمد الذهبي، الطبعة الثامنة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م.

١٢٦ - « **سيكلوجية المرأة** »: ناهد رمزي، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٣م.

١٢٧ - « **شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة** »: محمد علي الهاشمي، الطبعة السادسة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٢٨ - « **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** »: عبد الحي بن أحمد العكري، تحقيق: محمود الأرناؤوط، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

١٢٩ - « **صفة الصفوة** »، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ.

١٣٠ - « **صياغة الأهداف التربوية والتعليمية في جميع المواد الدراسية** »: جودت أحمد سعادة، الطبعة الأولى، دار الشروق، عمّان - الأردن، ٢٠٠١م.

١٣١ - « **صيد الخاطر** »، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الطبعة الثالثة، دار اليقين، المنصورة، مصر، ١٤١٩هـ.

١٣٢ - « **طبيعة المرأة في الكتاب والسنة** »: عبد المنعم سيد حسن، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٨٥م.

١٣٣ - « **علم النفس التربوي في الإسلام** »: مقداد يالجن ويوسف القاضي، الطبعة الثانية، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٨هـ.

١٣٤ - « **عمل المرأة في المنزل وخارجه** »: إبراهيم مبارك الجوير، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٦هـ.

١٣٥ - « **عمل المرأة في الميزان** »: محمد علي البار، الطبعة الرابعة، الدار السعودية للنشر، جدة، ١٤١٢هـ.

١٣٦ - « **عناية النساء بالحديث النبوي** »: مشهور حسن آل سلمان، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٣٧ - «**فصول في التفكير الموضوعي**»: عبد الكريم بكار، الطبعة الثانية، دار القلم، دمشق، ١٤١٩هـ.

١٣٨ - «**فلسفة التربية**»: فيليب هـ. فينكس، ترجمة: محمد لبيب النجيحي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٢م.

١٣٩ - «**فلسفة التربية الإسلامية**»، ماجد عرسان الكيلاني، مكتبة هادي، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

١٤٠ - «**فلسفة التربية في الإسلام**»: أحمد رجب الأسمر، الطبعة الأولى، دار الفرقان، عمّان، الأردن، ١٤١٧هـ.

١٤١ - «**في اجتماعيات التربية**»: منير المرسي سرحان، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

١٤٢ - «**قضايا ومشكلات في المنهج والتدريس**»: حسن علي مختار، الطبعة الأولى، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ.

١٤٣ - «**قوامة الرجل وخروج المرأة للعمل**»: محمد بن سعد آل سعود، الطبعة الأولى، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ١٤٢٢هـ.

١٤٤ - «**كيف تطور المعلمة نفسها؟**»: وفاء ناصر الرشيد، الطبعة الأولى، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٣هـ.

١٤٥ - «**لفتة الكبد إلى نصيحة الولد**»، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤٠٩هـ.

١٤٦ - «**ماذا عن المرأة؟**»: نور الدين عتر، الطبعة الخامسة، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ.

١٤٧ - «**مبادئ المعاشرة الزوجية**»: محمد أحمد كنعان، الطبعة الخامسة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٨هـ.

١٤٨ - «**مدارج السالكين**»: محمد بن أبي بكر ابن قيّم، تحقيق: محمد البغدادي، الطبعة الخامسة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٩هـ.

١٤٩ - «**مسيرة المرأة السعودية إلى أين ؟**»: سهيلة زين العابدين حماد، الطبعة الأولى، مؤسسة الريان، بيروت، ١٤٢٤هـ.

١٥٠ - «**مشيخة ابن الجوزي**»، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: محمد محفوظ، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، أثينا، اليونان، ١٤٠٠هـ.

١٥١ - «**مصادر التشريع الإسلامي**»: محمد بن أحمد تقية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٥٢ - «**مقالات في المرأة والتربية**»: ليلى عبد الرشيد عطار، الطبعة الأولى، دار المجتمع، جدة، ١٤٢٠هـ.

١٥٣ - «**من أسس التربية الإسلامية**»، عمر محمد الشيباني: الطبعة الثانية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس - ليبيا، ١٤٠٢هـ.

١٥٤ - «**مناهج البحث في التربية وعلم النفس**»: جابر عبد الحميد جابر، وكاظم أحمد خيري: دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٠م.

١٥٥ - «**مناهج البحث في التربية وعلم النفس**»: ديو بولد، ڤان دالين، ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥م.

١٥٦ - «**منهج التربية النبوية للطفل**»: محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٢٢هـ.

١٥٧ - «**نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة السنين**»: آمال صادق وفؤاد أبو حطب، الطبعة الرابعة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٤١٩هـ.

١٥٨ - «**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**»: أحمد بن محمد بن خلكان، دار صادر، بيروت، (د. ت).

رابعًا: فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الفصل الأول: «الإطار العام»

أولًا: المقدمة ٧

ثانيًا: موضوع الدراسة ١٠

ثالثًا: أسئلة الدراسة ١١

رابعًا: أهداف الدراسة ١٢

خامسًا: أهمية الدراسة ١٣

سادسًا: منهج الدراسة ١٤

سابعًا: حدود الدراسة ١٥

ثامنًا: الدراسات السابقة وموقع هذه الدراسة منها ١٦

الفصل الثاني: «عصر ابن الجوزي وترجمته»

أولًا: عصر ابن الجوزي ٢٧

١ - الحالة السياسية ٢٧

٢ - الحالة الاجتماعية والاقتصادية ٢٨

٣ - الحالة الدينية والفكرية ٣٠

٤ - الحالة العلمية والتربوية ٣٢

٥ - المرأة في عصر ابن الجوزي ٣٦

ثانيًا: ترجمة ابن الجوزي ٣٩

١ - اسمه ونسبه ومولده ٣٩

٢ - نشأته وطلبه للعلم ٣٩

الموضوع | الصفحة

٣ - محنته ووفاته ٤١
٤ - تأثُر ابن الجوزي وتاثيره ٤١
٥ - مكانته العلمية ٤٦
٦ - مكانته التربوية ٤٨
٧ - مؤلفاته ٥٠
ثالثًا: لمحة موجزة عن كتاب «أحكام النساء» ٥٣
١ - نسبة الكتاب إلى مصنفه ٥٣
٢ - وصف الكتاب ٥٤
٣ - قيمة الكتاب ٥٤
٤ - منهج ابن الجوزي في تأليف الكتاب ٥٥

الفصل الثالث:

«أهداف ومصادر وأساليب تربية المرأة عند ابن الجوزي»

تمهيد: رؤية موجزة لتربية المرأة وتعليمها في الإسلام ٥٩
أولًا: طبيعة المرأة عند ابن الجوزي ٦١
١ - المرأة إنسان مكلف ٦٣
٢ - الطبيعة الجسدية ٦٤
٣ - الطبيعة العقلية والسلوكية ٦٦
٤ - الطبيعة النفسية والوجدانية ٦٩
٥ - تفاعل البيئة مع الوراثة ٧١
٦ - مسؤولية المرأة ٧٢
٧ - الخير والشر ٧٤
ثانيًا: أهداف تربية المرأة عند ابن الجوزي ٧٦

الموضوع **الصفحة**

١ - الهدف الإيماني ٧٧
٢ - الهدف الأخلاقي ٧٩
٣ - الهدف المعرفي ٧٩
٤ - الهدف الاجتماعي والاقتصادي ٨١
ثالثًا: مصادر تربية المرأة عند ابن الجوزي ٨٤
١ - القرآن الكريم ٨٤
٢ - الحديث الشريف ٨٥
٣ - هدي السلف ٨٦
٤ - التجربة والخبرة ٨٨
٥ - تراث الأمم الأخرى ٨٩
رابعًا: أساليب تربية المرأة عند ابن الجوزي ٩١
١ - النصح والإرشاد ٩١
٢ - القصة ٩٢
٣ - القدوة ٩٦
٤ - ضرب المثل ٩٨
٥ - الترغيب والترهيب ٩٩
٦ - المدح والثناء ١٠٠
٧ - الثواب والعقاب ١٠١
٨ - الممارسة العملية ١٠٤

الفصل الرابع: «مجالات تربية المرأة عند ابن الجوزي»

أولًا: التربية الإيمانية ١٠٩
ثانيًا: التربية الخلقية ١١٨

الموضوع **الصفحة**

ثالثًا: التربية العقلية ١٢٩
رابعًا: التربية الاجتماعية ١٤٢

الفصل الخامس: «تصور مقترح للاستفادة من آراء ابن الجوزي في تربية المرأة في الواقع التربوي المعاصر»

أولًا: دور الوالدين في تربية المرأة ١٦٩
ثانيًا: دور المدرسة والجامعة في تربية المرأة ١٧٩
ثالثًا: دور المسجد في تربية المرأة ٢٠١
رابعًا: دور المجتمع في تربية المرأة ٢٠٣
خامسًا: مسؤولية المرأة تجاه نفسها ٢٠٥
سادسًا: دور الزوج في استقرار الحياة الزوجية ٢٠٧
سابعًا: دور وسائل الإعلام في تربية المرأة ٢٠٩
ثامنًا: عمل المرأة في الواقع المعاصر ٢١٣
تاسعًا: سبل مواجهة بعض التحديات التي تواجه المرأة المسلمة ٢١٧

*** الخاتمة ***

أولًا: النتائج ٢٢١
ثانيًا: التوصيات ٢٢٤
ثالثًا: المقترحات ٢٢٦

*** الفهارس ***

أولًا: فهرس الآيات ٢٢٩
ثانيًا: فهرس الأحاديث ٢٣٢
ثالثًا: المصادر والمراجع ٢٣٤
رابعًا: فهرس الموضوعات ٢٤٩